387

HARLEQUIN

روايات أحلام

حورية فوق الغيوم

آن مكاليستر

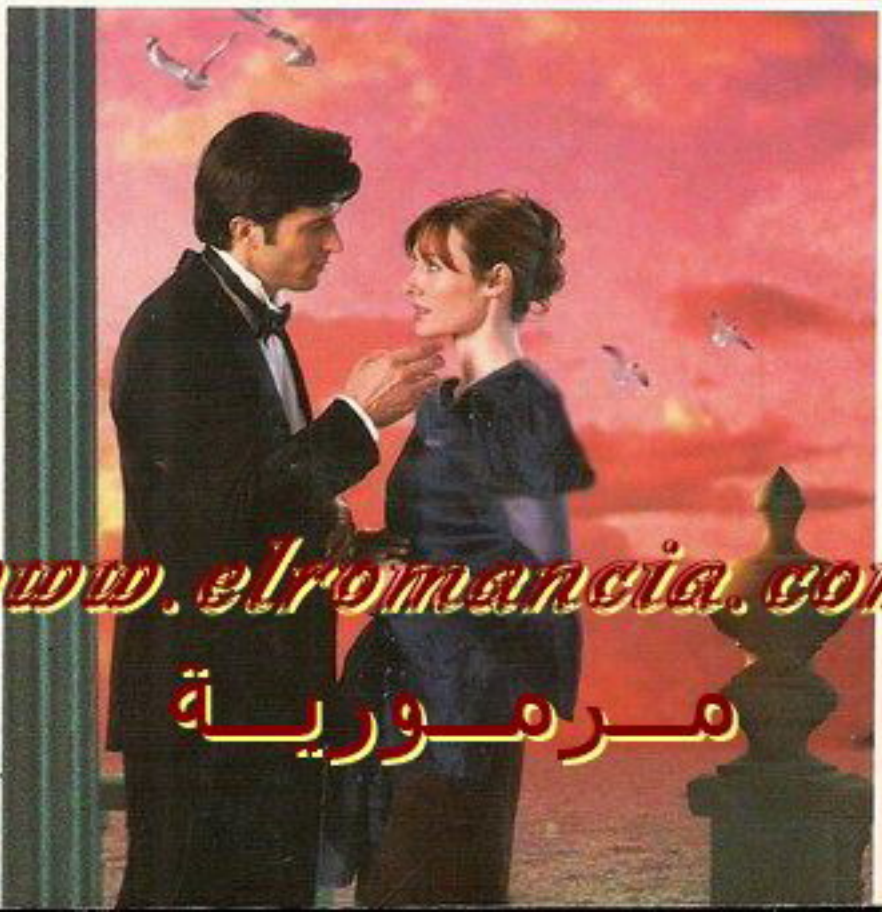

www.elromancia.com
مرمورية

حورية فوق الغيوم

لا أحد أكثر سعادة من هيوغ ماكغيلفراي ... أو هكذا كان قبل أن تعلق صنارته وهو يصطاد ...
لم يكن صيده سمكة أو حوتاً أو قرشاً ... كان امرأة . امرأة غاضبة جداً ... هل هي حورية بحر ! هل هي حقيقية ! هل عقله سليم !
إنها أخطر وأجمل من أن تكون حورية بحر ... ومعها بدأت متاعب هيوغ . فسعادته غرقت في البحر الذي خرجت منه سيدني ... إنها الآن هي الصياد فكيف سيفلت من شباكها !

لبنان:	2500ل.ل	البحرين:	1دينار
سوريا:	75ل.س.	السعودية:	10ريال
الأردن:	1.5دينار	مصر:	8جنيه
الكويت:	750فلس	المغرب:	15درهم
الإمارات:	10دراهم	تونس:	2دينار
قطر:	10ريال	عمان:	1ريال

ISBN 9953-15-355-8

روايات أحلام

تصدر عن شركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م
المدير المسؤول: آمال سابا الهاشم

حقوق النشر والطباعة والتوزيع باللغة العربية
محفوظة لشركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م.
بترخيص خطي من Harlequin Enterprises II B.V

كل الحقوق محفوظة، بما فيها نسخ الكتاب بكامله أو جزء منه بأي شكل من الأشكال
تم نشر هذه الطبعة بالاتفاق مع شركة Harlequin Enterprises II B.V.

كل العلامات التجارية استعملت
بترخيص من شركة Harlequin Enterprises II B.V.

كل شخصيات هذه الرواية وهمية. أي شبه بين هذه الشخصيات وأشخاص
حقيقيين أحياء كانوا أم أمواتاً هو محض صدفة

العنوان الأصلي لهذه الرواية باللغة الإنكليزية:
The McGillivray's Bed
First published in Great Britain 2004
Harlequin Mills & Boon Limited
© Anne Mcallister 2004
Translation © Dar El-Farasha - 2006
ISBN 9953 - 15 - 355 -8

شركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م. طريق المطار - سنتر زعرور -
ص.ب: 8254/ 11 هاتف/ فاكس: 450950-1-961- بيروت - لبنان
Email: info@darelfarasha.com - http:www.darelfarasha.com

أعزائي القراء

لأننا عوّدناكم دائماً على أجمل الروايات العاطفية... ولأننا نعرف أن قراءنا لا يرضون بأقل من الأفضل... ولأن هدفنا دوماً المحافظة على واحة حب تخفّف من وطأة الآلام والهموم في عالمنا... لهذا، اخترنا أن تكون هديتنا إلى قرائنا في بداية هذا القرن هي انضمامنا إلى أسرة هارلكوين Harlequin العالمية.

لماذا هذا الاختيار؟

لأن شركة Harlequin هي رائدة الروايات الرومنسية في العالم أجمع، وهي تتعاون مع أفضل الروائيات في هذا المجال، وتصدر شهرياً أكثر من ٧٠ عنواناً جديداً.

ستظل روايات أحلام على سابق عهدها من حيث اختيار القصة الشيّقة والأسلوب الرفيع واللغة السليمة... والتغيير الذي ستلاحظونه هو في زيادة عدد الروايات شهرياً، وتنوع الموضوعات لتناسب جميع الأذواق، وسيكون لمشاركتكم باختيار المواضيع المفضلة لديكم وبأسماء الروائيات اللاتي أحببتموهن، الدور الأساسي.

بكل إخلاص
أسرة أحلام

www.elromancia.com

١- حورية وصياد

إنها ليست الجنة بالتحديد. . . لكنها تمثل تقريباً كل ما يصبو إليه من الكمال. هذا ما قرره هيوغ ماكغيلفراي وهو يتكىء إلى الخلف على كرسيه، في قاربه الذي راح يهتز بنعومة. حرّك صنارته بيده، متمنياً لمرة وحيدة وأخيرة أن يصطاد شيئاً، فيما هو يمضي الوقت بتكاسل مراقباً غروب الشمس في البحر الكاريبي في نهاية ذلك اليوم.

إنه يوم شبيه بتلك الأيام المثالية التي يتذكرها منذ طفولته. تلك الأيام التي كان يحلم بها خلال السنوات التي عاشها كربّان في سلاح البحرية، حيث تتحكم القوانين والنظام والتعلق المفرط بالنظافة والأناقة بساعات يومه كلها. صمّم هيوغ أن يتمتع بمثل هذه الأيام مرة ثانية، وتصميمه هذا كان خلف قراره بترك البحرية منذ خمس سنوات، والعودة إلى بلدته ليؤسس عملاً خاصاً به فينقل الركاب بطائرته الخاصة في أنحاء الجزيرة الصغيرة بليكان كاي.

يعمل هيوغ معظم الأيام بنقل المسافرين والحمولات بين الجزر والمدن الساحلية للبلاد، وهو يشعر بالسعادة لقيامه بذلك العمل.

- لا أشعر بالملل ولو للحظة واحدة.

هذا ما أخبر به أخاه لاشلان الأسبوع الماضي، بنبرة ملؤها الفرح. لكن تلك لم تكن الحقيقة الكاملة.

ففي بعض الأيام، قد لا يرغب أحد بالذهاب إلى أي مكان، و لا أحد يطلب إرسال أي شيء إلى أي كان. في مثل تلك الأيام تصبح الأعمال راكدة كمياه المستنقعات. ومع ذلك، فإن هيوغ يحب تلك الأيام كثيراً، لأنه يصبح حراً طليقاً، كما هو اليوم على سبيل المثال. فكر بذلك وهو يبتسم ويهز كتفيه.

هزّ صنارته قليلاً، ثم حرّك أصابع قدميه، مستمتعاً بجمال الغروب وبهواء

البحر الناعم الذي يعبث بشعره.

بالطبع، كان بإمكانه العودة إلى المكتب لمساعدة شقيقته مولي، فيعمل على إصلاح محرك الهليكوبتر أو يقوم بأعماله المكتبية أو يراجع بعض الفواتير... لكن الأوراق والفواتير ستكون هناك غداً، وكذلك مولي. لا شك أنها أكثر سعادة لأنه اختفى عن ناظريها اليوم. فمع أنهما صديقان مقرّبان من بعضهما البعض، و قد تشاركا بالعمل خلال السنوات الأربع الأخيرة، بحيث تقوم مولي بأعمال الصيانة والتصليح، وهيوغ يقود الطائرة، لكنهما يصلان، في معظم الأوقات، إلى حدود التصادم، إذا عملا معاً لساعات طويلة. أكد لنفسه أن ابتعاده هو عمل حكيم دون شك، مفكراً بطبع مولي الحاد النزق. لقد لوح لها مودعاً عند الصباح، ثم صفّر لكليته الاسكتلندية، بالي، وتوجه لتمضية يومه في الصيد.

راح يعبث بصنارة الصيد بين الحين والآخر، وما إن انحدرت الشمس في البحر حتى اندفع عائداً إلى المنزل. راقب هيوغ باهتمام طفيف الزوارق البخارية السريعة المندفعة حوله، لكنه لم يشعر بأي دافع ليتحرك بسرعة أكبر. إذا أراد السرعة، بإمكانه الطيران. أما اليوم فهو يريد الانجراف مع الماء. لوّح للزورق البخاري الذي ينقل السائحين من بليكان كاي إلى ناسو عندما مرّ أمامه قبل عدة ساعات. لوّح السائحون له بدورهم، وقد أرهقهم السفر تحت أشعة الشمس، لكنهم مع ذلك بدوا سعداء. غير أنهم ليسوا أكثر منه سعادة.

لا أحد أكثر سعادة من هيوغ ماكغيلفراي في قاربه الخشبي القوي... حتى أولئك القوم الأثرياء الذين رآهم يحتفلون في اليخت الكبير. مرّ ذلك اليخت بقربه منذ وقت قريب، وما زال بإمكانه سماع أصوات الموسيقى تتناهى إليه منه، وما زال بإمكانه أن يرى أنواره تلمع في الغسق وهو يتجه إلى الشمال الغربي.

كان البراد مليئاً بالثلج والعصير والشطائر عندما غادر الشاطىء صباحاً. أما الآن فهو مليء بالسمك الذي وضعه فوق ما تبقى من الثلج.. أصبح لديه من السمك ما يكفيه لمدة أسبوع كامل، بل يكفيه أيضاً للمشاركة به بسخاء مع مولي ولا شلان وفونيا، زوجة لاشلان.

هذا اليوم، أمل أن يصطاد سمكة أكبر من تلك التي أحضرها لاشلان إلى المنزل

الأسبوع الماضي. إنهما يتنافسان في الصيد منذ أن أتيا للعيش في بليكان كاي، وهما في سن المراهقة. ما زال لاشلان يحمل السجل الأفضل، باصطياده سمكة تزن ثمانية وخمسين باونداً عندما كان في التاسعة عشرة من عمره. ويأمل هيوغ بأن يهزمه ذات يوم، لا سيّما الآن بعد أن أصبح من النادر أن يخرج لاشلان إلى الصيد. فهو منشغل جداً بمجموعة الفنادق الصغيرة والمنتجعات السياحية، هذا بدون ذكر زوجته التي تنتظر مولوداً.

ابتسم هيوغ ما إن فكّر بزوجة أخيه النحيلة فونيا، وهي صديقة له منذ سنين عديدة. فكّر أنها ستكون أماً رائعة. أما لاشلان فهو، حتى الآن، لا يستطيع تخيله كأب. في الواقع، احتاج هيوغ لبعض الوقت كي يعتاد على فكرة زواج أخيه. فخلال سنوات حياته كلاعب كرة قدم محترف، عُرف لاشلان في الأوساط الرياضية على أنه «الهدّاف الفاتن». ولا شك أنه استغل تلك الشهرة، ما جعل النساء يلاحقنه بشدة. وعلى الأرجح أنهن ما زلن مستعدات لملاحقته لو أنه يبدي أي اهتمام بهنّ. لكن لاشلان يهتم فقط لفونيا. وهذه الأيام، أصبح «الهدّاف الفاتن» مروضاً كالمر. أما هيوغ، فهو ليس على استعداد لأن يصبح كذلك.

منذ سنتين، وبعد أن تزوجت كارين كامبل من ناتان وولف، قرر هيوغ أن العزوبية أمر مرحب به تماماً بالنسبة إليه. ومع أنه شعر بالغضب الشديد، لأن كارين اختارت رجلاً آخر، إلا أنه لم يظهر غضبه أبداً. فهو لم يُفصِح لها عن مشاعره على الإطلاق، ولم يعلم أحد كم كان مهتماً بها.

مع ذلك، اتخذ هيوغ قراراً هاماً: ما دامت المرأة الوحيدة التي تستحق التفكير بالزواج منها قد سلبت منه، فمن الآن وصاعداً سيعيش على هواه.

راح هيوغ يستمتع بمغازلة الفتيات كاستمتاعه بالصيد. فالأمر بالنسبة إليه مسلٍ. وطالما أن الأمور لا تصل إلى العلاقة الجدية، فليس هناك من يشعر بالسوء أو الأذى. تمنى لو أن ليزا ميلليغان لا تأخذ الأمور بينهما بجدية، بل يقتصر الأمر على المغازلة البريئة. فهو يدرك أن العلاقة بينهما لن تكون جدية على الإطلاق، لأن ذلك مخالف لمبادئه. وهو راضٍ تماماً عن علاقته مع النساء، ولن يقيم علاقة مع امرأة تأمل بأن تقوده إلى الزواج والارتباط. ولا حاجة به لأن يكون قارىء أفكار

ليعلم ما الذي تفكر فيه ليزا بالتحديد.

ليزا ميلليغان شابة ساذجة، بل على الأصح، إنها فتاة مراهقة. وهي في التاسعة عشر من عمرها، بحق الله! إنها ما زالت طفلة. حسناً! ربما أكبر بقليل من طفلة، لكنها ليست أكثر من ذلك.

ليزا هي حفيدة الخبّاز طوني، وقد تخلت عن الجامعة منذ فترة لتعمل في مكتب الاستقبال في ميرابال، وهو فندق مميز حديث الطراز يملكه لاشلان في بليكان كاي. وهي تعمل هناك منذ فصل الربيع. في البداية، راح يمازحها ويغازلها قليلاً، كما هي عادته مع الفتيات. وذلك لا يعني أنه يريد الزواج بها. لكن ليزا اعتقدت أنه سيفعل... توقعت أنه سيتزوجها، وكأن الأمر محتم. قالت ذلك للآنسة سافرون، وهي المرأة الأكثر ثرثرة في الجزيرة كلها.

يومها، أبلغته الآنسة سافرون: «قالت إن زواجكما محتم، وإن التأخير في ذلك هو مسألة وقت فقط».

شعر هيوغ بالصدمة وفكّر أن ذلك لن يحصل بالتأكيد. ومنذ ذلك الوقت، وهو يحاول الابتعاد عن ليزا قدر الإمكان. لكن ذلك لم يجده نفعاً، كما لم تجده نفعاً أية وسيلة أخرى اتبعها. حتى عندما أخبرها بصراحة أنه ليس من الأشخاص الذين يؤمنون بالزواج، ضحكت ببساطة لتظهر غمازتيها الرائعتين، ثم ابتسمت له وهي تقول: «إذاً، عليّ أن أجعلك تبدل رأيك».

طيلة الشهر الماضي، بذلت كل ما في وسعها من أجل تحقيق ذلك، فهو يراها في كل مكان يذهب إليه، في مكتبه، في ممر هبوط طائرته، في حوض السفن، حتى على أرجوحته الشبكية على شرفته هذا الصباح... ماذا يفعل بحق الله!

قالت له بنبرة مفعمة بالأمل: «كنتُ أتساءل إن كنت ترغب في السباحة؟».

شعر هيوغ بالضيق، إلا أنه قال بتهذيب: «لا أستطيع».

فهما يعيشان في جزيرة صغيرة، والناس يعرفون بعضهم البعض، وهو لا يريد أن يؤذي مشاعرها. كل ما يريده منها هو أن تفهم أنها ليست مخلوقة لأجله.

علت وجهها الكآبة وهي تقول: «آه، إذن سأراك لاحقاً».

قال بصوت جاف: «سأغيب طوال النهار».

- أستطيع الذهاب معك... إنه يوم إجازتي.

هزّ هيوغ رأسه قائلاً: «آسف، لدي عمل».

قد يكون ردّه هذا تبسيطاً للحقيقة، ولو سمعته مولي لقالت إنه كاذب. لكنه ليس كذلك. فهو بحاجة إلى اكتشاف أماكن الصيد الجيدة، أليس كذلك؟ بهذه الطريقة يستطيع إرشاد زبائنه إلى الأماكن التي يتوفر فيها الصيد بكثرة.

لقد كان مهتماً بعمله طوال النهار، مستمتعاً بكل لحظة برفقة كلبته بالي. كما أنه شعر بالسعادة بصورة خاصة لأن المناظر أمامه كانت خالية من ليزا. تمدد هيوغ براحة كبرى، واتكأ على كرسيه بتكاسل. وقبل أن يعود إلى المنزل هزّ صنارته للمرة الأخيرة، فاهتزت الصنارة ثانية...

- أووه!

استقام في جلسته وعلت وجهه ابتسامة. لا بد أن صبره أثمر خيراً. حرّك الصنارة قليلاً، ثم سحبها، ليتأكد أنها لم تصطدم بقطعة خشب عائمة. تلقى هزة بالمقابل، ثم تحولت الهزة إلى جذب قوي.

ضحك هيوغ فرحاً، هذه ليست خشبة عائمة! أخذ يصفر من بين أسنانه، ويجذب الصنارة إلى الأعلى.

قال بفرح محدثاً بالي بعد أن اهتزت الصنارة بقوة بين يديه: «أنظري هناك! حصلنا على سمكة كبيرة».

فتحت الكلبة إحدى عينيها وبدت غير مهتمة بما يجري، ثم أغمضت عينها ثانية. عادت الصنارة تهتز من جديد بين يدي هيوغ، فاستدار إلى الناحية الخلفية ليجد أنها تنحني وتهتز بقوة في الشفق. عندئذٍ قفزت بالي وراحت تنبح جذلة.

- كفّي عن النباح!

ركض ليمسك بالصنارة، وفي تلك اللحظة لمح حركة قوية تضرب بجانب القارب.

بدت ضربة قوية جداً، فارتجت الصنارة بيده. سارع هيوغ ليلفها بقوة حول يده. ما الذي اصطاده بحق السماء؟ أهو حوت كبير؟

ثبت قدميه جيداً، وبدأ يجذبها ثانية. وفجأة ظهر صيده على سطح الماء: إنها

امرأة. . ! امرأة غاضبة جداً . . ! صرخت به بسرعة : «حباً بالله ! توقف عن جذب الصنارة ! إذا ما استمريت بذلك، سوف تمزق ثوبي».

حملق هيوغ بها بدهشة . . . امرأة؟ هل اصطاد امرأة؟

لا ! هذا غير محتمل. هزّ رأسه هزّة سريعة قوية. لكن، حتى مع شكوكه وحيرته بأنه تعرض لفترة طويلة لأشعة الشمس، ظلت الصنارة بيده ترتج وتتحرك بقوة. كما أن بالي انحنت بحماس على حافة القارب وأخذت تهز ذيلها وتنبح. إذن، فهي حقيقية!

إنها امرأة. أو ربما . . . حورية بحر؟

تمتم مخاطباً بالي: «اخرسي، أيتها الكلبة الحمقاء».

ثم قال بسرعة مخاطباً المرأة: «توقفي عن التحرك بقوة».

قالت بغضب: «لست أتحرك بقوة، لكنني أحاول نزع هذه الصنارة اللعينة!».

وعلى الفور، عادت واختفت تحت الماء، تاركة هيوغ يحدق في المحيط الفارغ، فيما ساد الصمت المفاجىء حوله، ما جعله يشكك بصحة عقله للمرة الثانية.

نبحت بالي وتطاولت على الحافة مخاطرة بسلامتها، فأمسك هيوغ بطوقها وسحبها إلى الوراء. في اللحظة نفسها، ظهرت المرأة ثانية فتحركت الصنارة بيده بقوة، ما يعني أنها لم تتمكن من نزعها. وإذا بها تقول بانزعاج: «تباً للفساتين المصنوعة من الخرز!»

فساتين من الخرز؟

ارتخى فك هيوغ، إلاّ أنه استطاع أن يرى أنها ترتدي ثوباً يلمع بألوان فضية فوق كتفيها. بحق السماء! من هي تلك المرأة التي تسبح وهي ترتدي فستاناً من الخرز؟

قامت بجذب الصنارة مرة ثانية لكنها لم تنجح بنزعها. عندئذٍ، توقفت عن مصارعة الصنارة، وضربت الماء بيديها ما جعلها تقترب أكثر من القارب. لكنها تشابكت أكثر فأكثر مع خيطان الصنارة. سألته المرأة: «هل لديك سكين؟».

- بالطبع لدي سكين.

- إذن أعطني إياه، أو اقطع خيط الصنارة وأخرجني من الماء.

مدّت يدها نحوه، فبدت له مثل باريت الضابط المسؤول عنه، والذي كانوا

ينادونه الكابتن أهاب أثناء غيابه، لأنه كان عنيداً وأصم تماماً مثل الكابتن أهاب في أسطورة ملفيل.

باريت . . . أهاب . . لا علاقة لهذين مع هذه المرأة. لو أنها تصرفت على الأقل بيأس، لقدم لها سكينه بلحظة واحدة. لكنه يفضل الموت على أن يتلقى الأوامر من حورية متسلطة.

لم يتحرك هيوغ من مكانه، فسألته بنفاد صبر: «هيا! ما الذي تنتظره؟».

قال وهو يرفع أحد حاجبيه: «الكلمة السحرية؟».

- آه، بحق السماء!

وبدأت بالتحرك ثانية، فتناثر الماء عليه. قال مقترحاً: «لا يجدر بك القيام بذلك، سوف تجذبين أسماك القرش إليك».

اتسعت عيناها وقالت: «ليس هناك أي . . .».

- بل هناك أسماك قرش كبيرة وجائعة، إلاّ إذا كنت تظنين أن «الفك» هو مجرد فيلم فقط.

أطلقت بالي نباحاً عالياً وحدّقت إلى المرأة من فوق حافة القارب. فنظرت المرأة، إلى الكلبة ثم أعادت بصرها نحوه ثانية. ضغطت على شفتيها بقوة، ثم أدارت عينيها ورفعت كتفيها، فكادت تغرق جرّاء حركتها تلك. وما لبثت أن تمتمت بصوت لا أثر فيه للتوسل: «من فضلك».

قال هيوغ بدماثة: «بالطبع، هيّا!».

أبعد مالي من طريقه، ثم أمسك بيد المرأة الممدودة وسحبها. وما إن خرجت من الماء، حتى أمسك بيديها الاثنتين، فراحت تحرك رجليها وهو يرفعها. لتستقر أخيراً بالقرب منه، رائعة، ورطبة، كالسمكة.

لكنها لم تكن تشبه السمكة . . . إنها امرأة مكتملة الأنوثة، بجسدها الرشيق وقوامها الرائع. شعر هيوغ بمزيج من الإحساس بالراحة والتوتر معاً ما إن اكتشف أنها ليست حورية، وأنها تملك قدمين رائعتين. سألها وهو يضغط على ذراعيها: «ماذا كنت تفعلين، بحق السماء، في وسط المحيط اللعين؟».

تلوّت المرأة لتتخلص من قبضته، وابتعدت قليلاً عنه. ثم أبعدت شعرها

www.elromancia.com

الأسود الرطب عن عينيها، وحدقت به غاضبة وهي تقول: «حسناً، لم أكن أشارك في سباق منفرد للسباحة. من الواضح أنني كنت أحاول الوصول إلى قاربك».

- إلى قاربي؟

- قاربك كان أقرب مكان أستطيع الوصول إليه.

شرحت له ذلك وكأنه قليل الذكاء. قوّس حاجبه وراح يتفحصها من أعلى رأسها حتى أخمص قدميها، متأملاً الفستان المتوهج المغطى بالخرز، والذي ينتهي فوق ركبتيها الناعمتين مظهراً جسدها الجذاب الفاتن. إنه فستان سهرة باهظ الثمن، وليس من النوع الذي يمكن لصاحبته ارتداؤه كل يوم، أو في حفلة عادية. يبدو أنها سقطت من اليخت الذي لا تزل أضواؤه بادية على الرغم من بعد المسافة بينهما.

سألها: «ما الذي حدث معك؟ هل شعرت بدوار، أم تعثرت وسقطت؟».

نظرت إليه بغضب وقالت: «ماذا؟».

قال لها موضحاً: «لقد سقطت من اليخت، أليس كذلك عزيزتي؟».

رفعت ذقنها، الذي لا يشبه مطلقاً ذقن الكابتن أهاب، وقالت بنبرة سطحية: «لم أسقط من اليخت. لقد قفزت منه».

فتح هيوغ فمه غير مصدق، وقال: «ماذا؟».

كررت بهدوء: «قفزت من هناك».

- هل أنت مجنونة؟ قفزت من هناك في وسط المحيط المخيف؟ لماذا قمت بعمل أحمق كهذا؟

رفعت المرأة المتعبة جسمها على قدر ما تستطيع، فبدت قامتها طويلة تكاد تقارب قامته. نظرت إلى الأسفل، تماماً كما ينظر الكابتن أهاب من فوق أنفه، وقالت: «كان ذلك أفضل ما أستطيع القيام به».

انفجر هيوغ في وجهها ساخطاً: «القفز في المحيط هو أفضل ما أمكنك القيام به؟».

كيف يمكن لامرأة حسناء أن تثرثر بكلام عملي لتبرر جنونها المؤقت. رفع قبعة البايسبول عن رأسه. ومرّر يده في شعره، ثم أعاد القبعة ثانية وهزّ رأسه متعجباً.

نظرت إليه والشرر يتطاير من عينيها، ثم لفت ذراعيها حول فستانها الذي تتساقط المياه منه وقالت بغضب: «حسناً، لا تصدقني، فهذا لا يهمني. لا يعنيني مطلقاً إن صدقت أم لا».

توقفت عن الكلام قليلاً، ثم تابعت تقول: «لكنني سأقدر لك صنيعك إن أعطيتني منشفة».

لم يتحرك هيوغ من مكانه، فازداد وجهها تجهماً ونظرتها الغاضبة حدة. التقت عيونهما وكأن معركة صامتة تدور بينها.

ضغطت الآنسة التي تشبه الكابتن أهاب على شفتيها بشدة. وساد الصمت لفترة بينهما. أخيراً نفخت في الهواء بضيق وقالت بتهذيب مصطنع: «أرجوك!».

عندئذٍ ابتسم هيوغ وقال: «سأحضرها على الفور».

بحث عن المنشفة تحت قوس القارب حيث يضع دائماً كيس النوم والبراد والعدّة. لم تكن المنشفة نظيفة تماماً، لكنه رمى بها إليها وهو يقول: «كلها لك».

التقطتها على الفور، ومسحت بها وجهها، ثم التقت عيناها بعينيه من فوق المنشفة فقالت بتهذيب مبالغ فيه: «شكراً لك»

كان لا يزال يبتسم، فأحنى رأسه قليلاً وقال: «على الرحب والسعة».

أبعدت نظرها عنه، وبدأت بتجفيف جسمها. وقف هيوغ يراقبها، وهو مسلوب الإرادة فيما راحت هي تفرك يديها وساقيها لتجففها من الماء. ثم حاولت أن تزيل قدر ما تستطيعه من المياه من فستانها. لكنها لم تنجح بذلك. قال وكأنه يحاول مساعدتها: «يمكنك خلعه».

أجابت بصوت عالٍ: «نعم. بالطبع، أستطيع».

وقف هيوغ هناك بذهول، وهو يشعر بجفاف في فمه وبالحرارة تغزو جسده. فتح فمه محاولاً أن يتكلم، لكن كل ما استطاع فعله هو أن يصدر صوتاً كنقيق الضفادع وعلى الفور أغلق فمه. وبعد أن تمكن دماغه من العمل، أبعد نظره عنها وجلس صامتاً.

لم تلاحظ المرأة شيئاً على ما يبدو. وبعد قليل، تنهدت بقوة قائلة: «الحمد لله، لا فكرة لديك كم هو ثقيل هذا الفستان».

www.elromancia.com

لا، بالطبع! حتى لو فكر بذلك، لما استطاع أن يعرف، فهو يشعر بالدوار.

سألت المرأة الغريبة الأطوار: «هل أستطيع استعمال هذا؟».

كلماتها دفعته ليرفع رأسه إليها. فرآها تمسك بلحاف اعتادت بالي أن تنام عليه. أخذت بالي تهز ذيلها وبدت راضية جداً لمشاركتها إياه.

- هل أنت بحاجة إليه؟

نظرت إليه المرأة بازدراء كبير، وقالت: «إذن ربما يمكنك إعارتي قميصك».

ونظرت إلى قميصه قبل أن تتابع بنبرة ساخرة: «من فضلك!».

طبعاً، بإمكانه أن يفعل ذلك. لكنه قال بخشونة: «استعملي اللحاف».

رمشت بعينيها وقد فاجأها رده الجاف، لكنها ما لبثت أن رفعت ذراعيها ولفت اللحاف حول كتفيها، وأمسكت به بقوة على جسمها، ما جعلها تبدو كأنها مقعد محشو.

شعر هيوغ بالارتياح لأنه لم يتنازل عن قميصه لها. قال وقد صمّم على التركيز على صفاتها الشخصية الأقل جاذبية: «والآن، أخبريني عن تلك القفزة التي كانت «أفضل ما أمكنك القيام به».

نظرت من وراء كتفها إلى الأنوار المتحركة لليخت الذي بالكاد أصبح منظوراً.

- هل نستطيع.... أن ننطلق أولاً؟

- كي نلحق بهم؟ أهذا ما تقصدينه؟

قال هيوغ ذلك مشككاً، فقيادة القارب في الظلام أمر شاق كالجحيم.

قالت بقوة أثارت دهشته: «لا!».

ارتجفت قليلاً وتابعت: «أقصد، لا، شكراً لك».

لكن، مع أنها قالت ذلك بتهذيب، فقد أثارت كلماتها دهشته. مال هيوغ برأسه إلى جهة واحدة، ثم رفع حاجبه وهو يقول: «لا! ألا تريدين أن نلحق باليخت؟».

- لا!

وتوقفت عن الكلام، لتتمكن من المتابعة بهدوء أكثر: «لا أريد ذلك. في الواقع، أفضل أن نتوجه في الاتجاه المعاكس».

- أنا لست ذاهباً في الاتجاه المعاكس.

فجأة، بدت متوترة: «إلى أين تذهب، إذن؟».

أشار برأسه نحو أضواء بليكان كاي وقال: «إلى هناك».

استدارت لترى المكان الذي أشار إليه، وخفّ توترها قليلاً. هزّت برأسها موافقة وقالت: «ذلك المكان سيكون مناسباً».

ثم نظرت ثانية إلى أنوار اليخت، قبل أن تضيف: «لننطلق، إذن. اتفقنا؟».

يا له من أمر مثير للغرابة! كيف يمكنها أن تسبح في مياه مليئة بأسماك القرش برباطة جأش كاملة، ثم تشعر بالخوف وهي في أمان مطلق؟ إلا إذا.. كانت تشعر أنها ليست في أمان مطلق.. سألها وهو ينظر إليها بعينين ضيقتين: «هل سرقت شيئاً؟».

ظهرت الصدمة على وجهها وهي تجيب: «سرقت شيئاً؟ لِمَ تقول ذلك؟».

- كيف لي أن أعرف بحق السماء؟ قفزت من قارب ضخم... لأي سبب آخر ترغبين بالهروب؟

- أنا لست هاربة!

- آه، صحيح. نسيت. كنت فقط تقومين بقفزتك الأفضل إلى مياه مليئة بأسماك القرش، تبعد أميالاً عن الشاطىء.

أبقى صوته هادئاً وكأن حديثهما عادي.

للحظة أبعدت المرأة نظراتها عنه. لكن بعد ذلك حدقت به بثبات فارتسمت صورة الكابتن أهاب أمامه من جديد.

- كان علي أن أغادر. هذا كل شيء.

- أحقاً؟

قالت: «اسمع، هل بإمكانك أن تنطلق؟ سأخبرك كل شيء... أعدك بذلك. لم أفعل أي شيء سيء. كل ما أحتاجه هو مكان هادىء لبعض الوقت».

لم تكن تتوسل في كلامها، لكن نبرة الإلحاح بدت واضحة فيه. بادلته تحديقه بقوة وثبات وتابعت: «من فضلك!».

شعر هيوغ بثقتها الشديدة بنفسها، فعلى الرغم من توترها الواضح قالت: «من

فضلك» بنبرة مهذبة تخلو من الرعب أو التوسل. ربما كانت فعلاً بحاجة للقيام بتلك القفزة من أجل أمر مهم حقاً.

هزّ برأسه وتحرك ليدير المحرك، فابتعدت عن طريقه وماهي إلاّ لحظات حتى انطلق القارب ببطء شديد.

سألته: «ما الذي تنتظره؟».

- أنت.

نظرت إليه بذهول، فقال يشرح لها: «لا يمكننا السير بسرعة، لأنني لن أتمكن من سماعك وأنت تخبرينني لماذا قفزت».

وتابع محذراً: «ومن الأفضل أن يكون السبب مقبولاً، وهكذا أفهم سبب هروبك».

* * *

- لا أصدق كلمة مما قلته!

قال الصياد المذهول ذلك بوضوح عندما أخبرته سيدني عمّا دفعها إلى القفز من اليخت الكبير إلى البحر.

حدّقت إليه بغضب؛ من الذي أعطاه الحق ليحاكمها، بحق الله؟

- حسناً! صدّقتَ ذلك أم لا. هذه هي الحقيقة.

- دعيني أوضح المسألة ببساطة: قفزت من اليخت في وسط المحيط كي لا تتزوجي. هل هذا ما قلتِه؟

أدار عينيه في كل الاتجاهات، ثم أحنى رأسه إلى إحدى الجهات وركز نظره عليها وهو يقول: «هل أنت صغيرة جداً كي لا تتذكري أن بإمكانك أن تقولي «لا»؟».

لا بد أن يومان على الأقل مرّا على نمو لحيته، كما أنه يرتدي بنطلون جينز باهت اللون ممزقاً، وقميصاً قديمة قصيرة الأكمام عليها رسومات شنيعة لطائر الفلامنغو ولأشجار النخيل.

قالت له سدني بتعجرف: «لو قلت «لا» لما كان لتلك الكلمة أية فعالية مؤثرة».

إلاّ أنها شكّت أن يفهم الرجل ما تقصده بكلامها. أكّد لها ذلك عندما كرر ما قالته: «فعالية... مؤثرة... وما معنى ذلك بلغتنا؟».

- لم يكن ذلك مناسباً. مع أنني أشك بأن تفهم معنى هذه الكلمة أيضاً.

رفع حاجبيه حتى كادا يلامسان الشعر المنسدل فوق جبهته، وتابع: «أنا... لا أعرف معنى كلمة مناسباً؟ من الذي قفز إلى مياه المحيط على بعد أميال من الشاطىء؟».

أحست بوجهها يلتهب من الحرارة، وبركبتيها رخوتين كالهلام، لكنها رفضت الاعتراف بغبائها.

- لقد نجح الأمر. فهم لم يروني... لم يرني أحد.

- أهذا ما يجعل عملك مناسباً؟

كان يصرخ بها وهو يتابع: «أنت غبية حقاً! هل تعلمين ذلك؟ لو لم أصطدك بصنارتي لغرقت، أو أصبحت طعاماً لسمك القرش».

- لقد رأيت قاربك.

حدّق بها كأنها هاربة من مستشفى للمجانين، وقال: «رأيت قاربي؟ على بعد ربع ميل؟».

كلامه جعلها تبدو وكأنها ارتكبت حماقة بالغة، وبالنسبة إليه هذا أمر واضح جداً. أما بالنسبة لها، فقد كان عملاً مقبولاً جداً وضرورياً أيضاً في ذلك الوقت، إذ لم يكن هناك أية وسيلة أخرى أمامها.

من المؤكد أنها لا تستطيع أن تقول لرولاند كاروترز، المساعد الشخصي لوالدها، بأنه كاذب! ليس أمام المجموعة الكاملة للمدراء والمستثمرين الذين أحضرهم إلى اليخت للاحتفال بحصول شركة سانت جون للإلكترونيات على حق إنتاج الآلات من ماركة باتلر.

وكان رولاند يعلم ذلك، تباً له! لهذا السبب لم يقل لها أية كلمة مسبقاً، لكنه، ببساطة، اقترب من المذياع وأعلن زواجهما الوشيك. قال بصوته الساحر العميق إن الجميع سيشهدون الليلة مفاجأة مفرحة، إذ سيتأكد لكل شخص أن شركة سانت جون للإلكترونيات هي أسرة حقيقية، لأن الجميع سيشاهدون زواجه على متن اليخت من الابنة الوحيدة لسيمون سانت جون: مارغريت سيدني سانت جون.

ارتجفت سيدني من البرد، وعلا الشحوب وجهها. فقد أصيبت بالدهشة ولم

www.elromancia.com

تعد قادرة على الكلام. لم تستبعد أن يكون رولاند قد راهن على ذلك بالتحديد. وأخيراً عندما استعادت القدرة على الكلام، اقترب منها ووضع ذراعه حول كتفيها وضغط عليهما. كانت لا تزال غير قادرة على قول ما تفكر فيه.

لقد علمها سيمون سانت جون أن الشركة تأتي أولاً، لذلك لم يكن هنالك احتمال بأن تُقدم سيد على الإساءة إلى شركة والدها أو إلى من يمثله في مناسبة عامة كهذه. ورولاند يعلم ذلك. لذا تلاعب بحياتها، معتمداً على موافقتها وعلى قبولها بما يجري، لأن زواجهما سيحقق أفضل النتائج لشركة سانت جون للإلكترونيات.

إعلانه صدمها حتى الصميم. ولم يظهر أي شيء من ذلك على وجهها بسبب خبرتها التي تمتد إلى سنوات في حقل العلاقات العامة. لكن، سواء شعرت بالصدمة بسبب إعلانه أم بسبب ردة فعلها على هذا الإعلان، فإنها بحاجة إلى بعض الوقت وإلى التفكير بذلك على انفراد.

لو أنه سألها إن كانت تقبل بالزواج منه.. لو أنه تودد إليها محاولاً استمالتها، متظاهراً أنه يحبها... لربما... ربما وافقت على الزواج منه.

لكنه لم يفعل. لقد افترض أنها سوف تسير مع خطته، لأجل مصلحة الشركة، وليس لأنه يحبها. لم يتظاهر رولاند مطلقاً أنه يحبها. فهما زميلا عمل لا أكثر.

أدركت سيد أنها لو وافقت على خطته تلك، لأصبحت الآن السيدة رولاند كاروترز. بل بالأحرى لأصبح رولاند الآن سيد سانت جون للإلكترونيات. لأن ما دفعه إلى ذلك هو الحصول على الشركة، ولا شيء آخر.

ارتجفت سيد لمجرد التفكير كم كانت قريبة جداً من الموافقة لو أنه قدم طلبه بطريقة أقل سيطرة.

شكراً لله لأن رولاند تجرأ على افتراضه هذا! فالآن علمت سيدني أن هناك حداً لن تتخطاه.

لن تقدم على الزواج إلا بسبب الحب. لكنها لا تستطيع قول ذلك أمام الضيوف. حاولت أن تتحدث إليه بينما كان يسير بقربها إلى الطابق الأرضي في اليخت، لتبدل ثيابها، وترتدي الفستان الفضي المغطى بالخرز. فقالت: «هذا

جنون، رولاند. لا بد أن تصرفك هذا سببه تعرضك لحرارة الشمس القوية».

قال يؤكد لها: «أنت تعلمين أن زواجنا هو الأفضل لنا، مارغريت».

ثم قال لها وهو يدفعها نحو حجرتها الخاصة: «لا تتصرفي بحماقة، عزيزتي. فهذا لا يليق بك».

لا، هذا ليس من عاداتها، لكنها لم تتعرض لمثل هذا الموقف من قبل. أغلقت باب غرفتها في وجهه. لم يتأثر رولاند بل قال لها: «أسرعي وبدلي ثيابك، مارغريت. فالجميع بانتظارك».

قالت من وراء الباب: «لن أتزوج منك، رولاند».

أجابها متظاهراً بالمرح: «آه، مارغريت حباً بالله، توقفي عن التذمر وتحركي. سأكون على ظهر المركب بانتظار عروسي».

قالت لمنقذها الشكاك بجزم: «أنا سبّاحة ماهرة. علمت أنني أستطيع القيام بذلك. كما أن ذلك أفضل من إحداث جلبة لا داعي لها».

- ولو أن سمكة قرش التهمتك، ألن يحدث ذلك جلبة لا داعي لها؟

بدا غاضباً ولم تفهم سيد سبب شعوره هذا. فليس هو من كان معرضاً لأن يصبح طعاماً للأسماك.

قالت برقة: «لم أعتقد أن هناك أسماكاً في الجوار».

لمعت عيناه وهو يقول: «هذا هو المحيط، عزيزتي! لماذا بحق السماء لا يكون هناك أسماك؟».

قالت برقة: «لم تكن تصطاد أية سمكة».

أصدر صوتاً مخنوقاً، وانتزع قبعته البشعة عن رأسه قبل أن يمرّر يده في شعره الداكن الذي يحتاج إلى قص، وسألها: «كيف يمكنني أن أصطاد أية سمكة وأنت تسبحين وتضربين المياه كالمجنونة؟ لقد أخفتها بالتأكيد».

قالت متسائلة: «حتى أسماك القرش؟».

تبادلا التحديق بقوة، وربما كان الأمر سيطول كثيراً لو لم تتخذ الكلبة طريقاً بينهما. من الواضح أنها قامت في تلك اللحظة بدور صانعة السلام. مدّت سيد يدها لتدغدغ أذني الكلبة وسألته: «ما اسمها؟».

www.elromancia.com

للحظة، ظنت أنه لن يخبرها. لكنه ضغط على شفتيه، ثم رفع كتفيه بلا مبالاة وقال: «بالي».

حرّكت الكلبة ذيلها ما إن سمعت اسمها. دندنت سيد: «مرحباً، بالي».

ودغدغت الأذنين الناعمتين للكلبة، وتلقت، كمكافأة على ذلك، دغدغة على يدها. تابعت تقول: «أنت جميلة حقاً. أنا سيد».

قال مالك بالي بصوت كالصدى، كأنه لم يصدّق ما سمعه: «سيد؟».

ترددت قليلاً، ثم قالت له اسمها الكامل: «مرغريت سيدني سانت جون».

وانتظرت أن تظهر عليه أي دلالة تشير إلى أنه يعرف من تكون، إلا أنه ظل ينظر إليها ولم تظهر على وجهه أية ملامح تدل على أنه يعرفها. لم يدرك أنه يتكلم مع المرأة التي اسّس والدها واحدة من أهم شبكات الاتصال في العالم. امرأة تداولت اسمها أهم المجلات الاقتصادية في الأيام الأخيرة، لأنها وورولاند كاروترز كانا يتفاوضان لشراء إحدى الشركات الكبرى. لم يدرك هيوغ أنه يتكلم الآن مع المرأة الأكثر أهمية في دنيا الأعمال في أميركا. بدت ردة فعله عادية جداً. وبتردد مدّ يداً تفوح منها رائحة السمك وقال: «هيوغ ماكغيلفراي».

مكغيلفراي.. يا له من اسم ضخم، إنه يشبهه تماماً! فهيئته تبدو كهيئة المحارب الإيرلندي. تخيّلته سيد وقد صبغ وجهه باللون الأزرق، وتساءلت كيف يمكن أن يبدو ببذلة رسمية...

على الفور، أعادت انتباهها إلى اللحظة الآتية. أمسكت بيده الممدودة على مضض، ولم تتخيّل على الإطلاق أنها ستشعر بالتوتر جراء تلك اللمسة الصغيرة. لطالما اعتادت أن تصافح أيدٍ ناعمة في قاعات الاجتماعات، وعلى الفور، شعرت بالفرق. فراحة يد هيوغ ماكغيلفراي خشنة وقوية، كما أن هناك جرحاً كبيراً على ظاهر يده.

سألته: «أهذه آثار عضة قرش؟».

ضاقت عيناه، والتوت زاوية فمه. لكنه هزّ رأسه بحزن وقال: «بل هي آثار سمكة باراكودا».

شعرت برجفة في جسمها، فرمشت بعينيها وقد أخذتها المفاجأة. وبسرعة،

ابتلعت غصة وقالت: «أحقاً؟».

رماها هيوغ ماكغيلفراي بابتسامة ماكرة وقال: «لكنني حصلت عليها».

ثم رماها بنظرة خاطفة وهو يدور بالقارب ببطء متجهاً به إلى الخليج الصغير في بليكان كاي.

كانت أنوار الشارع المقابل لرصيف الميناء وأنوار المنازل القريبة من المرفأ تنعكس على صفحة المياه، فتتلألأ مشعة عبر الظلام. بدت المنازل المنتشرة على التلة الصغيرة لبلدة بليكان كبيوت الدمى... صغيرة، مرتبة، وحقيرة. مع ذلك فقد بدت مرحبة بالقادم إليها.

ها هو المنزل! ابتسم هيوغ، كما يفعل دائماً عند رؤيته لمنزله. مع ذلك، ساوره الشك بأن يؤثر هذا المنظر بالآنسة مرغريت سيدني سانت جون. مهما كان السبب الذي دفعها للقفز من ذلك اليخت، فمن المؤكد أنها كانت على متنه. لهذا السبب أدرك أنها تتمتع بمركز اجتماعي أعلى من مركزه، ومن معظم الناس الذين يعيشون في بلدة بليكان. فهؤلاء الناس، موردرزقهم الوحيد قوارب الصيد المنتشرة في المرفأ الليلة. أما طريقتها بالنظر إليه بتعالٍ من فوق أنفها فأكدت له شكوكه تلك. وخطر بباله أن الناس في بليكان لا يطلقون على بناتهم اسم سيدني... أي اسم أحمق لفتاة هو هذا الاسم؟ وافترض أن والدها العجوز كان يريد صبياً بدلاً منها.

من المحتمل أنها ابنة وحيدة. هذا ما فكّر به وهو يطلق ابتسامة ملتوية. فمن الكلام الذي قالته فهِمَ أن والدها قد تزوج من شركته واعتقد أن ابنته هي امتداد للشركة. لكن بدا له أنها لا تتذمر من ذلك. يا إلهي. لا!

في الواقع، دافعت بشدة عن والدها، عن شركة سانت جون للالكترونيات. وعندما سألها لماذا تهتم إن سببت الإحراج للمدير المساعد، ولما لم تقل له ليذهب إلى الجحيم وإنها لن تتزوج منه، قالت معترضة: «لا يمكنني القيام بذلك، فهذا سيعطي صورة سيئة عن الشركة. سنبدو أنا وورولاند كأننا على نزاع. كما أن ذلك سيزعج والدي».

سألها هيوغ: «ألا تعتقدين أنه سوف يشعر بالانزعاج أكثر عندما يسمع أن ابنته أصبحت طعاماً لسمك القرش؟».

إلا أنه شعر بالندم على كلامه الصريح، عندما رأى الشحوب يعلو وجهها تحت ضوء القمر. وأدرك أنها، وللمرة الأولى كما يبدو، فكرت بالمأزق الفعلي الذي وضعت نفسها فيه.

تركها هيوغ وشأنها. ثم ضاعف من سرعة القارب موجهاً إياه نحو الجزيرة. راح ينظر إليها بين الفينة والفينة، وقطّب وجهه عندما لفّت ذراعها بتعاطف حول بالي وشدّتها إليها بقوة. جلست بالي هناك مستكينة تنعم بالدفء، أما هيوغ فأغمض عينيه وحاول إبعاد تفكيره عنها.

الأحاسيس التي أثارتها فيه مارغريت سيدني سانت جون بدت قوية جداً، وهذا ما جعله يشعر بالارتباك. المرأة الوحيدة التي تجعله يشعر بمثل هذه الأحاسيس هي كارين. وعلى الرغم من السعادة التي تحملها إليه تلك الأحاسيس فهو لا يرغب بتجربتها مرة أخرى، لا سيّما مع امرأة مجنونة كهذه. حاول طمأنة نفسه بأن ما يشعر به ليس بسببها، مع أنها فاتنة. كل ما في الأمر أنه لم تكن هناك أية امرأة في حياته في الفترة السابقة. لقد رافقه الانزعاج في كل ساعة من ساعات يقظته طوال هذا الصيف، بسبب اهتمام الحلوة ليزا وتصميمها على الزواج به. كما أن النساء الأخريات رحن يتجنبنه قائلات له: «لديك صديقة» وذلك قبل أن يرفضن دعوته.

لقد طفح الكيل... يا للنساء! بات هيوغ يشعر باليأس منهنّ. فكلّهن مجنونات. على الأقل هذه المرأة، الآنسة مرغريت سيدني سانت جون، التي ستكون بعيدة عن حياته سريعاً.

ما إن يصل إلى الشاطىء، حتى يأخذها إلى مونستون، الفندق الذي يملكه أخوه لاشلان، حيث ستمضي الليل. ومن هناك يمكنها الاتصال بوالدها. وعند الصباح سيأتي والدها لإنقاذها، وهكذا سترحل في غضون يوم واحد. لن يراها هيوغ ثانية، وذلك يناسبه تماماً.

مع أنه لا يزال يشعر ببعض الأسى لأنها لم تكن سمكة كبيرة. لا بد أن أخاه لاشلان سيضحك كثيراً عندما يسمع أن هيوغ قد اصطاد امرأة... من خلفه، تناهت إليه شهقة من المرأة التي اصطادها. استدار لينظر إليها، وسألها بخشونة: «ما

الأمر الآن؟».

- لا شيء مهم. إنه...

أشارت بيدها إلى المرفأ والبلدة، وتابعت تقول بحماس: «... منظر جميل جداً. هذا كل شيء.. وكأنها الجنة!».

فهم هيوغ على الفور ما الذي تقصده، فهو يشعر بذلك الاحساس تماماً. لكنه قطب جبينه لأنه لم يعجب بطريقة وصفها تلك وبابتسامتها التي تمكنت من اختراق دفاعاته. حرك مؤخرة رقبته بقوة، وقال معترفاً: «أحبها كثيراً»

ظل يتمتع بالمنظر للحظات أخرى قبل أن يتابع: «لكنها ليست بلدة حديثة بالمعنى الصحيح. هناك بعض الفنادق الصغيرة والمنتجعات في الجهة الأخرى من الجزيرة. أحدها أنيق حقاً، يقع في الناحية الشمالية واسمه ميرابال. إنه ملك لأخي. سآخذك إلى هناك فتتمكنين من قضاء الليلة فيه».

- لا!

تجهم وجه هيوغ وقال: «ما الذي تقصدينه؟».

- لا أريد الذهاب إلى فندق أو إلى منتجع. أريد الاختفاء عن الأنظار.

التوى فمه وقال: «ماذا؟».

ساوره شك كبير أن تكون سيدني سانت جون قد استخدمت مثل تلك العبارات من قبل، أو طبقتها على نفسها في أحد الأيام. حتى وهي ملتحفة بذلك الغطاء، وعلى الرغم من شعرها الأشعث المليء بالملح، فهي ما زالت تبدو امرأة مذهلة، ولا يمكن نسيانها.

أرجعت رأسها إلى الوراء، وقالت بغضب: «أحتاج إلى الابتعاد عن الأنظار لفترة. عليّ أن أفكر بما سأفعله، وبكيفية تدبير الأمور».

شعر هيوغ بدافع يحثه على التعليق بقوله: «كان بإمكانك تدبير الأمور، لو أنك قلت «لا» منذ البداية».

نظرت إليه وهي تشعر بنفاد الصبر، وقالت: «أخبرتك من قبل. لم أكن أستطيع القيام بذلك. لو فعلت ذلك لأفسدت كل شيء».

لم يستطع هيوغ تفهم الأمر، لكن من الواضح أنه ليس مجنوناً مثلها. كما أنه

ليس امرأة. وفكر أن عليه أن يكون أحد هذين ليتمكن من تقبل تصرفها هذا.

- حسناً، لا بأس. مهما يكن الأمر، هناك مونستون. إنه مكان رائع، من طراز القصر الفيكتوري...

- لن أذهب إلى أي فندق.

سألها بسخرية: «إذن ما الذي تخططين للقيام به؟ أترغبين بالنوم على الشاطىء؟».

نظرت حولها، ورأت كيس النوم تحت قوس القارب، فتابعت بفرح وإشراق: «سأنام هنا».

- هذا مستحيل!

بإمكانه أن يتصور ما سيحدث؛ سيأتي صيادو بليكان كاي إلى قواربهم وهم يتذمرون ويتعثرون عند الصباح، وسيرون سيدتي سانت جون تخرج من كيس نومه.

لا شك أنها ستسبب الصدمة لهؤلاء الصيادين! وما الذي ستفعله بعدئذٍ؟ ستسير بتمهل على الرصيف، لتستعمل الحمام الموجود في مبنى الجمارك وهي تتدثر بلحاف بالي، أو... الأسوأ من ذلك، أنها ربما تستغني عن لحاف بالي!

هزَّ هيوغ رأسه بقوة. ثم أوقف المحرك عن العمل واندفع نحو الرصيف، وهو يقول: «لا مجال لذلك البتة. أنصحك ألاّ تفكري بالأمر».

لكن من الواضح أن هذا ما كانت تفكر به، فقالت: «لن أسبب الأذى مطلقاً، وسأنظف كل شيء هنا».

جعدت أنفها وهي تتابع: «هذا القارب بحاجة ماسة إلى التنظيف».

- لا!

أمسك بقوة بالحبل المتصل بمؤخرة القارب، ولفّه حول أحد الأعمدة على الرصيف، ثم قفز ليربط قوس القارب بطريقة مماثلة. تبعته المرأة المجنونة، مبعدة بالي من طريقها.

- لا تكن عنيداً، مكفيليغراي.

وتابعت تفاوضه: «لليلة واحدة فقط، أو ربما.. اثنتين. سأنظف لك القارب، وقد أدهنه أيضاً. فأنا أحب أن أقوم بعمل مفيد».

- لا! ستسببين أزمة قلبية للصيادين.

- إذن، ماذا عن البقاء معك؟

- معي؟

شحب وجه هيوغ، واستدار بسرعة ليحدق بها غاضباً وهو يقول: «أنت لا تريدين البقاء معي».

وافقته بسرعة: «بالطبع لا أريد ذلك، لكنني بحاجة إلى مكان لا يتمكن رولاند من إيجادي فيه».

- ليس في منزلي. فأنا أعيش في كوخ.

لم تكن تلك هي الحقيقة. فمنزله صغير بالطبع، لكنه ليس مهدماً. وهو يطل على الشاطىء من الجهة الأخرى للجزيرة. إنه منزل قديم ومريح، ورائع تماماً بالنسبة إليه. لكنه صغير جداً لاستقبال أشخاص مثل سيدتي سانت جون.

تمتمت: «كوخ! بالتأكيد؛ لا أشعر بالاستغراب».

بدا كأنه ابتلع الطعم، وقال موضحاً لها: «بالنسبة إليك هو مجرد كوخ، أما بالنسبة لي فهو مناسب جداً».

- إني متأكدة من ذلك، وهو سيكون مناسباً لي أيضاً، لمدة قصيرة. فقط إلى أن أستجمع أفكاري، وأضع خطة للعمل. ولكي أعطي رولاند مهلة ليفكر. لن أسبب لك أية مشكلة.

إن صدق ذلك، فما هي الخطوة التالية التي ستقوم بها؟ هل ستبيعه جسراً من ناساو إلى ميامي؟

قال هيوغ بحزم: «ليس هناك من مكان لك، إنه مجرد منزل صغير على الشاطىء. ليس بمستوى حياتك».

قالت باصرار: «أستطيع تحمل أي شيء لأيام قليلة».

- حسناً! أنا لا أستطيع. وما من شيء تقولينه سيجعلني أبدل رأيي.

توقف عن الكلام فجأة عند سماعه صيحة حادة لصوت أنثوي ناعم ينادي باسمه من نهاية رصيف الميناء. ضغط على أسنانه بقوة وأغمض عينيه قائلاً: «تباً لها... بحق السماء!».

نظرت سيدني سانت جون إليه، مندهشة وقالت: «ماذا هناك؟».

- لا شيء.

وبسرعة، أمسك حقيبته بإحدى يديه، وبذراع سيد بلا لطف باليد الأخرى. ثم استدار نحو المرأة التي كانت تقترب منهما، متعمداً أن يُظهرَ هدوءَ وعدم اهتمام وهو يقول: «مرحباً، ليزا. كيف حالك؟».

ابتسمت له ليزا ابتسامتها الجميلة، فبدت غمازتاها الرائعتان حتى وهي تنظر بفضول إلى المرأة التي يمسك بها بقوة إلى جانبه.

- إنني بخير.

تابعت بصوت متردد: «لكنني شعرت بالوحدة قليلاً. اعتقدت أنك ستعود باكراً».

أجاب بغموض: «قلت لك إن لدي... عملاً».

- عمل؟

ارتعشت ابتسامتها وهي تنظر إلى سيد. ثم تابعت وقد اعتبرت أن وجود سيد هو أمر يتعلق بالعمل فقط: «بالطبع، لم أكن أدرك أنك ستحضر معك زبوناً».

وابتسمت لسيد ابتسامة ناعمة، ثم استدارت نحو هيوغ وتابعت: «حضّرت حساء السمك والبطاطا والبصل، وفكرت بأن نتناول الطعام معاً عندما تعود».

هزَّ رأسه وقال: «شكراً، ليزا. أقدر لك صنيعك، لكننا بخير».

تداعت ابتسامة ليزا كما تمنى هيوغ تماماً وقالت: «أنتما..؟».

بارتباك وحيرة نقّلت نظرها بين هيوغ والمرأة الواقفة بجانبه، تلك المرأة التي يمسك رسغها بقبضة من حديد.

أكد لها هيوغ: «نعم، نحن».

ثم ترك يد المرأة لفترة كافية فقط ليضع ذراعه حول كتفيها، وعاد يقول: «هذه هي سيد...»

قاطعته سيد على الفور قبل أن يلفظ ما تبقى من اسمها. فقالت بنعومة وهي تُمد يدها لمصافحة ليزا: «أنا سعيدة جداً لرؤيتك».

نظرت ليزا إلى يدها بحذر، لكنها أخيراً صافحتها وهي تنظر إلى اللحاف وإلى ما

يظهر من سيد نظرة تقييمية.

قالت بارتباك: «وأنا أيضاً، سيد».

وأخيراً تمكنت من استعادة ابتسامتها ثانية، وتابعت تقول: «اسمي ليزا. هل ستنزلين في ميرابال، أو في مونستون؟».

قال هيوغ قبل أن تتمكن سيدني سانت جون من قول أي شيء: «لا، ستبقى في منزلي».

على الرغم من شعورها بالدهشة من تغيّره المفاجيء، إلاّ أن سيد لم تقل كلمة واحدة. فهذا ما تريده، في النهاية. لقد توسلت إليه كي يسمح لها بالبقاء عنده، وهو يقوم بذلك خدمة لكليهما.

سيحظى التاجر العابث رولاند بعدة أيام من القلق، إذ ستحوم حوله الشبهات بأنه أقدم على إغراق ابنة رئيسه. وسيحظى هيوغ بامرأة جميلة، فاتنة لتعيش في منزله. وإن لم يقنع ذلك ليزا لمرة وللأبد بأنه ليس مهتماً بها، فمن المؤكد أن لا شيء آخر سيقنعها.

إنها مجرد ليلة واحدة، وربما اثنتين. وعلى الأكثر، ثلاثة... لن يتسبب ذلك، في الواقع، بأي سوء.

٢- تبحث عن ذاتها!

أبقى ماكغيلفراي ذراعه حول كتفيها كالملزمة فقالت سيد معترضة: «لا أرغب بأن تستخدمني لإثارة غيرة صديقتك».

تابعا السير على الرصيف نحو الميناء. ومن وراء كتفها رأت ليزا تحدق بهما وشفتها السفلى ترتجف.

- إنها ليست صديقتي.

- إذن لماذا تطهو لك حساء السمك وتنتظرك على الميناء؟

- لأنها تريد أن تصبح صديقتي.

قال ذلك من بين أسنانه، فيما ظل يطوقها بذراعه ويجرها لتسير بقربه.

تمسكت باللحاف جيداً وكادت تتعثر وهي تسرع لتتمكن من مجاراته.

- أحقاً؟ لماذا؟ فهي تبدو ذكية جداً بالنسبة لي!

تمتم ماكغيلفراي: «الله وحده يعلم لماذا، أمّا أنا فلا أعرف».

وصلا إلى جِيب صدىء مكشوف، كان متوقفاً عند نهاية الرصيف. رمى هيوغ أغراضه إلى مؤخرة الجيب، واستدار ليفتح لها الباب: «هيا، اصعدي. لا نملك النهار بأكمله لنمضيه هنا».

- آه!

رأت سِيد الأمر مسلياً. ها هي فتاة مثل ليزا تثير مخاوف ماكغيلفراي، مع أنه لا يبدو من النوع الذي يخاف من النساء. رفعت اللحاف قليلاً وصعدت إلى الجِيب.

- ما المشكلة إذن؟ هل تريد أن تنقذك من نفسك؟

بالكاد تركها حتى وضعت قدميها داخل الجِيب، ثم أغلق الباب بقوة وراءها.

- هذا ما تقوله أختي.

صَفَّرَ بقوة وضرب الدولاب مشيراً إلى كلبته: «هيا، بالي. تحركي».

قفزت بالي وجلست في المؤخرة، على حقيبة ماكغيلفراي. في الخلف، رأت سيد بعض الأوعية والصحون، وبعض المعدات غير المعروفة وعدداً من القمصان الملطخة بالشحم، وأكياساً من الورق بدت كأنها كانت تحتوي على وجبات طعام جاهزة. فكرت سيد أنها من وجبات الجنود، وربما ما زالت هناك منذ الحرب العالمية الثانية. لا بد أنها تعود إلى زمن الجنرال بيتان! فقالت معلّقة: «ما هذه الفوضى؟».

لكن يبدو أن رأيها بالجِيب ومحتوياته لم يؤثر مطلقاً بمكغيلفراي، إذ تجاهلها ولمس فرو بالي، ثم استدار وسار حيث تقف ليزا على الرصيف. توقف ليتحدث قليلاً مع ليزا، ثم حمل بعضاً من الأغراض التي أحضرها من القارب وتركها على الرصيف، فوضعها على ذراعيها الممدودتين. بعدئذٍ، رفع البراد بين ذراعيه، وسارا معاً باتجاه الجِيب.

حدّقت سِيد بهما. إن لم تكن ليزا صديقته، فمن تكون إذن؟

ما إن أصبحا بالقرب من الجِيب، قال هيوغ متحدثاً بمرح إلى ليزا: «شكراً لك، يمكنك وضع الأغراض في الخلف قرب بالي».

فعلت ليزا ذلك. وعندما انتهت، لاحظت سيد أن ثوبها المغطى بالخرز كان من بين تلك الأغراض. ومن الواضح أن ليزا لاحظت ذلك أيضاً، إذ ابتلعت غصّتها بقوة، قبل أن تتمكن من الابتسام ثانية بتصميم واضح. لم يظهر على ماكغيلفراي أنه لاحظ ذلك، إذ راح يصفّر وهو يضع البراد في مؤخرة الجِيب، ثم قال بنبرة عادية: «شكراً لك».

قفز إلى الجيب وأدار المحرك بسرعة وهو يتابع: «أنت صديقة حقاً، ليزي».

ضغط ماكغيلفراي على دواسة الوقود وانطلق مبتعداً عن الرصيف. وما إن ابتعد حتى قالت سيد معلّقة: «لقد جرحت مشاعرها».

رفع ماكغيلفراي كتفيه ونزل بحفرة أخرى. كانت الطريق الضيقة معبدّة لكن الحفر فيها أكثر من الإسفلت. وجه هيوغ الجِيب في طريق مستقيمة تتجه من الرصيف نحو التلة.

رأت سيد على جانبي الطريق بيوتاً خشبية وأخرى مبنية من الحجارة، كما رأت عدداً من الدكاكين. أما معظم الذين كانوا يتجولون على الطريق حينها فراحوا يلوحون لهيوغ، وهو يلوح لهم بدوره بدون اهتمام فيما هو يصعد التلة.

لاحظت أن هناك حدائق صغيرة تحيط بمعظم المنازل التي مرا أمامها، وبعضها تحيط بها جدران عالية تُتاخم الشارع. كما أن بعض المنازل هي ذات شرفات واسعة. ومما لاحظته سيد عبر الأنوار الخافتة المنتشرة على الطريق، أن تلك المنازل كلها قديمة العهد تماماً كالجيب، وكأنها تعود إلى مئة سنة أو أكثر وقد أُعيد تأهيلها كلّها أكثر من الشارع نفسه.

مرّا في طريق مليء بالحفر، ثم انعطف هيوغ بقوة ليمر عبر حقلٍ واسع، قبل أن يسير في طريق مرصوفة بالحصى، تحف بها الأشجار. ولم يمضِ وقت قصير حتى غادرا البلدة الصغيرة واندفعا في الظلام. في تلك المرحلة، بالكاد بدت الطريق أوسع من الجيب، فالنباتات تعلو من الجانبين لتلتقي فوقهما. وعلى رغم لمعان أضواء الجيب، لم تستطيع سيد أن ترى شيئاً. بعد فترة قصيرة، ومن خلال أوراق النباتات رأت سيد بعض الأنوار، كأنها مصابيح تتلألأ من خلال النوافذ، فشعرت أنهما وصلا. وما هي إلاّ لحظات حتى أبطأ ماكغيلفراي من سرعة الجيب، واستدار بحدة إلى اليمين ثم إلى اليسار، ليعود إلى اليمين ثانية. وفجأة، ظهر حائط أمامهما، فأوقف ماكغيلفراي الجيب وقد تناثر حوله الغبار والحصى. وما لبث أن أطفأ المحرك، معلناً بارتياح: «بيتي الحبيب الغالي».

تمكنت سيد من استعادة أنفاسها ثانية... وفي تلك اللحظة، قفزت بالي من الجيب وتبعها ماكغيلفراي.

قال مخاطباً سيد: «تعالي، وانتبهي من الأفاعي».

- أفاعي؟ يا إلهي!

غطت سيد جسمها أكثر باللحاف، لكن مع جلوسها هناك سمعت وقع خطواته تبتعد وراء المبنى. وفي ذلك الصمت، سمعت حركة في الشجيرات القريبة.

- انتظر! إني قادمة.

قفزت من الجيب، وهي تشد اللحاف حولها بقوة، وركضت وراءه مقطوعة

الأنفاس وقلبها يضرب بسرعة. وصلت إلى زاوية المنزل في اللحظة التي أُضيء فيها النور على الشرفة.

سرعان ما لاحظت أن أنواراً عديدة قد أُضيئت. فهناك حبل طويل مليء بالمصابيح الزهرية اللون المشعة، منثورة هنا وهناك. بالإضافة إلى مصابيح النيون المثبتة على أشجار النخيل الخضراء، والتي تتدلى عبر حافة السطح.

تمتمت سيد: «لم لم يفاجئني ذلك؟ كل ما تحتاجه الآن هو حبل من الفتيات لرقصة الهولا».

- ليس في هذه الجزيرة.

قال ذلك بفرح وهو يقف إلى جانب الباب، ثم تابع يقول: «لكنني لم أسمح لذلك بأن يوقفني».

ورفع مفتاحاً كهربائياً آخر، فأُنير حبل من فتيات الهولا على كل عمود من أعمدة الشرفة.

غمغمت سيد بكلام غير مفهوم، لكنها لم تستطع منع نفسها من الضحك قبل أن تقول له: «وما رأي صديقتك بذلك؟».

- إنها ليست صديقتي.

- صحيح؟

.. لكن إذا كان مجرد التكلم عنها يثير غضبه هكذا، فسيد لن تمانع بالتحدث عنها. لم تفارق الابتسامة وجهها وهي تصعد الدرجات القليلة لتصل إلى الشرفة، تلك الشرفة المليئة بالأغراض كالجيب تماماً. رأت زعانف للسباحة مبعثرة هنا وهناك، أدوات للغطس، شبكة لصيد السمك، أوعية وقدوراً مختلفة الأحجام، سريراً للكلبة وصحوناً للطعام وللماء، وعدداً من الآلات الميكانيكية غير محددة...

في الجهة الأخرى من الشرفة رأت أرجوحة من الشباك معلقة، وأرجوحة خشبية طويلة تتمايل قبالتها. من وراء الأرجوحة الأخيرة رأت لوحاً طويلاً لركوب الأمواج، فوقه بذلة للسباحة معلقة بلا ترتيب على حمّالة للثياب، وهذه الأخرى علقت على شجيرة صغيرة.

إنه على حق. فالمكان لا يشبه مطلقاً الفندق الذي غادرته مؤخراً في ناساو وهو فندق من طراز الخمس نجوم. لكن من ناحية أخرى، لا أحد هنا يعلن خطوبتها وكأنها مجرد صنف وضع على قائمة الطعام.

فكرت أنها حتى الآن، لم ترَ بعد أي أفعى، فقالت بفرح: «كم هذا جميل!».

فنظر إليها ماكغيلفراي نظرة مشككة. لكن سيد قابلتها بنظرة مرحة ومليئة بالتصميم. ولا بد أنها بدت مقنعة جداً، لأنه قال بخشونة: «هيا، لا تقفي هناك. فأنت بلا شك بحاجة للاستحمام، وسأجد لك بعض الملابس».

لم تكن الفوضى داخل المنزل أقل منها على الشرفة، حيث المجلات والجرائد متناثرة إلى جانب الأوعية والأواني. كانت هناك أجزاء من محرك على إحدى الكراسي، وكومة من الغسيل على أخرى. بالإضافة إلى كومة أخرى مرمية على الأرض. أما المغسلة، فهي بالطبع مليئة بالصحون القذرة.

علّقت سيد: «كنت أظن أن فصل الأعاصير هو الخريف فقط».

- إذا أزعجك الوضع، فبإمكانك القيام بأي شيء لتغييره.

سرعان ما انشغل ماكغيلفراي بالبحث في كومة الثياب النظيفة. هذا ما تمنته سيد عندما أمسك قميصاً قطنية وبنطلوناً قصيراً، ثم تأمل الكومة متردداً، قبل أن يستدير ويقدم الثياب لها.

- أتريدين ثياباً داخلية؟

رأت بعض الاحمرار يشوب رقبته ويصل إلى أعلى أذنيه... إنها متأكدة من ذلك. لكن هل من شيء يحرج هيوغ ماكغيلفراي؟ من كان يظن ذلك؟ قالت بلطف وهي تخفي ابتسامتها: «هذا لطف منك، شكراً».

نظر إليها ثانية نظرة جادة قبل أن يمدّ يده ثانية إلى الكومة ليحضر سروالاً قصيراً أزرق اللون ويرميه إليها.

- يمكنك استعارة بعض الثياب من أختي غداً إن شئت. مع أن مول لا تملك ثياباً نسائية أيضاً.

ثم أضاف وهو يبتسم: «بإمكانك أيضاً الذهاب لشراء الثياب. الحمام من هنا».

استدار على الفور وسار نحو آخر المنزل.

أمسكت سيد بالثياب، ورفعت اللحاف لتتمكن من السير براحة، وتبعته. إلى الجهة اليسرى رأت ما يبدو أنه غرفة جلوس، لكن ماكغيلفراي سار مباشرة عبر غرفة النوم باتجاه باب يقود إلى غرفة حمام صغيرة. على الأقل لديه حمام داخلي. جعلها ذلك تشعر بالارتياح.

كما أن لديه منشفة نظيفة أيضاً، هذا على الأقل ما افترضته، لأنه أحضرها من الخزانة.

- دعي المياه تجري قليلاً وسوف تصبح حارة بعد قليل. حاولي ألاّ تستعمليها كلها.

قالت تؤكد له: «لن أفعل».

لكنه كان قد سار مبتعداً وهو يقول: «انتبهي من العناكب».

نظرت حولها بخوف وقالت: «عناكب؟».

ابتسم ماكغيلفراي ابتسامة عريضة من وراء كتفه، وقال: «سخرتُ منك».

شعرت برغبة في قتله لشدة غيظها.

- امرأة لا تخاف من أسماك القرش يجب ألاّ تسمح للعناكب بأن تزعجها.

أضاف قبل أن يغلق الباب وراءه: «سأحضّر شيئاً لتأكله».

لم يكن هناك عناكب، أو أفاعي، بل كانت سيد هناك بمفردها. وفجأة شعرت أن كل القوة التي تحلت بها منذ إعلان رولاند المدهش قد فارقتها. تسارعت أنفاسها لتصبح شهقات ضعيفة، كما تسارعت خفقات قلبها بجنون. ثم أظلمت عيناها وراحت الغرفة تدور بها.

- آه، ساعدني!

أرادت أن تتمسك بأي شيء كي لا تقع أرضاً، لكنها فشلت في ذلك...

فُتح الباب بقوة.

- حباً بالله!

انحنى ماكغيلفراي بجانبها على الأرض، وقال: «ما الذي حدث بحق السماء؟».

- لا شيء.. أنا... لا شيء...

- هل أغمي عليك؟

- بالطبع لا.

على الرغم من شعورها بدوار في رأسها، وبضعف في ساقيها، إلا أنها تضايقت من ضمه لها فحاولت الابتعاد.

أمرها ماكغيلفراي قائلاً: «ابقي هادئة».

ودفع برأسها بقوة بين ركبتيها وتابع: «تنفسي بعمق، ولا تستسلمي للاغماء ثانية».

تنشقت المزيد من الأوكسجين، وهي تحاول جاهدة ألاّ تبدو كاذبة أمام نفسها، بينما راحت يده تضغط بقوة على مؤخرة رقبتها.

- تنفسي بقوة.. تباً!

- إني أحاول.. لكن..

وشهقت.

- كفي عن الكلام وتنفسي بعمق.

يا إلهي، كم هو فظ! قالت معترضة: «إنني بخير، كل ما في الأمر... أنني تعثرت».

- آه.. حقاً! تنفسي جيداً.

وهذا ما فعلته. وعاد الدم يضج في أذنيها وأخذ قلبها يقفز بين ضلوعها. تدريجياً، خفت دقات قلبها وتمكنت من الرؤية بوضوح. مع ذلك، بقيت يد ماكغيلفراي الصلبة تمسك برأسها بقوة وتضغطه إلى الأسفل.

تحركت وهي تقول بإصرار: «إنني بخير الآن».

تراجعت إلى الوراء لتبعد يده عنها. أخذت سيد نفساً عميقاً آخر، وجلست مستقيمة، فسقط اللحاف عن كتفيها.

أطلق ماكغيلفراي نفساً قوياً من بين أسنانه. ثم مدَّ يده، ورفع اللحاف ثانية ولفّه بشدة حولها من جديد.

تفاجأت سيد ورفعت نظرها إليه فنظر إليها بغضب وقال: «ما الأمر؟».

- لا شيء. لم أظن أنك...

وتلعثمت فتوقفت عن الكلام. فسألها: «ماذا؟».

- أنك تكره النساء.

أجفل هيوغ وكأنها أصابته برصاصة، ثم قال بصوت كالزئير: «ماذا تعنين بحق السماء؟».

ردّت عليه وكأنها تصرخ به: «حسناً، بدوت شديد الحرص على تغطيتي باللحاف، وكأن رؤيتي تزعجك! أعلم أنني لست فائقة الجمال..».

وتذكرت كيف أن رولاند كان قادراً على مقاومتها وعدم الاهتمام بها كامرأة، لكنها تابعت: «... لكن على الأقل، لم يشعر أحد غيرك بهذا الانزعاج من النظر إليّ».

غمغم هيوغ وتراجع إلى الوراء، كأنه يحاول الابتعاد عنها لأكثر مسافة ممكنة، وقال: «وهذا ما يجعلني أكره النساء بنظرك؟».

- أعتقدت... أعني، أنت قلت إن ليزا ليست صديقتك، وبدوت فظاً معها، كما أخبرتني أن أختك تعتقد أنها تحاول أن تنقذك من نفسك.

هذا ما جعل سيد تتوصل إلى ما استنتجته لتوها. تابعت تقول: «أنا لا أمانع إن كنت كذلك».

- وهل من المفترض أن أشعر بالراحة لذلك؟

- حسناً، أنا...

استقام هيوغ في وقفته، ثم نظر إليها بغضب وقال: «هل أبدو لك غير طبيعي، عزيزتي؟».

نظرت إليه من حيث كانت جالسة، وقالت بصوت ضعيف: «لا».

بدا على ماكغيلفراي الانزعاج والامتنان معاً، فتمتم: «تماماً».

شعرت سيد أن خديها يحترقان لشدة الإحراج، وقالت: «أنا.. آسفة. هل هناك ما أستطيع القيام به؟».

يا إلهي! شعرت كأنها في وسط لهيب من النار، فعادت تقول: «أقصد... فقط أن الأمر لا يعنيني».

قال ماكغيلفراي عندما رأى الارتباك على وجهها: «لا بأس، سأتخطى الأمر».

ثم مدَّ يده، وتابع: «هيا، هل تستطيعين الوقوف على قدميك؟».

- نعم، بالطبع.

ليتها تستطيع تجاهل يده الممدودة نحوها، لكنها خافت أن تسقط ثانية إن فعلت. بطريقة ما، أدركت سيد مدى تأثيرها عليه ما إن تلامست أيديهما، ما دفعها لترك يده ما إن وقفت على الفور.

قالت تؤكد له: «إنني بخير، حقاً. أصبت بالدوار قليلاً، ولم يغمَ عليَّ مطلقاً».

أجاب بخشونة: «كما تشائين».

لكن عيناه بقيتا تلمعان بشدة، وانبعث في الجو حولهما شحنة من مشاعر غامضة. أهو الانجذاب؟ إنه أشبه بشحنة كهربائية أومضت بينهما للحظة من الزمن.

على الفور، أبعد ماكغيلفراي نظره عنها. وظهر الضيق على وجهه. مسح يديه بجانبي بنطلونه القصير، واستدار متجهاً نحو الباب قائلاً بصوت خشن: «أسرعي، لأنني أجهز الطعام».

أغلق الباب وراءه وبقيت سيد واقفة هناك تنظر خلفه بذهول.

لكن شيئاً ما تغير من حولها. شيء ما مختلف، وكأن شحنة من الطاقة انتشرت في هواء الغرفة. وسيد معتادة على الإحساس بهذا الحماس، فهي تشعر به عندما تكون على وشك إبرام صفقة عمل، حيث تصبح الطاقة هي التي تدير الأمور على هواها. وهذا ما تشعر به الآن!

لكن لم يكن هناك أي اتفاق عمل، أو أي صفقة على الإطلاق، إنما فقط إحساس كل منهما بالآخر. ذلك الإحساس الذي يجمع بين رجل وامرأة... بدا واضحاً أن ماكغيلفراي يشعر بالانجذاب نحوها.

بالطبع تعرف سيد نظرياً الكثير عن مثل هذه الأمور. لكن لم يكن هناك أي رجل في حياتها من قبل. اهتم بها الرجال فقط لأنها ابنة أبيها. أما رولاند فلم يعطها سبباً واحداً يجعلها تعتقد أن اهتمامه بالزواج منها له علاقة حقيقية بجاذبيتها. أراد

الزواج بها لأن زواجهما مفيد للعمل، ولم يتظاهر يوماً بعكس ذلك. كم يبدو ذلك مخزياً!

فرولاند لم يكن يكترث لجمالها، فكيف تتوقع من أي شخص آخر أن يتعثر لأجلها؟

ذكرت نفسها وهي تقف تحت رشاش المياه أن ماكغيلفراي لم يتعثر، لكنه بدا مهتماً ومتأثراً بها.

ابتسمت لنفسها إثر هذا الاكتشاف، فقد جعلها تشعر بالحياة وبأنها مرغوبة لنفسها، لكونها امرأة، وليس لأنها مصدر قوة في شركة سانت جون للألكترونيات. أفرغت قليلاً من الشامبو على يدها وبدأت تفرك شعرها. اشتمت رائحة الزيزفون والبحر وشيء آخر لم تستطع أن تميزه. لكنه منعش وقوي، وقد أحبته أكثر من الشامبو برائحة الزهور التي هي معتادة عليه.

إنها بداية جديدة!

وضعت رأسها تحت رشاش المياه لتتخلص من رغوة الصابون. غسلت رولاند كاروترز من شعرها، وكذلك سانت جون للالكترونيات، ثم راقبت كيف اختفى الصابون في مصرف المياه خلال لحظات قليلة. شعرت بالنظافة والحيوية وبأنها خفيفة كالهواء، كما شعرت بأنها مرغوبة ومحبوبة.

يا لها من أفكار آسرة!

أغلقت سيد صنبور المياه وجففت جسمها، ثم ارتدت الثياب التي أعطاها إياها ماكغيلفراي. وضعت بعض قطرات من عطر الزيزفون الذي يستعمله مكغيليفراي بعد الحلاقة على رسغها، وبدأت بالتخطيط للمستقبل.

إحضار سيدني سانت جون إلى منزله غلطة كبرى، فالمرأة مصدر خطر عليه. هذا ما فكر به هيوغ وهو يحدث ضجة عالية في المطبخ، محاولاً إلهاء أفكاره عن المرأة التي تستحم وراء الباب المغلق. إنها تفوق ليزا ميليغان جمالاً بعشر مرات لكن يبدو أنها لا تعلم ذلك. لقد بذل جهداً مضاعفاً كي لا يظهر تأثره بها، ما جعلها تظن أنه يكره النساء. لكن الحقيقة هي أنه لم يشعر بحبه للنساء في حياته كلها كما شعر بذلك اليوم.

وقف هيوغ قرب طاولة المطبخ، وراح يقطع البصل ليطهو عجة البيض. لكن ما إن أغمض عينيه حتى تراءت له في خياله، وأدرك أنه لا يزال يتذكرها أكثر مما يعتقد. كما أن اللمحة الصغيرة التي حصل عليها عندما سقط اللحاف عن كتفيها منذ لحظات قليلة لم تساعده على تهدئة مشاعره نحوها، وهو ليس بحاجة إلى المزيد. إلاّ إذا توطدت العلاقة بينهما. وهذا أمر لن يحدث مطلقاً.

لن يسمح بحدوث ذلك، لأن سيدني سانت جون لا تختلف كثيراً عن ليزا ميليغان. وإذا كانت قد أخبرته الحقيقة حول ما حدث في اليخت، فذلك يعني أنها ذات تفكير مثالي.

لقد رفضت الزواج من رولاند غير مكترثة لأسبابه العملية. إذن لا بد أن لديها بعض الأفكار الرومانسية بشأن الزواج القائم على الحب.

لا خطأ مطلقاً باعتقادها هذا، فهو نفسه يؤمن به. وهذا ما أمل بتحقيقه مع كارين، لكنه لم يستطع الحصول عليه، لذلك تعلّم أن يصرف اهتمامه إلى شؤون أخرى كالمرح والتسلية والعلاقات العابثة بدون أي روابط. لكن لا مجال للعبث مع سيدني سانت جون.

قال محدثاً بالي: «لن يحدث ذلك مطلقاً. لا مجال لذلك».

وهكذا، عندما دخلت سيدني سانت جون المطبخ بعد خمس عشرة دقيقة، كان مستعداً لرؤيتها.

بالأحرى.. ظن أنه مستعد لذلك إلى أن لمح قامتها الرشيقة داخل قميصه القطني الأزرق وبنطلونه القصير. في تلك اللحظة غدا وعده الحازم وكلماته المدروسة كلها بلا معنى. قالت وهي تبتسم له بابتهاج: «لا بد أن الاستحمام يشعر المرء بالانتعاش، فأنا أشعر أنني بحال أفضل».

وهذا ما بدا عليها فعلاً، فقد رفعت شعرها الطويل داخل منشفة فبدت كالملكة نفرتيتي، بعنقها الطويل وتاجها.

ابتلع هيوغ غصة وهو يفكر بجمالها الأخّاذ. إنه جمال يخطف الأنفاس...

أخيراً تمكن من القول: «يسعدني سماع ذلك».

شعر بالراحة لأنه لم يبدُ أمامها كمراهق في الرابعة عشرة من عمره. ولكي يؤكد

على ذلك، تنحنح ثم تابع بعد أن استجمع شجاعته: «اجلسي وابدئي بتناول الطعام».

وضع العجة في صحنها، ثم أشار إلى صحن مليء بالتوست وصحون أخرى عديدة فيها بقايا طعام كانت ليزا قد أحضرتها رغبة في استمالته، وتابع يقول: «بعدئذٍ علينا أن نوضح بعض الأمور».

- بالتأكيد.

ابتسمت له ابتسامة مشرقة وهي تتحرك بسعادة نحوه. نظر هيوغ بعيداً وقضم قطعة من العجة، ثم بدأ بسكب السلطة في صحنها.

اعترفت سيد بمرح: «هذا رائع! هل طهوت ذلك كله بنفسك؟ أنا لا أجيد الطهو».

ابتلعت قطعة من العجة ثم تناولت ملعقة كبيرة من السلطة وأغمضت عينيها بعد أن شعرت بسعادة كبرى، وقالت: «يا إلهي، كم هي شهية! أنا جائعة جداً».

شرعت بالأكل مبتدئة بالبيض والتوست واللحم المقدد، بعد ذلك تناولت بقايا الطعام المكونة من سلطة الكرنب وجوانح الدجاج التي أحضرتها ليزا.

حاول هيوغ ألاّ ينظر إليها ويراقبها. فهي مجرد امرأة تأكل، حباً بالله! ولا شيء يدعو للعجب والاعجاب بشأنها. إلا أنها بدت مستمتعة بطعامها، فكانت تنهد بسعادة وتضغط على شفتيها. فكّر هيوغ أن مراقبتها وهي تأكل جناح الدجاجة كمشاهدة فيلم قديم لطوم جونز. غير أنها بدت أكثر إثارة من تلك المرأة التي شاركت في الفيلم مع ألبرت فيني. قفز واقفاً وأخذ يسير بخطى واسعة في الغرفة.

سألته سيد وهي تلاحقه بنظراتها: «هل هناك ما يزعجك؟».

- لا!

قال ذلك وكأنه يصرخ بها، ثم تابع: «إنني فقط أرغب بتحضير القهوة. هل تريدين فنجاناً من القهوة؟».

- سيكون ذلك رائعاً.

أعدّ أبريقاً من القهوة. وأثناء قيامه بذلك، تمكن من السيطرة على نفسه. استرجع في ذهنه كل الأشياء التي يجب أن يقولها ليتأكد أنهما سيمضيان اليوم التالي

وربما ما بعده بدون أي شعور بالمرارة. وما إن أصبحت القهوة جاهزة، حتى سكبها في فنجانين كبيرين، ثم حملهما وسار نحو الطاولة.

وضع أحد الفنجانين أمامها، وحمل فنجانه إلى الجانب الآخر من الطاولة. جلس قبالتها ببطء متعمدٍ، كي يجعلها تفهم أنه بالغ الجدية.

أخذت فنجان القهوة منه بامتنان، لكنها تابعت تناول الدجاج. حوّل هيوغ نظره عنها، وقال: «قاعدة رقم واحد».

رفعت نظرها وهي تحمل الشوكة إلى فمها، ثم رمشت بعينيها وقالت: «ماذا؟».

ضغط على فمه وقال: «نحتاج إلى وضع بعض القواعد الأساسية هنا، كي لا تساورك أفكار خاطئة».

- أفكار خاطئة!

توقفت سيد عن الكلام، ووضعت الشوكة المليئة بالسلطة في فمها. أغلقت فمها وأخذت تمضغها ببطء، وكأنها تمضغ كلامه مع الطعام. وطوال ذلك الوقت لم تترك عيناها الزرقاوان عينيه، حتى شعر هيوغ وكأن ضغط دمه قد ارتفع. أخيراً ابتلعت الطعام، وقالت: «حسناً، سنضع قواعد أساسية».

وضعت شوكتها جانباً وضمت يديها معاً في حضنها وتابعت: «وبكل الوسائل التي تريدها».

هل هناك شيء ما في صوتها؟ كالسخرية مثلاً؟ جعله ذلك ينظر إليها بعينين ضيقتين، لكنها ابتسمت له.

عبس هيوغ في وجهها وقال: «لا أريدك أن تتوهمي أية أفكار».

- أفكار؟ بشأن ماذا؟

قال لها بصراحة: «بشأننا».

اتسعت عيناها، وقالت مبدية استغرابها: «بشأننا؟».

- نعم، نحن، أنا وأنت. بالنسبة لما حدث سابقاً. هناك في الداخل.

وأشار برأسه نحو غرفة الحمام.

رفعت سيد حاجبيها باستهزاء: «آه! فهمت. عندما أظهرت إعجابك بالنساء».

بدت صريحة جداً بتعبيرها، لكن هيوغ يعرف أساليب النساء جيداً. ضغط على شفتيه، وأجبر نفسه على القول: «سمّي ذلك ما شئتِ. المهم هو ألاّ تعتقدي أنني مهتم بك، لأنني في الواقع، لست كذلك!».

ابتسمت له وقالت: «بمكننا أن ننسى هذا الموضوع».

ثم التقطت شوكتها ثانية وغرزتها في صحن السلطة ثم التهمت ما علق بها من الطعام.

ضغط هيوغ على شوكته بقوة وكأنه يخنقها، مستعيضاً بها عن عنق سيدني التي يرغب بخنقها حقاً. ثم قال لها بوضوح مطلق: «وافقت على بقائك هنا لأتمكن من إبعاد ليزا، لا لأجدك بعدئذٍ تفكرين مثلها تماماً».

كادت عينا سيدني سانت جون تقفزان من وجهها، وقالت له: «أهذه هي الفكرة التي لا تريدني أن أفكر بها؟ أتعتقد أنني أريد الزواج بك؟ يا إلهي! أنا لم أوافق على الزواج من رولاند، مع أنه، على الأقل، يمتلك عملاً يشفع به».

الآن أتى دور هيوغ ليرمش بعينيه. هل تعتقد أنه عاطل عن العمل؟ حسناً! هذا أفضل. لتفكر بما تريده.

قال: «صحيح، لا أريد أن ألهيكِ عن هدفك الأساسي وهو أن تصبحي عانساً».

أصدرت سيد صوتاً ينم عن الاستنكار وهي تشرب قهوتها، ثم استجمعت قوتها وقالت له بتعجرف: «أمامي الكثير من الوقت قبل أن أصبح عانساً».

حاول هيوغ أن يتحدث بوضوح مرة ثانية: «يسعدني سماع ذلك منك، لكنني أعتقد أن بعض القواعد ستجعل الأمور أسهل خلال إقامتك القصيرة هنا».

رفعت سيدني كتفيها بإهمال، وقالت له: «بصراحة، لقد سئمت من القواعد. فأنا أتبعها طوال عمري، وانظر ما الذي حدث لي».

في الواقع، هو لا يريد أن يرى إلى أين أوصلتها. كل ما يريده هو أن ترحل بإصرار. لذا قال: «القاعدة رقم واحد: ستحصلين على ثياب خاصة بك غداً».

- إذا مدّني شخص ما ببعض المال، فأنا لا أريد استخدام رقم حسابي في المصرف لعدة أيام، كي لا يكتشف رولاند مكاني.

وعدها هيوغ: «سأقرضك بعض المال. قاعدة رقم اثنين: . . .».

- لا تبدو كرجل يحب القواعد.

- وأنا كذلك!

قال هيوغ ذلك قبل أن يفكر.

سألته سيد: «إذن، لماذا تحتاجها؟

لأنني أرغب في تحطيم عظامك! هل يعقل أن يجيبها بذلك؟ قال بنبرة صوت خشنة: «ظننت أن ذلك سيجعلك تشعرين براحة أكبر».

- حسناً! هذا لا يريحني مطلقاً.

قالت ذلك ووضعت قهوتها جانباً، ثم أضافت قائلة: «سئمت من اتباع القواعد، لذا اتخذت قراراً هاماً: لقد اكتفيت من القيام بما يتوقع الآخرون مني القيام به».

ورفعت ذقنها إلى الأعلى تماماً كما يفعل الكابتن أهاب، ثم انحنت نحوه عبر الطاولة. بدت عيناها الزرقاوان مشعتين وهي تتابع: «فكرت بذلك طوال الوقت فيما كنت أستحم؛ فكرت بهذه الورطة التي وقعت فيها. . فكرت بما حدث الليلة في اليخت وبالأشياء التي تلت ذلك. . فكرت بروالاند وبأبي، وبما يتوقعه مني. . . فكرت بما كنت عليه وإلى أين سأذهب».

استقامت في جلستها، وهزت رأسها بحزم وتصميم وهي تقول: «قررت أن الأمور ستكون مختلفة من الآن فصاعداً. . . مختلفة تماماً».

أدرك هيوغ من الطريقة التي تنظر بها إليه أنها تتوقع موافقته وتشجيعه، فهزّ رأسه وقال: «هذا صحيح. عليك أن تثبتي لهما ذلك».

- سأفعل. أمضيت سبعة وعشرين عاماً وأنا أعيش وفقاً للقواعد. . . قواعد أبي بالطبع، وتوقعاته، وهذه غلطتي أنا وليست غلطته. لكن المشكلة أن اتباع تلك القواعد لم يكن جيداً أبداً. حاولت أن أكون الابنة المطيعة الناعمة التي يريدها، والابن الذي لم يحصل عليه في الوقت نفسه. توليت العمل عنه، لكنني كنت مجرد عصا في الدولاب. لم أكن مرة شخصاً ذا قيمة. والآن، انتهى كل ذلك. من الآن فصاعداً، سأكون ما أريد أن أكونه فقط».

ابتسم هيوغ لها، ورفع إبهاميه بإشارة النصر وهو يقول: «تستحقين الإطراء على ذلك».

لقد اختبر ذلك بنفسه عندما عارض كل القوانين والقواعد البحرية. فمع أنه أحب أشياء في سلاح البحرية، لكن في النهاية، لم يكن هو نفسه. سألها: «إذن، ما الذي ستفعلينه؟».

- أريد أن أعيش لفترة قصيرة من دون أن أفكر بحياتي السابقة.

طريقة كلامها جعلته يشعر أن تلك الفترة لن تكون قصيرة أبداً. بدت وكأنها ترغب في العيش هنا حياتها كلها. مال بكرسيه إلى الوراء وهو يقول: «وماذا يعني هذا باستثناء أنك لا تريدين التعامل مع أية قاعدة؟».

- هذا يعني أنني سأتوقف عن اعتبار سانت جون للالكترونيات الأمر الأهم في حياتي. فلا أعتبر نفسي الصبي الذي لم يحصل عليه أبي أبداً، كما أنني سأتوقف عن عمل ما يُطلب مني وسأفعل فقط ما أريده.

توقفت قليلاً عن الكلام لتتابع بحماس: «أول ما سأفعله غداً هو البحث عن عمل».

حدّق بها قائلاً: «ماذا تقصدين بذلك؟».

- حسناً، لا أستطيع استغلال ضيافتك إلى الأبد.

تمتم: «الحمد لله على ذلك».

ثم تابع قائلاً: «لكن لا يمكنك الحصول على وظيفة، فأنت لا تعيشين هنا».

- أعتقد أنني سأفعل.

- ماذا؟

وارتطمت أقدام الكرسي بالأرض بقوة.

رفعت سيدني كتفيها وقالت: «لمَ لا؟ لدي مواهب كثيرة ومهارات أكثر».

- آه، بالطبع؟ استعمال الشوكة المناسبة للطعام موهبة كبرى. هل بإمكانك تنظيم مأدبة للإحسان ويدك مربوطة وراء ظهرك؟

- أستطيع القيام بذلك، إذا أردت. وفي الحقيقة، لدي مؤهلات أخرى. فأنا المديرة الأعلى لشركة سانت جون للالكترونيات. . .

توقفت عن الكلام، لتقول بعد لحظة: «أو بالأحرى كنت كذلك».

- لا تستقيلي من أجلنا!

- أنا لا أفعل ذلك من أجل أحد، أستقيل لأجلي فقط.

هزّ هيوغ رأسه وهو يقول: «هذا جنون! لا يمكنك ببساطة الاستقالة من عملك والانتقال للعيش في جزيرة لم تريها من قبل مطلقاً».

- بالطبع، أستطيع. رأيت جزءاً كبيراً من الجزيرة، فقد تجولت فيها طوال طريق العودة.

- في الظلام؟ أنت لا تعرفين أي شيء عنها.

- لست بحاجة إلى معرفة أي شيء عنها. لست بحاجة إلى معرفة الجزيرة، أنا بحاجة إلى معرفة نفسي.

وضع هيوغ رأسه بين يديه، فقالت سيدني: «لا تكن مأساوياً، لن يؤذيك وجودي».

ثم أضافت مفكرة: «بل إنه قد يكون مفيداً لك».

رفع هيوغ رأسه وقال: «ماذا تعنين بذلك، بحق الجحيم؟».

رفعت كتفيها بغير اهتمام: «لا شيء مهم».

ضاقت عيناه وهو يقول: «إن كنت...».

- آه! تخلص من أفكارك تلك. كل ما أريده هو أن أحقق نفسي، وحصولي على عمل هنا سيحقق لي ذلك. إنني قادرة تماماً على إدارة الأعمال، حباً بالله! توليت إدارة شركة سانت جون عندما كان والدي يتعافى من أزمته القلبية.

- حقاً! بدون شك.

لمعت عيناها كالنار وقالت له: «لم تسر الأعمال من تلقاء نفسها لمدة ثمانية أشهر. ولا يهم ما الذي يعتقده أو يفكر فيه أبي».

قال هيوغ بسخرية: «أدرتِ الأعمال طيلة تلك المدة ولم يلاحظ أبداً؟».

- نصحني الأطباء بعدم إثارة الموضوع. إذ كلما ذكرت الشركة كان أبي يشعر بالتوتر ويسألني: «من الذي يعتني بالشركة؟» وعندما أخبره أنني أنا من يفعل ذلك يصبح أشد توتراً...

أمسكت فنجان قهوتها بشدة إلى أن ابيضّت مفاصل أصابعها، وتابعت: «... ثم يسألني: «من الذي يهتم بك؟» فوالدي يعتقد أنه يجب الاعتناء بالنساء بصورة دائمة. لذلك توقفت عن التحدث عن الأعمال. فقط قمت بما عليَّ القيام به. اعتقدت أنه سيفهم الأمر بنفسه عندما يعود إلى العمل، فيدرك أن الأعمال لا تسير من تلقاء نفسها».

هزّت رأسها بحزن وقالت: «وبذلك كنت أكثر غباء من ذي قبل».

تأوّه هيوغ في سره.

- حسناً! أنت لا تصدقني

قالت ذلك وقد أخطأت بتفسير سبب تأوّهه، ثم تابعت: «لكنني قمت بما يتوجب علي القيام به لشركة سانت جون للالكترونيات، فلدي مواهب كثيرة وقدرات أكثر. أستطيع إدارة أية شركة أخرى. كل الذي أحتاجه هو أن يستخدمني أحدهم».

هزّ هيوغ رأسه وقال بفظاظة: «ما من وظائف شاغرة لمدراء في بليكان كاي. عدد سكان الجزيرة لا يزيد عن ألف وخمس مئة شخص، وهم يتبادلون الخدمات في ما بينهم».

- حسناً، لكنني متأكدة أن شخصاً ما سيستخدمني.

- أنا لست متأكداً.

كان هيوغ عنيداً جداً بشأنها، وتابع قائلاً: «قد تكونين أفضل النساء على وجه الأرض، لكننا لسنا بحاجة إليك في بليكان كاي».

وتابع قائلاً في سرّه: لا سيما أنا... فأنا لست بحاجة إليك. وعاد يقول لها: «نحن لا نستخدم المدراء هنا، لا سيّما النساء البارعات. لذا عليك الذهاب إلى مكان آخر لتجدي نفسك».

حدّقت سيد به فاغرة فمها، ثم رمقته بنظرات ملؤها الإشفاق، وقالت: «وكأنك ستتعرف على أي مدير بارع حتى لو أتى إليك مباشرة».

- أنا...!

- إن لم يكن لديك ما تقوم به إلا صيد السمك طيلة النهار، فهذا لا يعني أن كل

سكان العالم هم مثلك.

- يجب أن تكوني سعيدة لأنني كذلك.

- لقد قلت لك من قبل: شكراً لك.

- هل فعلتِ؟ لا أتذكر ذلك.

راحا يحدقان ببعضهما البعض بغضب. بعدئذٍ انحنى هيوغ إلى الأمام فجأة، فطرقت أرجل الكرسي على الأرض محدثة صوتاً قوياً. ثم هب من مكانه، وحمل الصحون إلى حوض الغسيل.

قال لها من وراء كتفه: «ما دمت مصممة على إيجاد عمل ما، فبإمكانك البدء منذ الآن».

وأشار برأسه إلى حوض الغسيل المليء بالأوعية والصحون. كان هناك الكثير من الصحون القذرة التي ستبقيها منشغلة لفترة كافية. وقال: «أنا واثق أن باستطاعتك إدارتها».

تلفظت سِيد بكلام غير مفهوم معبّرة عن سخطها. لقد تمكن منها بصورة واضحة بسبب سخريتها من رحلته لصيد السمك. تثاءب هيوغ متعمداً، وسار نحو غرفة النوم. سمعها من ورائه تتعثر، وهي تنهض لتقول له: «أين سأنام؟».

- ليس في غرفتي.

- لم أقصد ذلك...

- هناك أرجوحة على الشرفة.

قاطعها لأنه لا يريد أن يبحث معها عن مكان نومها أكثر من اللازم. ثم تابع: «نامي هناك، أو.. بإمكانك النوم عى الأريكة».

نظر إلى الأريكة، وكان عليها زورق من قماش، وفي داخله كومة كبيرة من الغسيل وعاد يقول: «ربما لا تستطيعين النوم على الأريكة».

- أليس لديك غرفة للضيوف؟

- عندما يمتلك المرء غرفة للضيوف، سيضطر إلى استقبال العديد منهم.

كوالديه أو كعمته أسيم التي تتدخل في كل شيء. لقد دعاهم للبقاء عند لاشلان في المنتجع. بهذه الطريقة يبتعدون عن حياته ويخففون من أسئلتهم المليئة بالفضول.

استدارت سِيد لتنظر باتجاه الغرفة الإضافية وقالت: «وما هي تلك؟».

- فوضى مطلقة!

كانت تلك غرفته الإضافية والتي يسميها «المكتب» لكنها تشبه الخزانة أكثر من أي شيء آخر. لاشلان استخدمها قبل أن يشتري مونستون والميربالا. واستخدمتها قبل ذلك عمته أسيم لسنة كاملة، وتوقعت منه أن يجهزها لها ثانية. فلا أحد يستطيع أن يقول «لا» للعمة أسيم. قالت سِيدني سانت جون: «يمكننا تنظيفها».

- لا مجال لذلك!

- لست بحاجة للقيام بذلك، فأنا من سيعمل.

ها قد عاد الكابتن أهاب من جديد...

- لا! لن تفعلي. لقد انتصف الليل تقريباً.

تنهّد عندما رأى أنها لن تقبل «لا» كجواب نهائي. وقال: «اسمعي، حسناً، ستأخذين غرفة النوم الليلة، وأنا سأنام على الأرجوحة الشبكية لليلة واحدة فقط».

بعد ذلك استدار، وأشار بيده إلى كلبته قائلاً: «تعالي، بالي. حان الوقت للنوم».

قالت سيدني سانت جون: «كما تشاء. عليك أن تأخذ قسطاً من الراحة استعداداً ليوم قاس آخر في صيد السمك غداً».

ارتجفت شفتا هيوغ، وقال: «هذا ما أتمناه. لكن لسوء الحظ، سأسافر غداً إلى جامايكا عند الصباح».

حدّقت سِيد به وكأنها لم تسمعه جيداً، وقالت: «أنت...».

وتابعت بعد فترة: «طيّار؟».

مدَّ هيوغ يده إلى الجَيبْ الخلفي لبنطلونه القصير وسحب بطاقة عمل من محفظته. رمى بالبطاقة إليها وسار باتجاه الباب.

- قد لا نكون مدراء بارعين، لكنك لست الوحيدة القادرة على إدارة الأعمال، آنسة سانت جون. أتمنى أن تنسلي وأنت تنظفين الصحون.

www.elromancia.com

٣- دعيني أنام..

بدأت سيدني مهمة التنظيف ما إن خرج «الشاب الطائر» من الباب. انشغل ذهنها بالتفكير ببطاقة العمل التي رماها لها، فاستمرت بالعمل. والله يعلم كم كان عدد الصحون المتسخة كبيراً. لا بد أن «الشاب الطائر» ينظف الصحون مرة واحدة في الأسبوع.

لكن معرفتها بأنه طيّار، وأنه حقاً يملك عملاً يعيش منه، فيقوم بنقل البضائع والناس من مكان إلى آخر، ذلك كله شغل بالها وأقلقها. هذا ما قرأته بأحرف نافرة كبيرة على بطاقة عمله: «الشاب الطائر في الجزيرة». وتحت تلك الكلمات كتبت كلمات أخرى بأحرف أصغر: «في أي وقت تشاء، وأياً كانت وجهتك، اتصل بهيوغ ماكغيلفراي، مالك الطائرة والطيّار أيضاً».

وهذا يعني أن الرجل يمتلك أكثر من عينين جميلتين، وعضلات مفتولة، ولطف في معاملة الكلاب، ووسامة تقول «لا تزعجني في فترة راحتي».

أمن المحتمل أنه يستخدم هذه البطاقات ليرمي بها إلى الأشخاص الذين يعترضون طريقه أو يعلقون على أسلوب حياته؟ استبعدت هذه الفكرة على الفور، فهذا يتطلب الكثير من المجهود. ولا يبدو على ماكغيلفراي أنه يجهد نفسه كثيراً.

حتى إنه لم يزعج نفسه بالاستحمام، في النهاية. وبدلاً من ذلك توجه نحو الشاطىء قائلاً: «سأذهب للسباحة بدلاً من الاستحمام».

لم يكن هيوغ قد عاد إلى المنزل عندما انتهت سيد من غسل الصحون. نزعت أغطية سريره وبدلتها بأغطية نظيفة. افترضت أنها نظيفة لأنها وجدتها في الخزانة في الكومة ذاتها التي أخذ منها المنشفة التي أعطاها إياها.

بدا لها أن هناك طريقة محددة في إدارة منزل ماكغيلفراي. الصحون المتسخة في

حوض الغسيل وعلى المنضدة، أما الصحون النظيفة ففي أي مكان آخر. الثياب الوسخة مجمّعة في كومة خلف الباب، أما الثياب النظيفة والبياضات فهي في الخزانة في غرفة الحمام أو مكوّمة على المقاعد. رأت سيد أكواماً كثيرة، لكنها لم تعرف ما هي بعد. طوت الثياب النظيفة وحملتها إلى غرفة النوم، وتركت الثياب المتسخة في الكومة على الأرض، ودفعتها نحو الزاوية.

بعدئذٍ، خرجت إلى الشرفة الأمامية. وسارت وهي تقفز فوق زعانف السباحة وأدوات الغطس، بعد ذلك تجنبت غطاء الكلبة والبراد الصغير، ووقفت على الدرج، ثم أخذت تحدق في الظلام لتعتاد عيناها على الرؤية في الخارج. راحت تتأمل ضوء القمر المنعكس فوق سطح البحر من وراء بعض النباتات المنخفضة وعبر امتداد ضيق يؤدي إلى الشاطىء.

لم ترَ أي أثر لهيوغ هناك، وهذا أفضل. فهي لا تريد أن تفكر فيه الآن. ولا تريد أن تحلل الاحساس المضطرب الذي يخالجها في كل مرة تنظر فيها إلى الشاب الطائر كماكغيلفراي أو في كل مرة ينظر بها إليها، فهذا سيشتت أفكارها. وسيد لا تريد أن تشتت انتباهها بأشياء جانبية. إنها بحاجة إلى التركيز. فالتركيز على المشكلة، وتحديد الوسائل للتغلب عليها يعطيها القوة.

شعرت بالهدوء بسبب الهواء المنعش. ما جعلها تشعر أن رولاند وشركة سانت جون للألكترونيات بعيدان جداً، وكأنهما في مجرة أخرى. أما هنا فالصوت الوحيد الذي تستطيع سماعه هو صوت اندفاع الموج الناعم وتكسره على الشاطىء. شعرت برغبة قوية بالسير على الشاطىء، لكنها لم ترَ أي ممر يوصلها إلى هناك.. كما أن تحذير ماكغيلفراي بشأن الأفاعي ما زال قوياً في ذاكرتها.

هل هناك حقاً أفاع هنا؟

لم تكن لديها أية إجابة، وبالنسبة لماكغيلفراي، فهي لا تستطيع تصديقه. وما زالت أصداء عبارته: «حصلت عليها» ترن في أذنها. في العادة لا يحاول الرجال إزعاج سيدني سانت جون، بل على العكس تماماً، فهم يحاولون جاهدين فهم ما تريده ليقوموا بتنفيذه على الفور. لكن من الواضح أن الشاب الطائر ماكغيلفراي ليس منهم. نظرت بإمعان إلى الأرض حيث تنتشر النباتات الصغيرة، بعد أن خيّل

إليها أنها سمعت صوتاً غامضاً. تسمّرت في مكانها، وراحت تنظر إلى المنزل. إنه منزل من الخشب منخفض الجوانب ولا ينتمي إلى طراز هندسي محدد، وهو يقع على مرتفع يطل على الغابات والشاطىء معاً.

عبر الأشجار، رأت عدة أضواء لمنازل عديدة منتشرة في الخليج الواسع. من بينها منزلين كبيرين، من المحتمل أنهما فندقان. لكن هذين لا يشبهان مطلقاً الفنادق العديدة والفخمة في جزيرة باراديز.

هل عاد رولاند إلى هناك الآن؟ أم أنه لا يزال يبحث عنها؟ تمنت أن يكون مصاباً بالهلع أينما كان الآن، فلقد نال ما يستحقه. لو لم تقفز عن سطح اليخت، لكانت الآن زوجة رولاند. ارتجفت لمجرد التفكير بذلك. فجأة لمعت صورة لهيوغ ماكغيلفراي في رأسها.

تلك الشرارة التي تشتعل بينها وبين ماكغيلفراي هي على النقيض تماماً من الاندماج الاقتصادي والعقلاني الذي كان سينتج عن زواجها من رولاند كاروترز. هذا لا يعني أنها تفكر بالزواج من ماكغيلفراي.. تباً لهذه الفكرة! ضمت سيد ذراعيها إلى صدرها وهزت رأسها قليلاً. لكن صورته لم تختفِ، واعترفت لنفسها أنها تشعر بالفضول بشأن ذلك الإحساس، والانسجام بينهما. لطالما تساءلت سيد إن كانت ستحظى يوماً بمثل هذا الشعور. والآن باتت تعرف الجواب، وهذا ما أثار فضولها.

هل ستشعر بذلك الشعور ثانية؟ إنها تتحرّق لمعرفة الجواب.. إنه سبب آخر يدفعها للبقاء في بليكان كاي. سوف تجد عملاً وتحقق ذاتها. هذا ما كان عليها أن تفعله منذ سنوات عديدة، بدلاً من إصرارها على أن تكون ذلك الصبي الذي لم يحصل عليه والدها. وسوف تتعرف أكثر على ذلك الإحساس الغريب الذي ينمو بينها وبين ماكغيلفراي. حذّرت نفسها بصوت مرتفع: «حاذري من اللعب بالنار!».

لكن سيد تؤمن أن المرء يتعلم بالتجربة. وكلما تعرفت أكثر على ذلك الإحساس، كلما كانت أكثر استعداداً لتقبله.. مع الرجل المناسب حين تلتقي به.

لامس هواء البحر وجهها فابتسمت، وشعرت بالتفاؤل. لا، لن تتراجع.

فهي تستمتع بالتحدي!

في تلك اللحظة لمحت سيد رجلاً يخرج من الماء، وقد غمره ضوء القمر. رجل نحيل، قوي البنية، راح يسير برشاقة باتجاه المنزل.

حدقت به مفتونة. شعرت بجفاف في فمها وبتعرّق في يديها، وراح قلبها يخفق بسرعة داخل صدرها. اجتاحتها موجة من الحرارة كأنها ألسنة من نار. إن كانت فكرة الزواج من رولاند جعلتها تشعر بعدم المبالاة والاهتمام، فإن فكرة التقرب من ماكغيلفراي هي مسألة أخرى مختلفة تماماً.

وقفت بلا حراك وهي تتأمله، محاولة في الوقت نفسه أن تسيطر على الانفعالات القوية التي تشعر بها. إنها تشعر بانجذاب قوي نحوه. وإن لم تكن حذرة، فسوف تسبب لنفسها المتاعب. لكن لا يجدر بها أن تهرب بل عليها البقاء هنا، لتتعلم كيف تسيطر على تلك الأحاسيس. أما الآن فكل ماعليها أن تفعله هو الذهاب إلى فراشها. فلقد أخذت ما يكفي من القرارات الخطيرة في حياتها ليوم واحد فقط.

* * *

لطالما أحب هيوغ أرجوحته الشبكية، إلا أنه لم يمضِ الليل كله مستلقياً عليها من قبل. إنها رائعة للقيلولة بعد الظهر، كما إنها مناسبة لتمضية الوقت في أمسيات الصيف فيما هو يتسلى بقراءة كتاب ممتع. لكن قضاء الليل... الليل بأكمله.. يبدو وقتاً طويلاً جداً. لا سيّما إذا لم يستطع المرء أن ينام.

عادة، ينام هيوغ كالأطفال. ولطالما أعلن بصراحة: «النوم لطيف وبسيط كالبراءة والفضيلة».

وكانت شقيقته مالي تجيبه بالقول: «يعود الفضل في ذلك إلى الإرهاق والشبع».

لكن هذه الليلة، لم يتمكن الطعام ولا السباحة المرهقة لوقت طويل من نقله إلى عالم الأحلام.

فكّر هيوغ وهو يحاول للمرة المئة أن يجد طريقة مريحة للنوم، أن السبب في ذلك يعود إلى الحر الشديد، أو ربما لأن الأرجوحة تفتقر إلى مكان مريح ليلقي ظهره عليه، أو ربما لأنه لا ينام في سريره، وهذا ما يبقيه مستيقظاً حتى الآن.

وأخيراً فكّر بتجهم أن السبب يعود، على الأرجح، إلى من تنام في سريره بدلاً

منه، والتي تجعله يتقلب مراراً وتكراراً وكأنه فروج يتقلب على النار. تجاوزت الساعة الثالثة صباحاً وهو بالكاد تمكن من إغماض عينيه. ففي كل مرة يفعل ذلك، تتراءى له سيدني سانت جون وهي مستلقية على سريره ومغطاة بأغطيته...

صرَّ بأسنانه، وغيَّر وضعيته مرة بعد مرة. ظنّ أن السباحة ستنهكه، وأنها ستريحه من ذلك التوتر الذي أصابه. لم يعد مراهقاً، بحق الله! إنه رجل راشد.. رجل يستطيع التحكم بانفعالاته وأهوائه.

شعر بالسخط من نفسه فانتفض بقوة، وإذا به يسقط فجأة ليجد نفسه على أرض الشرفة. تمتم ساخطاً: «يا للجحيم!».

فرك كتفه الذي ارتطم بالأرض، ثم وقف على قدميه ونظر إلى الأرجوحة المتمايلة بانزعاج. لا جدوى من محاولة النوم عليها ثانية، فذلك لن ينجح.

بإمكانه التوجه إلى المكتب، فلديه أريكة هناك. لكن على الأرجح أنه لن يتمكن من النوم عليها بسبب كومة الأوراق التي كان يتجنب العمل بها طوال الأسبوعين الماضيين.

انحنى هيوغ ليفرك أذني بالي وهو يقول لها: «عودي إلى النوم، فلن أزعجك ثانية».

بعدئذ، سار عبر الشرفة وهو يتثاءب، ثم فتح باب المطبخ. أنار الضوء وحدّق إلى الداخل باندهاش. بدا المكان نظيفاً، ولا أثر فيه للصحون القذرة. علت وجهه ابتسامة... إذن بإمكان الآنسة المتكبرة سيدني أن تعمل بهمة ونشاط، إذا ما تحدّاها أحدهم!

بطريقة ما لم يفاجئه ذلك، فكم عدد النساء اللواتي يملكن الشجاعة ليقفزن إلى وسط المحيط الغامض من حافة اليخت؟

هزّ هيوغ رأسه، وهو يذكّر نفسه أن ما قامت به هو عمل أخرق، ولا بد أنها حمقاء لتفعل ذلك. كما أن تفكيرها أنها ستحصل على عمل إداري في بليكان كاي هو الجنون بعينه. لا بد أنها كانت تثرثر وهي تتناول العشاء لأنها متزعجة، ولديها الحق بذلك. من الواضح أنها كانت تبذل جهداً كبيراً في العمل، وأنها ماهرة في القيام به، لكن لم يكن هناك من يقدر جهودها. وهو لا يلومها لرغبتها في تحقيق ذاتها. كل ما

يريده هو ألاّ تسعى إلى تحقيق ذاتها هنا.

حسناً! لا داعي للقلق بشأن ذلك. فليس في الجزيرة مَرافق تحتاج إلى مدير إداري سوى فندق لاشلان ومنتجعه، ولاشلان يقوم بهذا العمل بنفسه. ما تبقى من الأعمال هي أعمال بسيطة يقوم بها سكان الجزيرة بأنفسهم أيضاً.

الشركات الكبرى لا وجود لها على الشواطىء الرملية لبليكان كاي. هذا ما ستكتشفه سيدني سانت جون بسرعة قصوى. وعندها ستنطلق بحياتها الخاصة.

أسعدته الفكرة كثيراً، ما جعله يأخذ من الخزانة وعاء السكر الذي يخبىء فيه أمواله المنقولة والعملة المعدنية، ويفرغ محتوياته كلها على الطاولة، ثم يكتب بعجلة ملاحظة سريعة: «استعملي هذه الأموال لشراء بعض الثياب. وإذا احتجتِ إلى المزيد من المال، قولي لهم إنني أنا من سيدفع لاحقاً. هيوغ».

نظر حوله، وأدرك أن ثيابه النظيفة قد اختفت كلّها. أمّا الثياب الوسخة فتم جمعها في كومة في الزاوية. كما أن الثياب التي قام بغسلها في نهاية الأسبوع الماضي اختفت عن الكرسي.

- يا للجحيم!

من الواضح أنها أخذتها لتعيد ترتيبها أيضاً. ومن المحتمل أنها نقلتها إلى غرفة النوم لتضعها في الخزانة، كما يفعل أولئك الأشخاص الغريبي الطباع والمهووسين بالنظافة. وهذا يعني أن عليه الذهاب إلى غرفة النوم لإحضار ثيابه.

كانت سيدني نائمة في سريره. بدت طويلة القامة، رشيقة، وجهها يلمع كالفضة تحت ضوء القمر المتسلل عبر الظلام. كانت مستلقية على ظهرها، وقد طرحت ذراعها إلى خارج السرير، ووضعت الذراع الأخرى على بطنها. وغيمة من الشعر الأسود تحيط بوجهها.

فكر هيوغ؛ يا له من وجه جميل! فلتذهب إدارة الشركات إلى الجحيم، هذه المرأة تستحق أن تزين أغلفة المجلات كعارضات الأزياء تماماً... إنه واثق من ذلك، فقد نقل بالطائرة العديد منهن عبر تلك الجزر، كي يتم التقاط الصور المناسبة لهن. لذا يمكنه أن يميّز جمال وجوه عارضات الأزياء عندما يراهنّ.

وبينما كان يقف في مكانه يراقبها، التوت شفتاها وتحركتا، ثم تجهم وجهها

وأخذت تتمتم. حركت ساقيها الطويلتين وانقلبت على جنبها، ثم تكوّرت على نفسها وأمسكت بالوسادة ووضعتها على صدرها كالدرع. وسمعها تقول بتوتر بالغ: «لا! لا أريد».

تراجع هيوغ إلى الوراء. من غير اللائق أن يسترق السمع إليها. استدار وفتح درجاً في الخزانة، فرأى ثيابه مرصوفة هناك، وقد طويت ووضعت بترتيب. والآن، أتى دوره ليتمتم ساخطاً.

مدَّ هيوغ يده بسرعة إلى مجموعة من القمصان، فالتقط واحدة، وأخذ بنطلوناً قصيراً وثياباً داخلية من الدرج الأسفل، ثم أغلق الدرجين، بعد أن أحضر ثياباً لها أيضاً. غادر الغرفة، بدون أن ينظر إلى الوراء. تبعه صوتها: «لا!».

جذب ثيابه إليه محاولاً تجاهلها. مرّر يده في شعره وهو يفكر، ثم طقطق أصابعه وتوجه نحو الباب، حيث وجد بالي هناك بانتظاره. مالت برأسها وراحت تنظر إليه بقلق، فقال يحدثها بحزم: «الأمر لا يعنينا».

بالطبع فالأمر لا يعنيه، والمشكلة ليست مشكلته!

ومرة أخرى، سمع من غرفة النوم: «توقف عن ذلك! لا، لا أريد... لا أريد».

تلا ذلك ضجة عالية.

أسرع بالعودة إلى غرفة النوم متوقعاً أن يجدها على الأرض. لكن، لم تكن سيد على الأرض. وبدلاً من ذلك وجد أنها استدارت وضربت الحائط بقوة، ما جعلها تحدث ثقباً في الجدار الداخلي.

عبر هيوغ الغرفة باتجاهها وفي تلك اللحظة بالذات استدارت إلى الجهة الأخرى وفتحت عينيها، ورأته ينحني بجانبها على السرير.

- ابتعد عني.

صرخت بذلك متخذة وضعية القتال، ثم سددت إليه لكمة قوية أصابته مباشرة في عينه.

- آه... بحق الجحيم!

- آه، يا إلهي!

حدّقت به مستغربة ومندهشة. أخذت تتنفس بشهقات سريعة وهي تفرك يدها التي آلمتها بدون أن تدرك السبب. وأخيراً أدركت أين هي. عندئذ، أخفضت كتفيها وأغمضت جفنيها ثم قالت: «آه، هذا أنت؟».

أجاب بفظاظة: «نعم، هذا أنا».

تلمّس عينه بعناية وحذر، ما جعله يجفل فجأة. أجفلت هي أيضاً، وتمتمت: «آسفة، لم.. أقصد ذلك... كنت... أحلم».

قال هيوغ بخفة: «إذن، ما من ثأر شخصي!».

عَمِلَ على تقوية نفسه كي لا يشعر بالأسف عليها، فيقترب منها ويضمها بين ذراعيه ليخفف عنها، كما كان يرغب فعلاً. ولحسن حظه، فإن تحفظه الشديد حيالها كان أقوى.

تمتمت ثانية: «آسفة، اعتقدت أنك..».

- رولاند؟

هزّت برأسها وهي ترتجف. لفّت ذراعيها حول صدرها، ثم لامست مفاصل الأصابع المجروحة بشفتيها، وابتسمت بحزن.

- هل أنت بخير؟ هل أنت بحاجة إلى...؟

لمعت عيناها، ورفعت ذقنها وهي تقول: «لست بحاجة إلى طبيب، أنا بخير».

- صحيح. بالطبع أنت بخير. ومن المحتمل أنك تعانين من ردة فعل متأخرة من صدمة ما.

فتحت فمها لتنكر ذلك، لكنها عادت ورفعت كتفيها بلا مبالاة. استدارت لتنظر إلى الثقب الذي أحدثته في الجدار. وسألته: «هل أنا من فعل ذلك؟».

قال هيوغ: «إلاّ إذا فعلته أفعى ما».

رفعت عينيها بغضب إليه، وقد اتسعت حدقتاها فبدتا كصحنين للطعام، ثم نظرت بارتباك حولها في الغرفة.

قال هيوغ: «كنت أمازحك؟».

رفعت سبدني كتفيها وقالت: «الأفاعي ليست موضوعاً للتسلية».

- أنت على حق.

www.elromancia.com

لكن التحدث عنها أكثر أماناً له من الاقتراب من سيد وضمها بين ذراعيه لتشعر بالراحة. وضع يديه في جيبي بنطلونه وقال: «أنت متوترة. ما رأيك بتناول شراب يجعلك ترتاحين؟».

رفعت حاجبها وقالت: «أتعني شراباً بارداً؟».

- إن كنت ترغبين بذلك..

وتابع بخشونة: «لكنني كنت أفكر بشيء آخر. عمتي أسيم تقول إنه شراب مفيد، وقد اعتادت على تقديمه لنا في مثل هذه الأوقات العصيبة».

- لم أفهم!

- أعني عندما نشعر بالانزعاج ولا نستطيع النوم.

- وهل عمتك أسيم... خبيرة بذلك؟

رمقته بنظرة ملؤها الشك وكأنه يحاول خداعها.

هزّ هيوغ برأسه، وقال: «إنها عمة والدي في الواقع. وهي تملك دواء لكل شيء. فهي تعرف الأفضل دائماً».

هزّ رأسه بأسى وهو يتذكر العمة أسيم المستبدة والمحبّة للسيطرة.

- سأحضر لك كوباً من شرابها.

إنه على استعداد للقيام بأي شيء يسمح له بالابتعاد عنها والكف عن مراقبتها. سمع وقع أقدام عارية على الأرض تتبعه، وإذا بصوتها يقول: «ماذا ستفعل؟ وماذا ستضع فيه؟».

- ليس مهماً. لكن لا يمكنك مراقبتي وأنا أقوم بتحضيره، وإلاّ فإنه لن يفيدك. عودي إلى السرير وسأحضره لك بنفسي.

للحظة اعتقد أنها سترفض. نظرت إليه بحذر وقالت: «ولِمَ لن يفيدني؟».

- لا أعلم. هذا ما تقوله عمتي دائماً. وقال والدي إنها تضع فيه عين سَمَنْدَل الماء.

بدت مرتعبة وهي تصرخ: «عين سَمَنْدَل الماء؟».

ابتسم هيوغ وقال: «والدي طبيب وهو يعتقد أن أسيم طبيبة أعشاب».

- أهذا السبب أنت واثق من فائدته؟

- سأحضره لك كي تتمكني من النوم. عودي إلى السرير.

وتابع واعداً: «ولن أضع فيه عين سَمَنْدَل الماء».

مالت زاويتي شفتيها إلى أعلى. بعدئذٍ تنهدت ورفعت كتفيها بلا مبالاة. ثم قالت: «حسناً، أتمنى أن يكون مفيداً حقاً!».

تمنى هيوغ أن تكون قد نامت أثناء الوقت الذي أعدَّ فيه الشراب وأحضره إليها، لكنها بالطبع لم تكن نائمة... عندما عاد إلى الغرفة كانت تجلس في سريره وقد أنارت الضوء الصغير بجانب السرير. قدَّم لها الكوب، فشمَّت رائحته بقلق وقد ظهر الشك على ملامح وجهها.

- رائحته تشبه رائحة سَمَنْدَل الماء.

- مستحيل! إنه مجرد ضفدع. اشربيه كله.

أمسكت الكوب بيديها الاثنتين، وقربته من شفتيها، ثم رشفت رشفة صغيرة وبحذر شديد، وقالت: «إنه ساخن!».

مرّرت لسانها على شفتيها وتابعت: «وهو عبارة عن حليب فقط!».

هذا ما قرّرته، ثم شربت منه ثانية وعادت تقول: «وفيه شيء آخر».

كرّر هيوغ: «ضفدع وبعض العناكب».

- صحيح. وأفاع أيضاً، أنا متأكدة من ذلك.

هزّ رأسه وقال: «أفاعي.. مستحيل! فالعمة أسيم تخاف منها».

قالت بنبرة اتهامية: «أنا لا أصدق أن لديك عمة اسمها أسيم. لقد وضعت العسل فيه».

رفع كتفيه وقال: «تماماً، مع بعض الأعشاب فقط».

هزّت سيدني رأسها وأخذت رشفة أكبر، وبعد ذلك تراجعت لتستريح على الوسائد. وبعد قليل ابتسمت له وقالت: «إنه شهي. شكراً لك».

ابتسامتها جعلته يتراجع مبتعداً عن السرير. هزّ هيوغ رأسه بسرعة وقال: «يسعدني أنه أعجبك. اشربيه كله. بعد ذلك أطفئي الضوء وعودي إلى النوم. سأراك غداً... حسناً، أقصد اليوم... وفي الواقع، بعد الظهر».

- بعد الظهر؟

- سأذهب مباشرة إلى المكتب.

- الآن؟

حدّقت به غير مصدقة. رفع كتفيه وابتلع تثاؤبه وهو يقول: «ولِمَ لا؟ فلم أحصل على لحظة نوم طيلة الليل».

قوّس ظهره المتعب وتابع: «الأرجوحة الشبكية ليست جيدة وهي تسبب ألماً في الظهر».

أجفلت سيدني وقالت: «آسفة. عندما تحايلت للحصول على سريرك لأنام فيه، لم أكن أدرك أنك عامل وأنك حقاً بحاجة إلى الراحة والنوم».

بدا عليها الارتباك والخجل، ثم تابعت تقول: «سأنام على الأرجوحة الشبكية بدلاً منك».

- لا تشغلي بالك بالأمر. أستطيع النوم على الأريكة في المكتب.

واستدار ليغادر، فسألته قبل أن يخرج من الغرفة: «وماذا بشأن عينك؟ يجب أن تضع عليها بعض الثلج».

- لا داعي ذلك.

- ستصبح عينك سوداء عند الصباح إن لم تفعل. سأحضر لك بعض الثلج.

ونهضت من السرير على الفور. قال هيوغ، وهو يقطع عليها الطريق: «بحق الجحيم! سأحضر الثلج بنفسي، إن قررت أنني بحاجة إليه».

حدقا ببعضهما البعض بغضب، وكأنهما يتبارزان. عندما كان هيوغ ولا شلان صغيران كانا يحظيان بمثل هذه اللحظات، وكأنهما يتبارزان بالسيوف، حيث يتطاير الشرر من عيونهما فيملأ الجو حولهما بالتوتر. شعر هيوغ وكأنه يرى تلك الشرارات الآن. هزّ رأسه بقوة، وابتسم لأن عينه كانت تؤلمه حقاً.

قال متمتماً: «سأضع الثلج عليها، إذا ما عدت إلى السرير وخلدتِ إلى النوم».

للمرة الثانية بدا وكأنها سترفض، لكنها ما لبثت أن وضعت قدميها تحت الغطاء، وهزّت رأسها وهي تقول: «حسناً! وشكراً لك».

قال بتهذيب مماثل: «أنت على الرحب».

التقت عيونهما مرة أخرى... واستمرا على تلك الحالة لفترة. أخيراً أبعد

هيوغ نظراته، ثم استدار وسار مغادراً الغرفة.

- ماكغيلفراي!

توقف قائلاً: «ماذا؟».

- أنا حقاً ممتنة لك. وسأصلح الثقب الذي أحدثته في الجدار.

لقد نسي تماماً الثقب اللعين! قال: «لا تقلقي بشأنه».

- بل سأفعل، أنا...

قال لها بحزم: «عودي إلى النوم سانت جون!».

وسار إلى الخارج بعد أن أغلق الباب وراءه. لكن عندما وصل إلى الشرفة، شعر أنه لا يستطيع المغادرة. ماذا لو عاودها الكابوس من جديد؟ لقد ضربت الحائط في المرة السابقة... ماذا لو لم تعمل جرعة دواء أسيم على تهدئتها؟ ماذا سيحدث لها إن شعرت بالرعب، أو فقدت الحس بالمكان والزمان؟

جلس هيوغ على أرجوحة الشرفة، فشعر أنها أقل راحة من الأرجوحة الشبكية. وقف وعاد إلى المنزل وجلس على إحدى كراسي المطبخ، ولم تكن هذه مريحة أيضاً. أعدّ لنفسه فراشاً من كومة الغسيل، ونام عليها. لم تكن تلك فكرة سيئة... انقلب على أحد جانبيه كي يستطيع رؤية ضوء غرفة النوم من تحت الباب.

سارت بالي نحوه، ثم وضعت وجهها قرب وجهه، ونظرت إليه مستفهمة. تمتم هيوغ: «لا تسألي».

تجولت بالي في المكان، لتعود بعد ذلك إلى الخارج وتستقر على فراشها. ما لبث أن سمع من غرفة النوم صرير السرير، ثم انطفأ الضوء.

نظر هيوغ إلى ساعته، إنها الرابعة تماماً. أطلق شتيمة ثم، تحرك وتمدد. ثم تنهد وتلوّى.

تمكنت سيدني من النوم. على الأقل هذا ما افترضه، بعكسه تماماً... لقد أصبح عجوزاً على النوم على الأرض، كما أن عينه باتت تؤلمه بشدة. أحضر بضع قطع من الثلج وضعها في كيس من النايلون، وحمله ليضعه على عينه.

هذا ما كان يفعله عندما بدأ الصراخ ثانية.

- تباً!

رمى هيوغ الثلج إلى داخل المغسلة وسار بخُطى واسعة نحو غرفة النوم.

كانت سيد تتقلب في الفراش، ذراعاها وساقاها تتحرك باضطراب واهتياج شديدين. صرخ بها عبر الغرفة: «استيقظي!».

جلست على الفور، وراحت تحدّق به وهي تشعر بدوار في رأسها. وقالت: «ماذا؟ لماذا تصرخ بي؟».

- لست أنا من يصرخ، عزيزتي. أنت من يفعل ذلك.

- آه!

ترنح رأسها إلى الأمام، وتخللت يداها بقوة شعرها، ثم قالت: «آه! أنا آسفة».

- سأبقى معك.

سقطت يداها إلى جانبيها، واستقامت في جلستها على الفور وهي ترفع نظرها إليه قائلة: «ما الذي قلته؟».

- لقد سمعتني.

سار بخُطى واسعة في الغرفة ورمى بنفسه على الأريكة المجاورة، فقالت سيد بصوت مرتفع جداً: «ما الذي تفعله؟».

- ماذا تعتقدين أني أفعل؟

في تلك اللحظة، بدت فعلاً كالمصدومة. تنهد هيوغ وقال: «خففي عنك. لن أحاول الاقتراب منك. كل ما أريده هو أن أقنع عقلك الباطن أن رولاند ليس هنا. وهكذا ستتمكنين من النوم قليلاً».

قالت تذكره: «لكن أنت ستكون هنا».

- وإن يكن؟

- ربما لن أكون قادرة على النوم أيضاً.

قال هيوغ بجدية: «قد لا تنامين، لكن آمل أن أتمكن أنا من النوم».

٤- فوق الغيوم...

لم تعلم إن كان هيوغ قد نام أم لا!

لكن بالرغم من اعتراضاتها، استسلمت سيدني إلى النوم على الفور. في الدقيقة الأولى شعرت بالدهشة من جرأته، وفي الدقيقة الثانية غاصت في النوم. والأهم من ذلك، كان نومها بدون أحلام!

ولأول مرة في تلك الليلة، أغمضت عينيها ولم ترَ وجه رولاند. في الواقع، غابت عنها صور الحياة في سانت جون للالكترونيات. حتى والدها، بقي بعيداً عن ذهنها تماماً.

عندما فتحت عينيها أخيراً، وجدت أن الشمس عالية في وسط السماء. فتحت عينيها بقوة، ثم جلست في السرير، ونظرت حولها مذعورة. كانت بمفردها في الغرفة...

ابتلعت ريقها بصعوبة وهي تشعر بدفعة من الحماسة تتردد في داخلها. حماسة تمدُها بالطاقة، وتعطيها هدفاً جديداً للحياة: إنه اليوم الأول من حياتها الجديدة! قفزت من السرير وبدأت بالعمل.

منزل ماكغيلفراي رائع بالفعل إذا ما تخلّصت من الفوضى والركام المنتشر بداخله. سوف يُصبح هذا المكان أفضل إذا ما أزال أحدهم الركام منه.. وهذا ما فعلته!

رتبت كل شيء في مكانه، وتخلصت من الأشياء العديمة الفائدة. اتخذت القرارات بشأن ما تبقى من الأغراض، ما جعلها تمتلىء بالطاقة وتعمل بتركيز قوي.

من الواضح أنه لا يجب القيام بمثل هذه الأعمال بنفسه، لذلك ستقوم بذلك

عنه. بدأت بالغرفة الإضافية فجعلتها غرفتها، ثم انتقلت بسرعة من غرفة إلى أخرى، فراحت ترتب الغرف وتزودها برفوف تضع الأغراض عليها.

وبينما كانت تفعل ذلك، كانت تعمل على حياتها أيضاً، مظهرة مواهبها بوضوح. وردّدت ذلك بصوت عالٍ وهي ترتب الكتب على الرفوف. ذكرت نفسها بكل ما أنجزته وهي ترصف بترتيب أجزاء المحرك المختلفة فوق بعضها البعض. وعدّدت أهدافها بينما كانت تكنس وتمسح الأرض، أو تنفض السجّاد وتُزيل الغبار عن كل ما يقع تحت نظرها.

بعد قليل أنهت هجومها على منزله، بعد أن جعلته نظيفاً مرتباً حتى بات ملفتاً للنظر بعدم وجود الركام فيه. هذا إذا ما تجاهلت كومة الأغراض التي لم تعرف ماذا تفعل بها، والتي وضعتها بترتيب في غرفة إضافية وأغلقت الباب. والآن حان الوقت لتهتم بنفسها.

استحممت بسرعة، ووجدت القميص النظيفة القصيرة الأكمام والبنطلون اللذين تركهما لها ماكغيلفراي. ولحسن الحظ، وجدت حزاماً لتضعه على خصرها.

والآن، بالكاد تعرفت سِيد على المرأة التي حدّقت بها من خلال المرآة. اختفت سيدة الأعمال الأنيقة والمثالية مارغريت سانت جون بكل ما تتميز به من تصرفات مدروسة وفاتنة، بدءاً من تبرجها المميز إلى تصفيف شعرها الأنيق وصولاً إلى ملابسها الأكثر تميزاً. فالمرأة التي أطلّت من المرآة بدت مختلفة تماماً. إنها أكثر شباباً وتلقائية، بل أكثر حيوية.

في الواقع، شعرت سِيد كأنها التقت بصديقة قديمة بصورة غير متوقعة. فتاة عرفتها جيداً في ما مضى، وهي تحبها أيضاً. إنها ذاتها التي دفنتها تحت طبقات من الطلاء واللطافة. الفتاة التي كانت «سِيد» وليست المرأة المعروفة باسم «مارغريت».

أخبرت المرآة والعالم أجمع: «ها أنا قادمة!».

كان هناك عدد قليل من الناس على الشاطىء، بعضهم يسبح والبعض الآخر يتمدد تحت أشعة الشمس، وعدد قليل منهم يضرب الكرة بالمضرب لتصل إلى

السلة. بدا لها الشاطىء خالياً بالمقارنة مع شاطىء الفندق الذي كانت تمكث فيه مع رولاند، لكنه أكثر جمالاً. فلون الرمال هنا يميل إلى الزهري، وقد شعرت بها سِيد ناعمة جداً بين أصابع قدميها، بينما كانت تمشي مبتعدة عن الشاطىء الذي ذهبت إليه مستكشفة.

رأت سِيد منازل أخرى منتشرة فوق سلسلة من التلال، مغطاة بأشجار النخيل والأشجار المتنوعة كتلك التي تُغطي منزل ماكغيلفراي. في الجهة الأخرى من الشاطىء رأت بناءً كبيراً، لا بد أنه فندق، لأنها رأت في باحته الخارجية ملعباً لكرة السلّة. كما رأت عدداً من الناس يجلسون تحت مظلات كبيرة على الشاطىء، وآخرون يسبحون أو يلعبون بالماء.

إنها الجنة! هذا ما فكرت به سِيد. فهي فاتنة ولم تفسدها الحضارة بعد، وهي تدعوها لتنعم بسحرها الهادىء.

لكنها لا تستطيع ذلك، ليس بعد.. لديها عمل عليها القيام به. عليها أن تشتري ثياباً وتبحث عن عمل.

ترك ماكغيلفراي مالاً وملاحظة لها على الطاولة. وضعتهما في جَيْب بنطلونها، وانتعلت حذاء من أحذيته، فبدا واسعاً ويكاد يفلت من قدميها. سارت عبر الطريق المليء بالحصى باتجاه البلدة على أمل أن تكون قد سلكت الطريق الصحيح.

شعرت بالراحة عندما أدّت بها الطريق الضيقة عبر النباتات إلى حقل فسيح تمت العناية به بصورة جيدة، وثبت على كل من جانبيه مرمى لكرة القدم. رأت كوخاً واسعاً حديث البناء، كما رأت بجانب الطريق تماماً تمثالاً ضخماً صُنع من كمية هائلة من الخردة، لم ترَ سِيد مثلها من قبل.

يرتفع ذلك التمثال اثني عشر قدماً على الأقل، وقد صُنع من أشياء مختلفة. فمن قضبان سكك الحديد والصواري العائمة إلى القناني البلاستيكية وزجاجات العصير. ومن نظارات الغطس إلى الألمنيوم إلى صنانير صيد السمك...

حدّقت سِيد به، مندهشة وقد ارتسمت على وجهها ضحكة مشرقة. إذ بدا لها ذلك مصيراً مناسباً لذلك الركام الذي يحتفظ به ماكغيلفراي.

سألها صوت ذو نبرة فرحة: «أهي المرة الأولى التي ترينه فيها؟».

استدارت سِيد، لترى امرأة في مثل سنها تمسح وجهها بمنديل كبير، وهي تسير نحو سِيد من ذلك الكوخ القريب.

- نعم، إنه رائع!

- نحن نسميه ملك الشاطىء، زوجة أخي صنعته.

صححت المرأة لنفسها وتابعت وهي تضحك: «إنه يحتاج إلى عمل مستمر، مثل كل الرجال».

ابتسمت سِيد لها وعلّقت قائلة: «إنه أفضل من معظمهم».

- آه! صحيح.

وضعت المرأة المنديل في جَيْب بنطلونها القصير. ولاحظت سِيد أن ذلك البنطلون ذو طراز رجالي كالبنطلون الذي ترتديه هي تماماً، وأن المرأة ترتدي فوقه قميصاً قضفاضة برتقالية اللون، تبدل لونها إلى اللون الجزري المتموج، قالت المرأة: «لا بد أنك صديقة هيوغ».

رمشت سِيد بعينيها وقالت: «آه! حسناً.. نعم. لكن كيف عرفت؟».

لمعت ابتسامة المرأة، ومسحت يدها المليئة بالشحم ببنطلونها، ومدّتها وهي تقول: «أخبرني بنفسه. أنا مولي».

- مولي؟

- ماكغيلفراي. أنا شقيقته.

وتابعت موضحة: «عندما غادر هذا الصباح، قال لي إن لديه صديقة في منزله. وطلب مني أن أبقى بعيدة عن منزله كي تحظي بالهدوء والسلام».

مررت مولي لسانها داخل فمها بشكل دائري، ولاحظت سِيد أن شفتيها تتحركان وهي تحاول منع نفسها من الضحك، ثم تابعت: «أتساءل لماذا قال ذلك».

لم تكن سِيد قادرة على الإجابة، لكنها قالت أخيراً: «لقد أمضيت يوماً قاسياً جداً البارحة».

لم تبدُ مولي مهتمة بكل الأحوال، بل قالت بمرح: «ما هذا الشعر الجميل؟ لم يقل عنك حتى كلمة واحدة. لكن مع ذلك، أنا سعيدة جداً!».

- سعيدة؟

- لأنه انتقل إلى مرحلة جديدة.

لم تفقه سِيد شيئاً مما قالته شقيقة هيوغ. لذا قررت أن تقول: «لا أعتقد أنه ذكرك لي أيضاً».

رفعت مولي كتفيها بلا اهتمام، وقالت: «معظم الرجال لا يتحدثون عن شقيقاتهم. تلك الكدمة السوداء على عينه، ألم تكن بسببك؟».

شعرت سِيد بأن اللون الأحمر صبغ خدّيها، اعترفت قائلة: «حدث ذلك بالصدفة، فلقد اصطدمت به».

هزّت مولي رأسها، وكأنها أدركت ما حدث ثم قالت: «آه! لن أسألك كيف حدث الأمر. ولست مضطرة لإخباري أي شيء. إذن، هل ستتزوجين به؟».

- ماذا؟

ضحكت مولي وقالت: «أنا أكثر من طرح الأسئلة. أليس كذلك؟ أعرف أنني أبدو فظّة أحياناً. هذا ما يقولونه عني».

رفعت كتفيها، ورمشت بعينيها وهي تتابع: «وهذا صحيح، لكن من يهتم؟ إنه أخي، وأنا أحبه، وأريد له الأفضل دائماً. ويبدو لي أنك تعرفين كيف تتعاملين معه».

هزّت سِيد رأسها وقالت بنبرة لا تخلو من الارتباك: «لا أعتقد أنني أعرف أي شيء من هذا القبيل».

رفعت مولي كتفيها وقالت: «حسناً! لقد بدأت معه بصورة جيدة. فهو حذر جداً بشأنك ويحاول حمايتك والاهتمام بك. إذن، هل تنويان الزواج؟».

من الواضح أنه يصعب التخلص من شقيقة هيوغ...

- نحن نتحدث بالأمر.

قالت سِيد ذلك متجنبة توضيح المسألة أكثر. حسناً، لقد تحدثنا بشأن الزواج، لكن ليس الزواج الذي تأمله مولي بالتحديد.

يبدو أن كلامها حاز على رضى مولي، إذ قالت: «هذا جيد بما فيه الكفاية بالنسبة لي. على الأقل، لم تقولي إنه مجرد صديق، فهذه الكلمة تزعجني».

كم رغبت سِيد لو أنها قالت ذلك، لكنها تمكنت من ضبط نفسها وهي تعلق:

«لكن معظم العلاقات بين الجنسين هي مجرد صداقة».

- بالطبع، لكن أنتما لستما كذلك. لا بد أنك مميزة جداً لهيوغ كي يدعوك إلى بليكان كاي.

- سأبقى هنا لفترة قصيرة.

- لا بأس بذلك كبداية. لم يطلب هيوغ أبداً من امرأة أن تأتي إلى جزيرتنا من قبل، وهذا يعني أنه تخلّص من حبه لكارين.

- كارين؟ من هي كارين؟

وضعت مولي يدها فوق فمها.

- أرأيتِ؟ أنا أتصرف ببلاهة مطلقة. ما كان علي ذكر ذلك.

تردّدت قليلاً، ثم أكملت: «آه، تباً! يجب أن تعلمي».

تنهدّت بقوة قبل أن تتابع: «إنها كارين كامبل، وهي فنانة ماهرة جداً. لديها معارض دائمة في ميامي ونيويورك، لكنها تعيش هنا في بليكان كاي. وهي تملك معرضاً ومتجراً للهدايا في نهاية الطريق أمامك».

وأشارت برأسها باتجاه البلدة.

من الواضح أن بينه وبين تلك المرأة قصة ما، لكن هل هي أكبر من العلاقة البسيطة التي تربطه بليزا؟ لم تضف مولي شيئاً على ما قالته، فسألتها سِيد: «إذن، ما الذي حدث؟».

رفعت مولي كتفيها وقالت: «تزوجت كارين منذ عدة سنوات من ناتاهن وولف».

- المصور الفوتوغرافي ناتاهن وولف؟

- هل تعرفينه؟

قالت سِيد: «سمعت عنه، كما اشتريت بعض كتبه. إنه موهوب جداً».

- إنه وسيم جداً أيضاً، وهو يحب كارين، ولديهما ابنة.

تنهدت مولي قبل أن تكمل: «لم يكن لدى هيوغ أية فرصة».

هكذا إذن! قالت سِيد: «آه، إنه يحبها!».

أسرعت مولي بالإجابة: «هيوغ لم يقل ذلك، ولن يقوله مطلقاً، فهذا ليس من

طبعه. لم تجمعهما عاطفة قوية، بل كانا صديقين لسنوات عديدة. وانتظر هيوغ أن تأخذ المبادرة بنفسها.. لكنها اختارت ناتاهن وتزوجت به».

هزّت مولي رأسها بحزن وهي تتابع: «مسكين أخي!».

- ألم يعترف بحبه لها أبداً؟ هل أنت متأكدة؟

- إنه أخي.. بالطبع أنا متأكدة.

بدت مولي عنيدة جداً ومصرّة على ما تقوله: «يفضل هيوغ إظهار البساطة والمرح، ويفضل أن يعتقده الجميع سَيِّد المرح بلا منازع. على الأقل، هذا ما يريدك أن تفكري بشأنه، لكن... أنا متأكدة أنك تعرفين طبعه أكثر مني».

قالت سِيد بنبرة ضعيفة: «آه.. نعم... بالطبع».

يبدو أن هناك عدداً كبيراً من النساء في حياة هيوغ ماكغيلفراي كما فكرت سِيد، لذا بدلت الموضوع قبل أن تقول شيئاً قد تندم عليه.

- ذكر هيوغ متجراً لشراء الألبسة في هذه الجزيرة، «إريكا» على ما أعتقد...».

- نعم، إنه متجر صغير، فيه الكثير من الأزياء المحلية التي يحبها السُيّاح، ويرتديها بعض سكان الجزيرة. أما أنا فلا أملك ذلك النوع من الثياب.

- هناك الكثير من بقع الشحم وزيت المحركات على ثيابك الآن.

قالت مولي بسعادة: «هذا أمر عادي، فأنا أعمل هنا الآن».

أشارت برأسها إلى المتجر وراءها، وتابعت: «أنا الميكانيكية عند هيوغ. كما أنني مساعدة الربّان. إنه عمل ممتع، غير إنني أقوم أيضاً بالأعمال المملة، كالإجابة على الهاتف وإنجاز الأعمال المكتبية من تنظيم ومحاسبة وكتابة الفواتير... وغيرها من الأعمال القذرة».

رفعت سِيد حاجبيها مستنكرة، وقالت: «المحاسبة ليست عملاً قذراً، فأنا أحبها كثيراً».

نظرت مولي إليها مرتعبة: «أنت تحبين وضع الأرقام الصغيرة في الآلات الحاسبة؟».

ابتسمت سِيد: «بل أعشقها! فأنت تضعين تلك الأرقام الصغيرة في الآلة

www.elromancia.com

الحاسبة وتجمعينها، وعندها يأتيك الجواب الصحيح. هذا عمل رائع».

ترددت سيد قليلاً ثم قالت: «إذا كنت لا تحبين هذا العمل، فربما أستطيع القيام به عنك».

بدت مولي وكأنها أُصيبت بصاعقة أفقدتها حاسة السمع من ذلك العرض. هزّت رأسها قليلاً وقالت: «ماذا قلت؟».

- إذا كنت لا تحبين...

- سمعتك، لكنني لم أستطع تصديق ذلك. هل تتطوعين لتقومي بالحسابات هنا؟

- وكتابة الفواتير أيضاً، إذا أردت ذلك.

- إذا أردت؟ آه، نعم... طبعاً!

رغبت مولي في ضمها إليها بيديها المتسختين لو لم تتراجع سيد إلى الوراء بسرعة، قائلة: «أنا بحاجة للقيام بشراء بعض الحاجيات أولاً. عليّ الحصول على بعض الثياب».

وابتسمت وهي تنظر إلى بنطلونها الواسع والقميص الفضفاضة التي ترتديهما.

رفعت مولي كتفيها وقالت: «إذن اذهبي إلى «إريكا» أو إلى «كوتون شوب». تشتري كارين بعض ثيابها من هناك. ستصلين إلى إريكا أولاً، أما كوتون شوب فيقع بجانب الفرن، ستعرفينه من رائحة الخبز الشهي».

- هذا جيد!

وبدأت بالسير في ذلك الاتجاه. نادتها مولي بسرعة، وكأنها تحاول تذكيرها: «بعدئذٍ ستعودين إلى هنا لكتابة الفواتير، أليس كذلك؟».

- نعم، أريد أن...

- إذن، الأمر جدي بينك وبين هيوغ. هذا ما ظننته!

أدركت سيد أنه يجدر بها أن توضح أن لا علاقة مطلقاً لماكغيلفراي بذلك، لكنها فكّرت أن مولي لن تصدقها، وربما هذا أفضل. ففي النهاية، أليس هذا ما أراد هيوغ أن يوهم الآخرين به؟ إذا كان يريد إقناع ليزا بأن سيد صديقته، فمن المؤكد أن اقتناع الآخرين بذلك سوف يساعده.

وعدت مولي قائلة: «سأعود في غضون ساعة أو أكثر. كما إنني بحاجة إلى بعض الجص، هل مخزن مواد البناء في البلدة أيضاً؟».

هزّت مولي رأسها وأعطتها الاتجاهات الصحيحة للمخزن. ثم تابعت قائلة: «ما رأيك لو أحضرت بعض السندويشات من الفرن في طريق عودتك...؟».

ومدّت يدها إلى جَيْب بنطلونها، وسحبت منه لفافة من الدولارات وهي تتابع: «... وعلى حسابي».

* * *

مع قليل من الحظ لا بد أن تكون قد رحلت...

هبط هيوغ بطائرته المائية على المياه الناعمة وراء مرفأ الجزيرة الصغيرة. لطالما شعر بالسعادة والمتعة برؤية بليكان كاي المظللة بأنوارها النحاسية. إلاّ أن إحساساً بالقلق سيطر عليه الليلة وهو يقود الطائرة إلى المرسى. طوال النهار، بذل أقصى ما أمكنه من جهد لإبعاد سيدني سانت جون عن أفكاره، لكنها لم تبتعد. حتى إنه ترك الطبيب راسموسين يحضر حاجاته بنفسه، بينما ذهب هو إلى الشاطىء ثم إلى أحد الأمكنة المفضلة لديه حيث يعرف العديد من النساء الجميلات. ومع ذلك لم يستطع إبعادها عن مخيلته.

لقد نام بالقرب من سيدني سانت جون ليلة البارحة دون أن يلمسها. أراد فقط أن يحميها من أحلامها المخيفة. بعد لحظات تنهدت ثم غفت وعلى وجهها ابتسامة مطمئنة.

التقط مجلتين مختصتين بالأعمال، تصدران أسبوعياً بينما كان في كنغستون اليوم، وفيهما مقالات عن شركة سانت جون. تضمنت المقالات معلومات دقيقة عن «المرأة الذكية، الحساسة، والمتميّزة: الآنسة سانت جون».

تم الحديث عنها على أنها مارغريت سانت جون، لكن إحدى المجلتين نشرت صورة لها. وهيوغ يعرف ذلك الوجه جيداً، وذلك الجسم المختبىء تحت البذلة الأنيقة للمرأة الكفوءة القوية. وهو لا يريد أن يمضي ليلة أخرى قربها، فذلك يفوق قدرته على الاحتمال. هذا ما فكّر به بينما كان يساعد الطبيب راسموسين في تفريغ الحمولات الطبية ووضعها في الزورق الصغير.

www.elromancia.com

كان موريس سوير بانتظارهما لنقل المعدات إلى العيادة، وقد أوقف سيارته قرب رصيف الميناء. مشى الهوينا على الرصيف للقائهما، ونظر إلى ساعته ما إن وصل قربهما. فقال هيوغ: «آسف لأننا تأخرنا».

قال موريس والابتسامة تنير وجهه: «المهم أنكما وصلتما أخيراً. والآن يمكنك الذهاب».

تابع بمرح و هو يربت على كتفه: «أراهن أنك على عجلة من أمرك».

بعدئذٍ غمزه وابتسم له. شعر هيوغ بالتوجس وسأله: «لمَ تقول ذلك؟».

لمعت عينا موريس في الظلام وقال: «لقد نسيت امرأتك الجميلة إذن؟».

اقترب الطبيب وهو يمشي بتمهل حاملاً شحنة من المواد الطبية وسأله: «امرأة جميلة! أية امرأة جميلة؟».

قال موريس محدثاً الطبيب بتقدير واضح: «صديقة هيوغ، إنها رائعة! تملك عينين ساحرتين وجسم رشيق. إنها فاتنة».

من الواضح أنهما يتحدثان عن سيد، لكن.. ضاقت عينا هيوغ وهو يسأله: «هل تحدثت معها؟».

قال موريس: «نعم، وأظن أنها عادت إلى المنزل الآن».

رفع هيوغ رأسه وقال: «عادت، هل غادرت؟».

هزّ موريس رأسه وقال: «ذهبت مع آمبي. أخذها في قاربه بعد الظهر».

فجأة شعر هيوغ بالارتياح ودبت فيه الحماسة، فسأله: «أحقاً؟».

يعمل آمبي هيغز بنقل السياح في مركبه للتفرج على شلالات سبانج. وفي معظم الأحيان يأخذهم إلى الجزيرة الرئيسية للحصول على موعد إقلاع وهبوط الطائرات إلى الولايات المتحدة الأميركية.

إذن، عادت سيد إلى رشدها وقررت العودة إلى ديارها!

وضع هيوغ يديه في جيبي بنطلونه وتنفس بعمق، ثم قال: «ربما من الأفضل أن أذهب. سآخذ بعض الطعام الجاهز من غروبر وأتوجه إلى المنزل».

ابتسم الطبيب وقال: «قم بذلك على الفور».

ولوّح له الرجلان مشجعين.

شعر كأن حملاً أزيح عن كتفيه. سار عبر الرصيف وبالي تسير بقربه تماماً. قفزت بالي إلى الجيب، ثم تبعها هيوغ وأدار المحرك. نظر حوله، فشعر أن هناك شيئاً غريباً، مختلفاً. احتاج للحظة ليدرك ما هو ذلك الشيء.

لأول مرّة منذ أسابيع لم تكن ليزا ميليفان بانتظاره على الرصيف. لم تتبعه عبر رصيف الميناء وهي تمسك بذراعه، وتخبره ما الذي أعدته من طعام، وكم كانت مستمتعة بقيامها بذلك، وكم هي سعيدة بعودته... لقد أصبح حراً... نجحت الحيلة...

كل ما كان عليه القيام به هو أن يتحمل لاذعة اللسان سيدني سانت جون، والسماح لها بالنوم في سريره. قال لبالي وهو يضغط على دوّاسة الوقود: «لم يكن الأمر سيئاً جداً».

على الأقل هذا ما اعتقده، حتى عاد إلى المنزل...

شيء آخر بدا مختلفاً، أيضاً! شعر هيوغ بذلك في اللحظة التي خرج فيها من الجيب الذي ركنه وراء المنزل. رفع كتفيه وهزّ رأسه بسرعة. يحتاج في بعض الأحيان إلى بعض الوقت قبل أن يتكيف مع الأرض ثانية بعد رحلة في الجو. ربما هذا ما يحدث له الآن، بالإضافة إلى أنه لم ينم أكثر من ثلاث ساعات ليلة الأمس، والسبب في ذلك يعود إلى الآنسة سيدني سانت جون.

حسناً، الليلة سيعوض عن ذلك. سوف يتناول عشاءه المكوّن من السمك والبازيلا والأرز بهدوء، لأن ليزا لن تحوم حوله. بعدئذٍ سيشاهد فيلماً أو يقرأ كتاباً، وربما يذهب إلى السباحة، وبعد ذلك سينام بهدوء وبدون أحلام مزعجة.

انتزع عشاءه من مقعد الجيب الأمامي، ثم طقطق بأصابعه لبالي، وسار حول المنزل.

لم تكن دراجته في مكانها، و.. ماذا؟ شخص ما قد كنّس الممر! لم يُكنس هذا الممر أبداً من قبل. ولا أحد غير هيوغ يعلم أن هناك ممراً حجرياً يلتف حول المنزل ليصل إلى الدرج الأمامي. أخفض بصره ليحدّق إلى الأرض بين قدميه، فرأى صفائح الحجر بوضوح بدلاً من الرمل. مسح حافة حذائه بالحجر علّه قد توهم وجوده فقط، فشعر بصلابته وتأكدت ظنونه. تجهم وجهه وهو يحاول التذكر متى

كانت المرة الأخيرة التي رأى فيها الممر نظيفاً على هذه الصورة. آه! كان ذلك عندما اشترى المنزل.

قالت له وكيلة البيع كونستانس يومها: «هناك مَراوح في السقف في كل غرفة، وإنارة كهربائية على الشرفة، بالإضافة إلى ممر حجري يلتف حوله. وهكذا، لن تضطر إلى السير على الرمل».

وبما أن عدم السير على الرمل ليس من أولويات هيوغ، فهو لم يكنس هذا الممر ولو مرة واحدة من قبل. ولم يزعج نفسه بذلك وبعد خمس خطوات فقط سيصبح على الشاطىء؟ لكن ها هو الليلة يقف على ممره الحجري!

لا شك أن سيدني سانت جون قامت بذلك، فتلك المرأة مجنونة. لم يكفها أن تنظف كل صحن في المنزل، بل قامت بكنس الممر قبل أن تستعير دراجته لترحل. ومن المحتمل أن تكون قد رممت الثقب في الجدار أيضاً.

تسلّق الدرج وهو يصفّر، وما لبث أن توقف فجأة وكأنه أُصيب بأزمة قلبية... ليست الدراجة وحدها هي التي اختفت، كل شيء قد اختفى أيضاً.

حسناً! ليس كل شيء... فأرجوحته الشبكية ما زالت تتحرك بنعومة بتأثير النسيم العليل، والأرجوحة الثانية كانت أيضاً مكانها على الشرفة. لكن شيئاً آخر عداهما لم يكن في مكانه. لم يعد هناك كتب، أو آلات أو فناجين وصحون وأكواب قذرة، لم يعد هناك مجلات... حسناً! بالواقع، هناك مجلات مرتبة ومرصوصة فوق بعضها البعض، عشرات المجلات وضعت بترتيب على طاولة صغيرة بقرب الأرجوحة. طاولة صغيرة؟ رفع هيوغ حاجبيه مستغرباً. هو لا يتذكر فعلاً أن لديه طاولة صغيرة. لكن الآن، وهو يراها هناك دون ركام حولها، بدت له مألوفة بطريقة ما.

إلى جانب الأرجوحة الشبكية رأى طاولة صغيرة أخرى، ووراءها وضعت بترتيب متقن تلك القطع التي كانت متناثرة هنا وهناك، والتي تعود للقارب، وبعضها يعود للدراجة. كلها موضوعة بالترتيب، ومن الواضح أن ترتيبها يعتمد نسبة ارتفاع كل قطعة منها بدون أي اهتمام للعربة التي تنتمي إليها.

بدا له كأنه عاد ثانية إلى سلاح البحرية.

حدّق هيوغ ملياً بما يراه، ثم نقّل نظره ببطء وتعمد ليرى بعض الرفوف الخشبية المصنوعة من القرميد تحت النافذة، وقد وضعت عليها أيضاً بعض الأغراض. نظر حوله باحثاً عن بدلة الغطس الذي كان يعلّقها دائماً على أحد الأغصان، ولم يتفاجأ عندما اكتشف أنها ليست هناك.

شعر بتقلص عند فم معدته، وفي اللحظة التالية فُتح باب المطبخ، وأطلت منه المرتكبة لكل هذا التنظيم المرعب، الآنسة سيدني سانت جون مرتدية سارونغ وعلى وجهها ابتسامة. شعر هيوغ كأن الهواء أفرغ من رئتيه.

وعندما تحركت، تحرك جسمها المتناسق الرائع الذي يلفه السارونغ. قالت بنبرة مشرقة: «آه! لقد عدت. هذا رائع! كنا سنتناول العشاء بدونك».

تنشق كل ما يستطيعه من الهواء وقال: «أين هي أغراضي بحق السماء؟».

أشارت بيدها إلى الأغراض المرتبة وقالت: «كلها مرتبة ومنظمة».

- منظمة؟ تباً! ماذا تعتقدين أنك فعلت بحق الجحيم؟ كيف تجرؤين على رمي أغراضي؟ أين دراجتي؟ وأين لوح الغطس... وبذلتي؟ أين حياتي؟

قالت بجدة: «كلها مرتبة هنا وللمرة الأولى...».

- مرتبة؟ أنت تسمين هذا كله ترتيباً؟

قالت بلطف محاولة تهدئته: «إهدأ، لم أرم أياً من أغراضك».

وسارت لتقف بينه وبين الباب الأمامي، ما جعله يشعر بالشك فوراً. سار بخطى واسعة عبر الشرفة، واندفع أمامها إلى داخل المنزل.

- يا إله السماوات! ما الذي فعلته؟

حياته في مخيم سلاح البحرية لم تكن بمثل هذا التنظيم.

- ما لم تفعله أبداً في حياتك، كما هو واضح؛ نظفت المنزل.

تبعته من غرفة الجلوس إلى المطبخ. وإذا به يقول بغضب: «من طلب منك...؟ من قال لك لتفعلي ذلك؟».

ثم استدار وراح يفتح خزائن المطبخ. وحدّق بغضب في المجموعة المرتبة من الصحون النظيفة.

- طلبت منك أن تغسلي الصحون فقط!

- هذا ما فعلته.

- نعم، وكل ما تبقى من المنزل أيضاً!

كانت علب الحبوب مرتبة، كذلك علب الطعام المعلّب. وفكر هيوغ أن المهووسين فقط يرتبون الأشياء بحسب الأحرف الأبجدية. قالت سِيد: «يمكنك أن تجد الأشياء الآن بطريقة أسهل».

- لقد كانت سهلة جداً في السابق.

بدا غاضباً جداً، ويشعر بالاستفزاز، لكنه لا يستطيع حتى أن يفهم ما الذي جعله كذلك. استدار بسرعة وقال: «من طلب منك القيام بذلك كله؟».

- لا داعي لأن يطلب مني أحد أي شيء.

شعر أن ما يسمعه هو صدى للكلمات التي قرأها عنها في إحدى مجلات الأعمال اليوم، والتي قالت فيها: «أرى ما الذي يجب فعله، وأقوم به على الفور. وهذا دليل واضح على المدير الإداري الناجح».

ضغط بقوة على قبضتي يديه وهو يضعهما في جَيْبي بنطلونه، وحدّق بها بغضب كبير. لو أن النظرات تقتل، لفضلت سِيد أن ترمي بنفسها إلى أسماك القرش. لكنها لم تلاحظ نظراته القاتلة تلك، بل وقفت ببساطة هناك، تبتسم بهدوء وكفاءة، مسببة تشتت أفكاره بسحرها الفاتن.

ألا يكفيه ما في ذهنه من ذكريات حولها؟ على الأقل، بدت بشرتها البارحة كالكركند المسلوق. أما اليوم، ولسوء حظه، فإن آثار الشمس قد تحولت إلى لون ذهبي قاتم، فبدت فاتنة الجمال... وهيوغ لا يريد أن يراها فاتنة الجمال، بل يريد أن يخنقها بيديه. سألها: «أين الغسيل؟ أين هي ثيابي؟».

أجابته بلطف: «احزر!».

لكن ما إن كشّر عن أسنانه حتى استدارت وأشارت إلى غرفة النوم، فتبعها بحذر. فتحت باب الخزانة وهي تتابع: «لقد رتبتها كلها. الثياب النظيفة كلها هنا. والثياب المتسخة في تلك السلة الكبيرة ذات الغطاء».

وأشارت إلى سلة من القش في الزاوية. لم يكن قد رآها أبداً من قبل. لا بد أنها جديدة، بعكس الطاولات الصغيرة.

- من أين أتت هذه؟

- اشتريتها من ستر و شوب.

- لم يطلب منك أحد ذلك، أيضاً.

- اعتبرها هدية لك.

- لا تملكين المال لتقدمي الهدايا.

- سيصبح لدي مال، لقد حصلت على عمل.

- ماذا؟

ابتسمت سِيد وقالت له: «أخبرتك، لقد تم استخدامي».

- أين؟ من الذي استخدمك؟

كم يرغب بخنق ذلك الأحمق بيديه! لكنها ابتسمت له، واستدارت لتعود إلى المطبخ قائلة: «عليّ أن أنهي تحضير الطعام للعشاء».

- العشاء؟

تذكّر طاولة المطبخ، فقد بدت وكأنها معدّة لوجبة العشاء. استدار، وسار بخطى واسعة وراءها. تباً لها! رأى فوق الطاولة غطاء مرتباً وصحوناً وأكواباً لخمسة أشخاص، فسألها: «ما هذا بحق الجحيم؟ والآن ما الذي فعلته؟».

- دعوت مولي ولاشلان وفيونا لتناول العشاء معنا.

حدّق بها وقال: «مولي؟ شقيقتي مولي؟ ولاشلان... وفيونا؟ حتى إنك لا تعرفين مولي ولاشلان وفيونا! هل تعرفينهم؟».

صرّ على أسنانه بقوة، فيما أجابت سيد: «لقد قابلتهم اليوم. التقيت بهم بعد الظهر».

- قلت لمولي أن تبقى بعيدة عنك.

ابتسمت سِيد وقالت: «هذا ما قالته لي. وقد فعلت ذلك حقاً، مع إنني لم أستطع فهم السبب».

ثم تابعت تقول: «التقيت بها وأنا ذاهبة إلى البلدة. توقفت لأرى جمال ملك الشاطىء...».

لمعت عينا سيدني عندما ذكرت تمثال فيونا، وتابعت: «... فخرجت مولي

عندما رأتني هناك. أخبرتني عنه وعرّفتني بنفسها».

تمتم قائلاً: «أنا لا أدفع لها أجراً لتمضي وقتها في الثرثرة».

- مما رأيته، أنت لا تدفع لها أبداً. لقد كانت تعمل، مثلي تماماً. فقد كنت أكتب فواتيرك.

حدّق بها مصدوماً وقال: «تفعلين... ماذا؟ كتابة فواتيري؟ فواتير الشاب الطائر؟ من سمح لك...؟».

- مولي. وكانت سعيدة جداً بذلك. قالت إن لا وقت لديها للقيام بذلك وعليها أن تنتهي منها كلها. أخبرتني أنها تكره القيام بها، وكذلك أنت.

- أنا لا أكره القيام بها.

- لكنك لا تشعر بالسعادة. مهما يكن، أنا أستمتع بهذا العمل وأعتقد أنه مسلٍ.

وتابعت بمرح: «أحب وضع الأرقام في صفوف مرتبة، وهذا يجعل الأشياء متوازنة. إنه التنظيم».

لم يستطع إلاّ متابعة التحديق بها، غير قادر على التفكير بأي شيء ليقوله. حياته هي أبعد ما تكون عن التنظيم، إنه واثق من ذلك. لقد ضربته بقوة وأبعدته عن مداره. تابعت سيد تشرح له: «كتابة الفواتير عمل سهل جداً، كذلك المحاسبة».

- أعلم ذلك.

ثم تابعت وكأنه لم يعلّق أبداً: «لكن من الأفضل أن يتبع المرء برنامجاً محدداً، لذلك بدأت بوضع برنامج سهل. عملت لساعتين فقط اليوم، إذ كان عليَّ الذهاب إلى منطقة شلالات سبانج للحصول على مزيج من مواد الجص».

- ماذا؟

حدّق بها مذهولاً، ثم استدار على عقبيه، وعاد إلى غرفة النوم... لقد أصلحت الثقب في الجدار! رأى بقعة صغيرة من الجص الرطب في مكان الثقب. نظر إليه ثم هزّ رأسه مستغرباً وعاد إلى المطبخ.

قالت سيد: «لم أستعمل الجص من قبل، أرجو أن أكون قد قمت بذلك بطريقة جيدة. وإذا لم تكن كذلك، قال لي لاشلان إنه يعرف عاملاً يستطيع القيام

بإصلاحه.

سمعت صريراً من خلال أسنان هيوغ، قبل أن يقول: «لاشلان؟ كيف تورط أخي بذلك؟».

- أتى إلى المكتب بينما كنت أضع برنامج المحاسبة.

- لا أريدك أن تضعي أي برنامج جديد، فالأمر جيد على ما هو عليه.

- هيا، ماكغيلفراي! أنت بحاجة إلى محاسب. مولي لا يمكنها القيام بذلك بنفسها.

- لا! لا مجال لذلك! أنا لم أستخدمك!

- ليس عليك أن تفعل. قمت بذلك بنفسي. اعتبرها مجاملة مهنية.

- لماذا؟ أتريدين أن أقلك إلى ميامي؟ حسناً! لنذهب.

- لا، لأنك خلصتني. فأنا مدينة لك، ولا أتوقع منك أن تدفع لي أجراً.

تابعت وفي صوتها بعض التوتر، قد بدت تعابير وجهها جدية جداً: «إني أقوم بذلك مقابل لا شيء. هذه طريقتي لأدفع لك».

- أنا لست محتاجاً، ولا أريد أن تدفعي لي.

رفعت كتفيها بلا مبالاة، وقالت: «حسناً! أمر مؤسف. أنا أريد أن أقوم بذلك. لقد أنقذت حياتي».

تمتم هيوغ: «هذه غلطتي الكبرى!».

وأخذ يسير بخطى واسعة في المطبخ، وهو يمرر يده في شعره. لكن قبل أن يتمكن من الجدال أكثر، سمع وقع أقدام على الشرفة، ودخل لاشلان وفيونا ومولي معاً.

وقف لاشلان يحدّق حوله متعجباً وهو يقول: «آه! أنظروا إلى هذا!».

وارتخى فكّه وهو يقول: «لم أكن أعلم أن لديك مطبخاً».

وقالت مولي بغبطة: «إنه أنيق جداً، أليس كذلك؟ النظافة أمر جيد، بالطبع».

وابتسمت لأخويها. أما فيونا فوقفت على الشرفة، تحدّق بأجزاء المحرك، ثم قالت: «انظروا إلى هذا. إنه يشبه أحد منحوتاتي».

قال لاشلان محدّثاً سيدني بنبرة ملؤها الإطراء: «لا بد أنك عملت كثيراً».

حاول هيوغ أن يعترض ثانية، لكنهم راحوا يتحدثون مع بعضهم البعض

www.elromancia.com

متجاهلين اعتراضاته. أمّا التعليق الوحيد الذي وُجّه إليه فكان من لاشلان، إذ قال له: «كدمة جميلة!».

كان هيوغ قد نسي أمر الكدمة تماماً. صرّ على أسنانه وقال: «اصطدمت بالباب».

ابتسم لاشلان وقال: «آه، حقاً؟ قالت سِيد إنك اصطدمت بالحائط».

وبدّل الحديث على الفور قائلاً: «أنا جائع. لقد أحضرت الكركند، فهل ستأكل الليلة؟».

وبدأوا بالعمل جميعاً. وضعت فيونا أكواز الذرة التي أحضرتها معها على طاولة الإعداد في المطبخ وبدأت بتقشيرها، بينما ملأت مولي صحناً كبيراً من البازيلا والأرز مع صحن من السلطة ووضعتهما على الطاولة. أما لاشلان فقام بوضع الكركند المليء بالشوك في وعاء من الماء المغلي وضعته سِيد على السخّان، بينما تصرفت سِيد وكأنها في مطبخها، فقطعت شرائح الأناناس الطازجة إلى قطع مربعة الشكل وزعتها على الصحون الموضوعة على الطاولة.

وقف هيوغ جانباً وهو يشعر أن لا قيمة له في مطبخه الخاص.

أشارت مولي إلى الكيس الذي ما زال يحمله في يده، وسألته: «ما هذا؟».

حدّق به، وما لبث أن تذكّر، فقال بخشونة: «هذا عشائي. لم أكن أعلم أن هناك حفلة في منزلي».

قالت له فيونا: «لم نفكّر حتى بأن نسألك. قلنا لسِيد إننا دائماً جاهزون لإقامة حفلة».

قالت مولي تعِده: «لكننا سنذهب إلى منازلنا باكراً».

تجهّم وجهه وهو ينظر إليها، ثم قال: «ماذا؟ ولماذا؟».

نظر إليه أخوه قائلاً: «هل يُعقل أن تكون أحمق أكثر مما كنت أعتقد؟».

لكزت فيونا لاشلان وقالت له هامسة: «دعه يسير على هواه. على الأقل بدأ يتحرك».

نظر هيوغ إليهما وقال بحيرة: «أتحرك؟».

تأوه لاشلان وقال: «لم يلاحظ أي شيء مطلقاً».

اقترحت مولي بنبرة مفعمة بالأمل: «ما رأيكم لو بدأنا بتناول الطعام؟».

تناولوا الكركند والسلطة وبقية أصناف الطعام. بعدئذٍ، أكلوا فطيرة الحلوى بنكهة الليمون الحامض التي أحضرتها فيونا من الفرن، وشربوا عصير الفاكهة. أثناء تناول الطعام، راحوا يتحدثون ويضحكون. وبدا واضحاً أنهم تقبّلوا سيدتي بصورة عادية. حتى إن هيوغ شعر وكأنها كانت دائماً هناك. لقد دخلت إلى قلوب الجميع، ولم يمضِ على وجودها بينهم سوى يوم واحد فقط.

تذكّر ما كتبته إحدى الصحيفتين: «الآنسة سانت جون تتعامل مع الناس بسهولة كبرى، ويمكنها إنجاز الكثير من العمل في وقت واحد».

بإمكان هيوغ أن يرى أن ذلك الخبر صحيح. لكن ما همّه إن كانت ذكية، لبقة، مشرقة، منظمة... وفاتنة؟ كشّر قبل أن يؤكد لنفسه أنه غير مهتم بها. إنها ليست من النوع المفضّل لديه في النساء، فهي تضاهي ليزا في جرأتها. لكنها بالطبع، لن ترضى بالبقاء هنا في بليكان كاي، فقد ذكرت إحدى الصحيفتين: «الآنسة سانت جون كثيرة التنقل». وهيوغ صدّق ذلك تماماً، وتمنى فقط لو أنها تسرع بالرحيل...

- ألا تعتقد ذلك، هيوغ؟

عاد إلى أرض الواقع ليجد أن فيونا تنظر إليه متسائلة. كانوا قد جلسوا جميعاً تحت الأنوار الخافتة والتي تشع من فتيات الهولا والفلامنغو على الشرفة. يستمعون إلى صوت الموسيقى الناعمة المنبعثة من قرص الكتروني لفرقة محلية، ومن الواضح أن فيونا قد سألته سؤالاً ما.

- آسف. كنت... شارد الأفكار.

- إني متأكدة من ذلك.

ابتسمت له زوجة شقيقه، وتابعت: «ومن المحتمل أنك تتمنى أن نذهب جميعاً إلى منازلنا».

ثم وقفت، فلاحظ هيوغ بوادر الحمل على جسمها تحت الضوء الخافت. أما هي فتابعت تقول: «كنت أقول: أعتقد أن كل شيء يبدو رائعاً، ومرتباً في مكانه. والمنزل بأكمله يوحي بالجو العائلي. هكذا كنت أتخيل هذا المنزل. أعتقد أن سِيد قامت بعمل رائع، أليس كذلك؟».

www.elromancia.com

- مم...

علّق لاشلان قائلاً: «ما زال يفتقد للبطاريات القديمة الصدئة وطابات التنس التي كانت تمضغها بالي».

- سوف يتخلص من تلك العادات كلها.

ابتسمت فيونا ونظرت إلى هيوغ باستحسان واضح، ثم تابعت: «أنا سعيدة جداً، فقد كنت قلقة بشأنك. اعتقدت أنك ستعيش في أرض غير موجودة إلى الأبد».

أرض غير موجودة؟ جلس هيوغ على الفور على كرسيه التي كان ممدداً عليها. هل تعتقد أنه بيتر بان القذر، فقط لأنه لا يطوي ثيابه ولا يحلق ذقنه كل يوم؟

وافقتها مولي بفرح قبل أن يتمكن من التعليق على كلامها: «إنه تقدم ملحوظ، أليس كذلك؟».

ثم وقفت واستدارت نحو هيوغ وتابعت: «وأنت لم تلفظ أية كلمة بشأنها».

لكزت أخيها بخفة على ذراعه وتابعت: «لم أفكر مطلقاً أنك ستفعل هذا. ليس بعد كار... أقصد».

توقفت عن الكلام على الفور، وشربت ما تبقى من كوبها وقالت: «حان الوقت لأغادر».

أمسك هيوغ بيدها وسألها ببرودة: «عفواً، ماذا قلت؟».

تمكنت مولي من التخلّص منه وهزّت رأسها بسرعة. قالت: «لا شيء، حقاً. أنا آسفة. أنا فقط... أنا لا أهتم مطلقاً بما تفعله، هيوغ. وإذا كنت لا تريد الزو... أقصد».

توقفت عن الكلام ثانية ما إن أدركت أن كل كلمة تقولها تفضح أفكارها أكثر فأكثر.

سألها هيوغ بنعومة في ذلك الصمت: «ما هو الذي لا يهم إن لم أفعله، مول؟».

قالت على الفور: «لا شيء، لا شيء على الإطلاق».

وأمسكت كوبها الفارغ وحملته إلى المطبخ، قائلة بنعومة: «لا أستطيع تركه هنا، فليس هناك أي أوساخ أو ركام».

اختفت في الداخل فتبعتها سيدني وفيونا وهما تحملان المزيد من الصحون والزجاجات الفارغة. بعدئذٍ وقف لاشلان وتمطّى، ثم ابتسم لأخيه قائلاً باستحسان واضح: «إنها كالديناميت، يا لها من صيد موفق!».

- إنها ليست...

قال لاشلان: «ككل الأخريات، والحمد لله!».

عادت مولي وفيونا، وقالت فيونا محدثة هيوغ: «شكراً لك على هذه الأمسية الرائعة».

ثم اقتربت منه لتعانقه، وقالت لسيدني: «وشكراً لك على كل شيء».

ابتسمت سيد وقالت: «أنا سعيدة جداً لحضوركم».

علّق لاشلان: «ونحن كذلك».

عانقها بسرعة وتابع: «سأراك في الغد».

صرخ هيوغ غاضباً: «في الغد؟».

قال لاشلان وهو يضحك: «ليس باكراً، والأمر يتعلق فقط بالأعمال فأنا أعمل فقط على دماغها».

- آه!

ضحكت مولي ضحكة صغيرة، بعد ذلك أدهشته وهي تضمه إليها وتقول بفرح: «أنا سعيدة لأجلك هيوغ. أنت تستحق فتاة رائعة، فاستمتع بذلك».

وعندما اختفوا جميعاً في الظلام، وقف هيوغ يحدّق وراءهم وقد أدرك بحزن ما الذي قصدته أخته، وما كان يتحدث عنه لاشلان وفيونا. تباً لهم جميعاً!

تصوّر أن وجود سيدني في منزله سيقنع ليزا ميليفان أنه مهتم بفتاة أخرى، وهكذا ستدعه وشأنه. لكن لم يتصوّر أبداً أن ذلك سيقنع أقرب الناس وأعزّهم إلى قلبه بأنه يعيش قصة حب جديدة وجدية. والأسوأ من ذلك هو شعورهم بالسعادة البالغة لأجله، وكأنه أُنقذ أخيراً من أعماق اليأس والوحدة. أهذا ما كانوا يفكرون به منذ أن تزوجت كارين ناتاهن وولف؟ هل يتخيلون أنه أمضى السنتين الماضيتين وهو يذوي حزناً؟ هل ظنّوا أنه أهمل حلاقة ذقنه وغسل صحونه لأن المرأة الوحيدة التي أحبها قد تزوجت من رجل آخر؟ يا إلهي! ما الذي سيفعله بشأن ذلك؟

www.elromancia.com

مرّت السهرة بطريقة مدهشة، وأفضل بكثير مما تخيلت سيد. لم يكن لديها أي شك، بالطبع، بشأن قدرتها على أن تكون مضيفة رائعة حتى في ظروف غير مألوفة لديها. فبعد سنوات من التمرين والعمل لمصلحة والدها ومصلحة شركة سانت جون للالكترونيات، باتت تعلم تماماً كيف تُقيم حفلة لخمس مئة شخص أو عشاءً خاصاً لعدة أشخاص. كما أصبحت بارعة جداً في اللياقات الاجتماعية، وقادرة على جعل كل شخص يشعر وكأنه في منزله. ما عدا الرجل الذي هو بالفعل صاحب المنزل.

على الأقل تصرّف ماكغيلفراي بصورة طبيعية، مع أنها خشيت ألا يفعل بعد تلك الانتقادات والتهجم، وبعد إيجاده الأخطاء في كل ما فعلته في المنزل. توقعت منه أن يستمر على ذلك المزاج الصعب حتى بعد وصول عائلته، لكن ذلك لم يحصل. بدا أكثر هدوءاً مما تخيلت، فبعد صدمته الأولى أخذ يشارك في الحديث؛ سخر من أخته ومن زوجة أخيه، وتشاجر مع أخيه، وتبادل الأحاديث معهم جميعاً.

قالت لهيوغ بعد أن رحل الجميع: «عائلتك رائعة».

كانت تنظف آخر مجموعة من الصحون، بينما أدار هو ظهره إليها ووقف يحدّق من النافذة نحو الظلام الذي يسود في الخارج. ظل هيوغ صامتاً، فتابعت: «لقد تمتعت حقاً بالسهرة».

رغم ذلك لم يجب بكلمة واحدة. بدت كتفاه منحنيتين وقد وضع قبضتي يديه في جَيْبَي بنطلونه القصير.

سألته وهي تحاول أن تحتفظ بلهجة ناعمة وفرحة: «هل هذه طريقتك في التعبير عن عدم استمتاعك بالسهرة؟».

رفع كتفيه، لكنه لم يستدر، ثم بدون أي حماس: «كانت سهرة جيدة».

لم يكن هناك أي أثر لنبجح ماكغيلفراي، ولا ملاحظات سريعة ولا أجوبة قاسية. وضعت جانباً منشفة الصحون، وتحركت لتتمكن من رؤية انعكاس وجهه على زجاج النافذة. بدا وجهه مرعباً!

سألته سيد: «ما الأمر؟».

رماها بنظرة غاضبة وقال: «لا شيء».

- أنت تخاطبني بفظاظة، ولست أرى سبباً لذلك على الإطلاق؟

ظهر الضيق على وجهه. وما لبث أن حرك كتفيه المتصلبتين، وقال بصوت يقارب التمتمة: «لا علاقة لك مطلقاً بذلك».

كان مصمماً على إبعادها كلياً عنه. لكن سيد شعرت أن لها علاقة ما بحالته تلك، وهي لن تسمح بإبعادها بسهولة، فقالت: «إذن، إن لم أكن أنا السبب، فما هي المشكلة؟».

سألها بفظاظة: «إن قلت لك: «اهتمي بشؤونك الخاصة» هل تفعلين؟».

- لا!

وجه إليها نظرة ساخرة، وقال: «هل هذا ما يسمونه عناد مارغريت سانت جون في العمل؟».

جاءت ردة فعلها متأخرة: «ظننت أنك لا تعرف من أكون».

- اكتشفت من تكونين.

- كيف؟

رفع كتفيه قائلاً: «بينما كنت أنتظر الطبيب اليوم أخذت أتسلى بصحيفتين».

ذكرت له اسمي الصحيفتين، فهز رأسه موافقاً.

- إذن أنت تعلم أنني ماهرة بما أقوم به.

لوى شفتيه تبرماً وقال: «نعم، أعلم ذلك».

- هل هذه هي المشكلة؟

- بالطبع لا! ولماذا يجب أن تكون تلك مشكلة؟ أنت تفعلين ما تريدينه ولا علاقة لك مطلقاً بي!

- إذن، ماذا هناك؟

تجهم وجه ماكغيلفراي وهو ينظر إليها، بعد ذلك مرّر يده في شعره، وقال: «ألم تريهم الليلة؟ ألم تسمعيهم؟ إنهم سعداء جداً».

والآن جاء دور سيد ليتجهم وجهها. قالت: «سعداء؟ أنت تقصد مولي ولاشلان وفيونا؟ وأين الخطأ في ذلك؟».

- لا شيء... بل كل شيء.. المشكلة هي في سبب سعادتهم.

www.elromancia.com

ظهرت المعاناة على وجهه بشكل مؤلم. حدّقت سِيد به، بدون أن تفهم شيئاً، ثم قالت: «وما هو سبب سعادتهم؟».

- أنت وأنا.

لوى شفتيه باشمئزاز، وتابع: «إنهم سعداء جداً، وكأنهم فوق القمر من مجرد التفكير بأننا . . . معاً».

لفظ ذلك وكأنها نهاية العالم قالت: «نعم، وإن يكن؟».

- أهذا كل ما استطعتِ قوله؟

ونظر إليها وكأنه يتهمها. رفعت سِيد كتفيها وقالت: «حسناً! ماذا تريدني أن أقول؟ أين المشكلة في ذلك؟ اعتقدت أن تقديمك لي كصديقة لك هو ما يهمك، فهذا ما قلته».

- إلى ليزا، وليس إليهم.

قالت تذكره: «هذه جزيرة، وجزيرة صغيرة جداً. كيف يمكن لليزا وحدها أن تفكر بذلك؟ الآن كل شخص في بليكان كاي يعتقد أنني صديقتك. موريس، آمبي، إريكا. الفتاة التي تعمل في ستر و شوب والشاب في الفرن».

أغمض ماكغيلفراي عينيه وقال: «يا إلهي! لا بد أن ليزا صرخت باسمك من فوق أسطح البيوت».

قالت سِيد بخشونة: «لن أستغرب ذلك، لا سيّما أن كل شخص في البلدة كان يعرف من أكون ما إن تلفظت باسمي. لكن لا يمكنك لوم ليزا على ذلك. فمولي قالت إنك أنت من أخبرها».

- تباً! أنا لم أخبرها بأي شيء.

عدّلت ما قالته بقولها: «حسناً! ربما ليس بكلام محدد. لكنها نظرت إليَّ نظرة واحدة، وقالت إنها لا تستغرب طلبك منها أن تبقى بعيدة عن منزلك اليوم».

- كنتِ بحاجة إلى النوم.

- كان عليك أن تعرف أنها ستقفز إلى استنتاجات.

تأوه وأخذ يسير في الغرفة بخطى واسعة. طقطق أصابعه وتمتم بكلام غير مفهوم. راقبته سِيد وهي تحاول أن تفهم لما هو مهتم هكذا. أخيراً سألته: «هل هذا

كله بسبب كارين؟».

أدار ماكغيلفراي رأسه بسرعة، وحدّق إليها بقوة قائلاً: «ما الذي تعرفينه عن كارين؟».

تصرفه هذا كان كافياً للإجابة عن سؤالها. قالت بهدوء، محاولة تهدئته: «ليس كثيراً».

- تباً لمولي ولقفزها إلى الاستنتاجات! لم أخبرها عنها مطلقاً. لم أقل أية كلمة عنها.

- إنها شقيقتك، ماكغيلفراي! وهي ليست عمياء. ومن الواضح أنها تعرفك بما فيه الكفاية، ولستَ بحاجة لذكرِ أي شيء لتعرف ما بك.

حدّق إليها بغموض، ثم ارتمى على المقعد واتكأ إلى الوراء ليتمكن من التحديق بالسقف. الأصوات الوحيدة التي كانت تسمع في الغرفة هي صوت ارتطام الموج على الشاطىء وحركة المروحة في سقف الغرفة.

وقفت سِيد تنظر إليه، متسائلة إن كان هناك أي شيء يمكنها أن تقوله. أخيراً التقطت منشفة الصحون ثانية وعادت إلى متابعة عملها.

بعد أن أكملت تجفيف الصحون كلها و مسحت طاولة الطعام. نظر هيوغ إليها، ثم مرّر يديه الاثنتين بشعره ومسح وجهه براحتي يديه، وقال: «والآن، ماذا؟ ماذا أفعل الآن، بحق السماء؟».

- بشأن كارين؟

- تباً! لا. ليس بشأن كارين. لقد انتهى كل ما كان بيننا وأصبح من الماضي. ولم يكن هناك أي شيء بيننا، تباً! نحن صديقان فقط.

قال ذلك وهي يلوي شفتيه بسخرية وتابع: «لقد كنا دائماً صديقين. وكالأحمق كنت أنتظر فرصة ملائمة، متصوراً أنها ستهتم بي».

هزّت سيدني رأسها ببطء وقالت: «يؤسفني ذلك».

رفع كتفيه، وحاول أن يعود إلى شخصيته البسيطة وتصميمه على التعامل مع الأمور بخفة: «لا أهمية للأمر. كارين تزوجت وهي سعيدة. وأنا قبلت بذلك».

تساءلت سِيد، هل فعل ذلك حقاً؟

www.elromancia.com

- السؤال هو: ماذا سأفعل بحق السماء مع مولي ولاشلان وفيونا وافتراضهم بأنني متورط في علاقة حب كبيرة؟.

جعل الأمر يبدو وكأنه مصاب بمرض مميت.

رفعت سيد كتفيها وقالت: «لا تفعل شيئاً».

فجأة أصبحت هي متوترة الآن، إلاّ أنها لم تفهم لما شعرت بذلك التوتر. تابعت: «لماذا عليك أن تفعل أي شيء؟ دعهم يفكرون بما يشاؤون».

- لكنك قررت البقاء هنا لفترة.

- وإن يكن؟

ضغط على شفتيه بقوة فبدا فمه كخط قاسٍ. شعرت سيد بالارتعاش وازداد توترها، لكنها حاولت أن تبقى هادئة وباردة. ذكرت إحدى المقالات عنها: «الآنسة سانت جون لا تخشى شيئاً ولا تنهار أبداً». يمكنها أن تصدق ما تقرأه عن نفسها عندما يلائمها ذلك.

قال هيوغ بحزم: «أنا لن أتزوج منك».

فتحت سيدني فمها غير مصدقة: «يا إلهي، إنك مهووس! ما الأمر معك؟ هل تراني أحاول دفعك للزواج بي».

شدَّ بقوة على أسنانه: «أنا فقط أريد توضيح الأمور. إذا أردت البقاء هنا لفترة أريدك أن تعرفي موقفي جيداً».

قالت سيد ببرودة: «أعتقد أنني تصورت ذلك».

هزَّ رأسه بسرعة وقال: «رائع. إذن، عندما نقنعهم أنني لست أذوي من أجل كارين، يمكننا أن ننفصل ثم تغادرين».

وافقت سيد وقالت: «يمكننا أن ننفصل، لكنني لن أغادر».

- بلى، ستغادرين.

جاءت نبرته حادة ولا مجال للنقاش فيها، لكن سيد تجاهلته قائلة: «يمكنني البقاء إن رغبت. فكلانا يستطيع...»

- لا!

وقف وقد بدا فجأة قاسياً وصاحب سلطة قوية.

- لا يمكننا أبداً.. لا تسير الأمور على هذا المنوال. فالجزيرة صغيرة جداً. رأيتِ كم هي صغيرة اليوم، وكل شخص هنا يعرف كل شيء. لا وجود للكذب في بليكان كاي. ولا كذبة تدوم أكثر من أسبوعين، بكل الأحوال.

- لكن...

- يمكننا الاستمرار بالتظاهر طوال تلك الفترة فقط. بعد ذلك سينتهي كل شيء. سوف ننفصل وأنت ترحلين.

- أستطيع...

- لا تستطيعين...

قبل أن يسمح لها بأن تكمل، أعلمها بصراحة: «أنت لا تريدين البقاء هنا، بكل الأحوال. أنت امرأة تهوين التنقل، هل نسيتِ؟ كل ما ترغبين به هو أن تجعلي رولاند يتعذب».

كان بإمكانها أن تجادله، لكنها أدركت أن لا جدوى من ذلك. بالطبع هي تريد أن تسبب العذاب لرولاند. لكنها تريد أكثر من ذلك. وهذا لا علاقة له مطلقاً بالانتقال من هنا وبكل شيء آخر. فهي تريد أن تعرف من هي، وأن تصبح ما تريده بالضبط في النهاية.

عندما أخبرت ماكغيلفراي ليلة البارحة أنها مصممة على إيجاد عمل هنا، كانت تتحدث مع الغيوم، طارحة أفكارها لتتأكد من مدى صحتها وقدرتها على القيام بها فعلياً.

نور النهار المشرق لم يغير رأيها. في الواقع كل شيء رأته وفعلته اليوم في بليكان كاي أكدلها تصميمها. لقد أحبت الجزيرة وكل ما يتعلق بها. أحبت رمال الشاطىء الناعمة، والمياة الفيروزية واختلاط الحصى بألوانه الزاهية مع المنازل ذات الألواح الخشبية. أحبت الطرق الضيقة والنباتات المرتفعة على جوانبها، والمتاجر القديمة الطراز التي تحيط بها أشجار النخيل على رصيف الميناء. أحبت الناس اللطفاء... فكل شخص هنا يعرف جيرانه ويقف معهم في السرّاء والضرّاء.

قالت: «ستتعامل مع الأمور في أوقاتها».

- وعندما ينتهي الأمر، سترحلين.

لم يكن كلامه سؤالاً، بل تقرير واقع. . . وحدّق بعينيه الزرقاوين في عينيها. تنهدت سيد بنعومة وقالت: «عندما يحين الوقت، سأرحل».

ضاقت عينا ماكغيلفراي وقال: «عندما يحين الوقت؟ وماذا تعنين بذلك؟».

- هذا يعني أنني متأكدة أن كلينا سيعرف متى.

وهكذا تركت الأمور غامضة وبلا نهاية. بدا على ماكغيلفراي وكأنه سيجادلها بما قالته. لكنه أخيراً تنفس بهدوء وعمق. وللحظة طويلة لم يتحدث أحد منهما. التقت عيونهما واستمرا بالتحديق ببعضهما البعض.

ساد الإحساس المربك بينهما. وهذا لم يفاجيء سيد كثيراً هذه المرة. ما فاجأها هو أنه كان هناك شيء آخر، شيء أعمق وأكثر قوة. لمعت ذكرى في مخيلتها، عندما كان ماكغيلفراي قربها وهو مغمض العينين. تذكرت قوة جسده وجاذبيته. رأته يبلغ غصة وتساءلت ما الذي يفكر فيه.

قال بخشونة: «بحق السماء! بينما كنت تحولين هذا المكان إلى منزل جميل اليوم، أتمنى أن تكوني قد انتقلت إلى الغرفة الإضافية».

٦ - جنة كالجحيم

نامت سيد في الغرفة الإضافية، ودخل هيوغ إلى غرفته.

في الواقع، ظلت صورتها تلازمه لفترة طويلة وهو مستلق في سريره. ظل مستيقظاً لساعات في الوقت الذي كان يفترض به أن ينام نوماً عميقاً. راح يفكر، يتمتم، يتقلب من جنب إلى آخر. . .

لكنه لم يفكر فقط بسيد، بل كان يفكر بأشياء كثيرة. فكر بحياته، بالأهداف التي حققها، وبالأماني وكيفية الوصول إليها، وبمعنى الحياة بأكملها.

منذ ولادته كان هيوغ الأبن الثاني في عائلة قرر ابنها الأول أن يكون الأفضل. ما جعل هيوغ يصمم على أن يكون على النقيض من أخيه. فكان محباً للنوم، مندفعاً إلى التسلية والمرح، لا يهتم إلاّ للطعام الشهي والنوم الوفير، هذا ما أصبح عليه، ظاهرياً على الأقل.

لكن في أعماقه، كانت لديه أهداف كثيرة كأخيه. أولاً، قرر أن يجد عملاً يسمح له بالعودة إلى بليكان كاي، وهذا ما فعله. فكر بما تحتاج إليه الجزيرة، وبرع في تلك المهارات ليتمكن من الاستفادة منها. وإن بدا عمله وكأنه يتسكع معظم الوقت. لا يهم، فهو يحب التسكع أيضاً.

هذا ما قام به أيضاً عندما اشترى منزله. فالمنزل يحتوي على كل الأشياء التي أخبرته عنها كونستانس، كما أنه المكان المناسب لإنشاء أسرة، كما تصور هيوغ.

لطالما أراد أن تكون لديه أسرة. فلاشلان كان دائماً مولعاً بالسفر، ومولي منعزلة ومتشوقة لرؤية العالم. أما هو فيحب الطيران، ويتمتع بالذهاب إلى أماكن مختلفة، لكن أكثر ما يحبه هو العودة إلى المنزل. فهو يحب الحياة الهادئة المستقرة التي يؤمنها المنزل عادة. لطالما يتصور نفسه رب الأسرة السمح البسيط، والذي يعيش

www.elromancia.com

باستقرار مع زوجته وأولاده. وعندما قابل كارين وابنتها لاسيا، تصور ببساطة أن لاسيا هي ابنته الأولى من عائلة كبيرة جداً. مع أنه علم منذ البداية، أن عليه التقدم منها ببطء شديد. فقد كانت تشعر بالأسى، وهي لا تريد المزيد من الحزن في حياتها.

على أي حال، هيوغ لم يسبب لها الأذى مطلقاً، بل كان دائماً صديقها، وصديق لاسيا. وبدا سعيداً بتلك الصداقة، وما زال كذلك. لكنه كان يأمل منها بالمزيد، معتقداً أن كارين ستبادله شعوره يوماً ما. ولطالما قال لنفسه إنها عندما يحين الوقت ستنسى الرجل الذي سبب لها الألم، وتتزوج من الرجل الذي يحبها. لم يتصور مطلقاً أن ناتاهن سيعود وأن كارين ستغرم به من جديد وتتزوجه. لكن هذا ما حصل... وما تبقى أصبح من الماضي.

اعترف هيوغ لنفسه، وللمرة الأولى، أن المشكلة هي أنه لا يزال يرغب بما كان يطلبه معها: زوجة وأسرة تملآن عليه المنزل.

أمضى العامين الماضيين وهو يمرح على هواه. لكن ليزا عمدت على إيقاف ذلك مؤقتاً بإصرارها، وقد أقنع نفسه أنه بحاجة إلى وضع حاجز بينه وبينها كي يتمكن من العودة إلى حياته السابقة. لكن هذه ليست الحقيقة. الحقيقة هي أنه يرغب بما ترغب به ليزا ميليفان تماماً: الزواج والحياة العائلية. لكن ليس معها.

إذن مع من؟ على الفور تراءت له صورة سيدني سانت جون...

لا جدوى من ذلك، فالتفكير فيها أمر عقيم وبدون فائدة. فمع أنها فاتنة، ومع أن هناك تجاذباً خفياً بينهما، هذا ما يشعر به هو على الأقل، إلاّ أن هذا الإحساس هو بالتحديد ما شعر به نحو كارين، والله يعلم أنها لم تشعر نحوه إلاّ بالصداقة. فكيف بالأحرى مع امرأة كاملة وكفوءة مثل الآنسة سانت جون؟

سيدني سانت جون لن ترضى بالبقاء في بليكان كاي. فهي، كما ذُكر في المقالات التي قرأها، امرأة كثيرة التنقل ولا تستطيع العيش في مكان واحد. لكنها هنا الآن، في هذه اللحظة. وربما ستبقى هنا أيضاً للأسبوعين القادمين. وهي مدة كافية لتساعده بإقناع عائلته المحبة أنه بخير، وأنه حقاً قد نسي كارين، وأنه مستمر في العيش على هواه. لكن بعد ذلك سترحل.

سوف يدّعيان أنهما صديقان لمدة أسبوعين، وبذلك ستتمكن من جعل رولاند

يندم على فعلته، أما هو فسيتمكن من إقناع عائلته أنه سيتابع حياته كما يشاء تماماً. وبعدئذٍ، سوف ترحل. هذا أمر مؤكد.

تثاءب هيوغ واستدار على جنبه الآخر. لفّ ذراعيه حول وسادته وشدّها بقوة إلى صدره. في تلك اللحظة بالذات، عادت إلى ذهنه صورة سيدني سانت جون وهي مستلقية على سريره. بالطبع، إذا روّعتها الكوابيس من جديد سينهض ويذهب إليها ليرى إن كانت بخير.

راح يُصغي عمداً ليسمع أية إشارة لتعرضها إلى كابوس، لكنه لم يسمع سوى صوت البحر والمروحة وشخير بالي.

أخيراً تمكن من النوم، لكن ليس قبل أن يتذكر أنها لم تخبره عن العمل الذي حصلت عليه. شعر بالرغبة في النهوض ليذهب إلى غرفتها ويسألها، لكن رجاحة عقله منعته. سيسألها عند الصباح.

لكن، عندما نهض في صباح اليوم التالي، لم تكن سيد في المنزل.

- أين كنت بحق الجحيم؟ ألا تعرفين أن من الخطر الذهاب للسباحة بمفردك؟

نظرت سيد إلى الرجل الذي يسد طريقها عبر الممر من وراء المنزل، بدا شعره أشعث، وهو لم يحلق ذقنه بعد، وقد ارتدى بنطلوناً قصيراً. قالت له وهي تبتسم لتخفي الاضطراب التي شعرت به: «صباح سعيد لك أيضاً».

شخر ماكغيلفراي وقال: «ما كان عليك الذهاب إلى السباحة بمفردك».

- إذن تعال معي في الغد. المياه رائعة بالفعل. لم أُصدق أن المياه دافئة هكذا.

استمرت بالابتسام له، مع أنه لم يتحرك، بل راح ينظر إليها بتجهم.

تابعت: «هل ستقف هنا طوال النهار أم أنك ستدعني أمر؟».

تنحى هيوغ جانباً مبدياً تذمره، فانطلقت بسرعة أمامه. فالاحساس الذي تشعر به كلما تراه لم يخف مطلقاً، بل على العكس، بدا لها أقوى هذا الصباح.

استدارت ونظرت إلى الوراء: «هل تسبح عادة عند الصباح؟».

- أحياناً.

كان يتبعها إلى المنزل، إلا أنه يسير بتمهل، كي لا يقترب منها. سألته ببراءة: «الوحدك؟».

سمع هيوغ ضحكتها فتجهم وجهه. عادت سِيد تقول: «لم أكن بمفردي طوال الوقت، ركضت مع بعض الأولاد الذين يلعبون كرة القدم. قالوا إنهم يتدربون كما علمهم لاشلان، كما أنهم سبحوا معي. أخبروني أيضاً أن هناك حطاماً لسفينة وراء الحيد البحري. وقالوا إنها سفينة قديمة جداً، وعليها مدافع».

هزّ ماكغيلفراي رأسه موافقاً، وقال: «نعم، غرقت تلك السفينة منذ ثلاثمئة سنة أثناء تعرُّضها لعاصفة قوية. كان من المفترض أن تصل إلى الصخور الضيقة لكنها اصطدمت بالحيد البحري».

صعدت الدرج، ثم استدارت وسألته: «هل رأيتها يوماً؟».

- بالطبع، كل شخص في بليكان كاي رآها.

- أنا لم أرَ سفينة غارقة من قبل.

نظرت إلى البعيد، إلى المحيط الواسع، وتابعت وهي تتأمل المكان: «لا يبعد المكان كثيراً عن الشاطىء، أليس كذلك؟».

قال ماكغيلفراي بوضوح: «إنه بعيد جداً، ولا يمكن الوصول إليه سباحة، كما إنه خطر أيضاً».

تجهم وجهها وقالت: «خطر؟ لماذا؟».

لمعت ابتسامة على وجهه وهو يقول: «تذكري، صديقك القرش».

- لكنك قلت إن كل شخص هنا ذهب إلى السفينة.

- في القوارب، ولم يذهب أحد بمفرده.

- رائع، ربما بإمكان طومي ولورنزو مرافقتي.

وتابعت تفسّر له: «إنهما اثنان من الأولاد الذين كانوا يلعبون بكرة القدم».

- أعلم من هما. فطومي هو ابن أخ فيونا.

- آه! صحيح. فالجزيرة صغيرة، والجميع يعرفون بعضهم هنا. لا زلت أنسى ذلك، آسفة.

شعرت كأنها حمقاء، بعدئذٍ، استدارت لتسرع في الدخول إلى المنزل.

قال ماكغيلفراي: «بإمكاني أن أصطحبك إلى هناك».

استدارت بسرعة: «أحقاً! لن تمانع بالقيام بذلك؟».

رفع كتفيه وقال بخشونة: «لمَ لا؟ ربما ستكون فكرة جيدة».

لوى شفتيه هو يتابع: «ما دمنا صديقين».

بهتَ فرح سِيد قليلاً من ردة فعله، لكن ليس بشكل نهائي. فلقد أمضت صباحاً سعيداً جداً، ولن تسمح له بإفساد ذلك بفظاظته وتذمره. هزّت رأسها موافقة وقالت له: «حسناً! عندها يمكننا أن نقول للجميع إننا ذهبنا إلى هناك معاً».

قال ماكغيلفراي بتجهم واضح: «لن نحتاج لأن نخبر أحداً، سيعرفون بذلك».

واكتشفت سِيد، أنه كان على حق وبصورة مطلقة...

بعد مرور ساعة على حديثهما، وبينما كانت تسير باتجاه البلدة لتبدأ عملها. نادتها الآنسة سافرون ما إن مرّت أمام منزلها: «سمعت أنك ذاهبة للعمل عند إريكا».

ابتسمت سِيد لسماعها سؤال المرأة وقالت: «هذا صحيح».

سألتها الآنسة سافرون: «هل أنت ماهرة في التعامل مع الأرقام؟».

- نعم.

- ربما تستطعين التحدث مع ابن أخي، أوتيس، في مخزن الحبوب. إنه بحاجة إلى شخص يُنظم له الحسابات، ويضعها في جهاز الكومبيوتر.

وعدتها سِيد بقولها: «حسناً، سأتحدث معه».

ابتسمت الآنسة سافرون وقالت: «جيد. إذن، متى ستذهبين أنت وهيوغ لرؤية حطام السفينة؟».

حدّقت سِيد إليها بدهشة، وقالت: «كيف علمتِ أننا تحدثنا عن حطام السفينة؟».

لقد تركت هيوغ يتناول فطوره في المنزل منذ ساعة واحدة. وهي متأكدة أنه لم يلتقط الهاتف ليتصل بالآنسة سافرون، ليخبرها بمثل هذه الأمور. فهو يعتقد أن سكان الجزيرة يعرفون الكثير من الأمور، وليسوا بحاجة إلى من يخبرهم بها.

رفعت الآنسة سافرون كتفيها العريضتين، وقالت: «فقط فكّرت بالأمر. قال لورنزو إنه تحدث معك عن حطام السفينة هذا الصباح، وقال إنه سيأخذك إليها».

ابتسمت ابتسامة واسعة، ثم هزّت رأسها وتابعت: «لكنني قلت له، لا مجال

www.elromancia.com

لذلك. لن يأخذك أحد إلى أي مكان إلا هيوغنا الغالي».

ابتسمت سِيد وهي تهزّ رأسها ببطء، وتمتمت: «صحيح... هذا صحيح!».

- أسرعي بالذهاب الآن، فإريكا بانتظارك.

انصرفت سِيد بعد أن لوّحت بيدها للآنسة سافرون، ثم بدأت تهبط التلة ثانية. عند المنعطف مرّت أمام مخزن الحبوب. كان أوتيس يكنس الممر أمام محله.

ناداها قائلاً: «مرحباً. أنت فتاة هيوغ؟ هل تمانعين إن حدّثتك قليلاً؟».

فتاة هيوغ؟ هذا ما كانوا ينادونها به. أينما ذهب في ذلك الصباح، كان هيوغ يسمع أخباراً عن فتاته الجديدة.

قال آمبي: «فتاة هيوغ جميلة كجمال شروق الشمس».

وقال أوتيس: «فتاة هيوغ لاذعة كالسوط».

وكل شخص قابله أكّد له: «فتاة هيوغ تكاد تكون كاملة».

لم يتفاجأ هيوغ مطلقاً، ولم يعترض على ما سمعه. ففي النهاية، هذا ما يريد أن يفكر به الجميع. لكن مع ذلك، كان الأمر يثير قلقه.

بالطبع، شعر بالسعادة لأنهم أعجبوا بها، فهو معجب بها أيضاً. تباً! إنه أكثر من معجب بها. لكنه لا يريد أن يفكر الآخرون أنها رائعة، فعندما تغادر، سيعتقد الجميع أنه فاشل. تباً! آه، تباً!

لهذا السبب ذهب إلى مكتب لاشلان في مونستون بعد ظهر ذلك اليوم. رفع لاشلان نظره عن مكتبه وابتسم قائلاً: «مرحباً، هيوغ. إني معجب بفتاتك».

- أنت وكل هذا العالم الغبي!

رمش لاشلان بعينيه. ثم تراجع إلى الوراء على كرسيه ونظر إلى أخيه بفضول وقال: «وهل هذا أمر سيء؟».

- بالطبع لا!

طقطق هيوغ أصابعه، وسار بخطى واسعة في الغرفة. أحنى رقبته ليتمكن من النظر عبر النافذة إلى الشاطىء.

قال لاشلان: «لديها العديد من الأفكار الجيدة لتطوير الجزيرة».

وافق هيوغ ووجهه متجهّم: «يمكنها إدارة الجزيرة بيد واحدة حتى ولو ربطت

وراء ظهرها».

ابتسم لاشلان وقال: «ربما يجب أن ننتخبها رئيسة البلدية هنا».

- على جثتي!

- تريد أن تُبقيها في المنزل لك وحدك؟

- لا! نعم، آه، إخرس. لا أعرف لماذا أتيت إلى هنا حتى.

- ولا أنا.

أضاف لاشلان باحترام لكنه احتفظ بابتسامته: «لكن تسعدني دائماً رؤيتك».

ضرب هيوغ مرة ثانية على المكتب وقال: «اصمت من فضلك».

استمر لاشلان بمراقبته، ثم هزّ رأسه وقال مبتهجاً: «ترى أن الأمر سيء، أليس كذلك؟».

- أي أمر؟

أدار لاشلان عينيه، وسأله بتعاطف: «هذا صحيح إذن! هل تسبب لك المشاكل؟».

أبطأ هيوغ بِسَيْرِهِ في المكتب، ثم رفع كتفيه وقال: «ليس الأمر كذلك».

لكنه لا يستطيع أن يخبره ما الذي يجري بينه وبين سِيد بالتحديد.

- أين التقيت بها؟

- اصطدتها من المحيط.

ضحك لاشلان: «حسناً! كما تريد».

- أنا لا أمزح.

دفع لاشلان بكرسيه إلى الأمام وقال: «هل قلتُ إنك تمزح؟».

وحدّق بأخيه بعينيه الزرقاوين اللتين تشبهان تماماً عيني هيوغ، وتابع: «عندما يجد الشاب الفتاة المناسبة له، عليه أن يبذل كل ما يملكه من جهد ليحتفظ بها».

قال هيوغ: «لم تُصبح فتاتي بعد، وقد لا تسير الأمور بيننا بصورة جيدة».

غضِب لاشلان وسأله: «ولِمَ لا، بحق السماء؟».

رفع هيوغ كتفيه وقال: «يجبَ أن تكون لدينا الأهداف نفسها، وقد لا يحدث ذلك».

فكّر أن يزرع بعض الشكوك، فهذا سيساعده عندما ترحل. اعترض لاشلان قائلاً: «لا تكن سخيفاً، فأنت أفضل شاب في العالم... بالطبع من بعدي».

ابتسم هيوغ لأخيه، لكن ابتسامته لم تكن نابعة من قلبه.

- حتى لو كنت كذلك، فقد لا ينجح ارتباطنا. أنا باقٍ هنا، هذا أمر نهائي. أما هي فقد لا ترغب بالبقاء هنا، ولا أستطيع أن أجبرها على ذلك. ولا أنت تستطيع.

قال لاشلان مجادلاً: «لكنها قالت إنها تريد البقاء».

وافقه هيوغ: «الآن. ومن يعرف كيف ستشعر عندما تتغير الأحوال».

مع مرور الأيام، استقرت سِيد في الجزيرة. كانت تعمل لدى إريكا ليومين في الأسبوع، ولدى أوتيس ليوم واحد. أما بقية الأيام فتساعد مولي في مكتب هيوغ بالحسابات وكتابة الفواتير.

قالها ماكغيلفراي: «إنك تهدرين وقتك وتضيعين موهبتك».

أجابته: «لكن هذا يسعدني».

لم يقتنع بما قالته، ولم تعلم كيف ستتمكن من إقناعه، فهي لا تستطيع الدخول إلى دماغه لتعيد تنظيمه. وهي متأكدة أنه يُدرك كم تحب الحياة هنا في بليكان كاي.

بعد ظهر أحد الأيام أخذها لرؤية حطام السفينة. بدأ الرحلة بطبعه العادي النكد، لكنه تجاوب مع أسئلتها المتعمدة، بدا صبوراً وماهراً عندما علمها كيف تسبح تحت الماء. عندما قالت له إن هذا اليوم من أفضل الأيام في حياتها كلها، بدا مسروراً فعلاً قبل أن يرفع كتفيه باستخفاف ويسير مبتعداً.

من الواضح أن تصرفه يدل على عدم الاهتمام والفتور. لكن سِيد كانت معتادة على عدم الاهتمام بها، فوالدها كان سيداً ماهراً في ذلك. وعدم اهتمامه، كما علمت منذ زمن بعيد كان حقيقياً وواقعياً. غير أن فتور ماكغيلفراي ليس كذلك. إنه عدم اهتمام مدروس، وفتور متعمّد. لكن كيف لها أن تعرف ذلك؟

في بعض الأحيان، عندما يظن أنها لا تنظر إليه، ينصرف إلى مراقبتها وكأنه يدرس تصرفاتها وأفكارها. وعندما تستدير لتتحدث إليه، ينظر بسرعة إلى مكان آخر. لماذا؟

إنه معجب بها. شعرت سِيد بذلك منذ البداية، مع أنه، حتى الآن، يرغب

بالتظاهر أنها تزعجه مع أنها تُدرك أنه فعلاً يستمتع برفقتها. لو لم يكن الأمر كذلك لما كان ينهض باكراً كل صباح ليرافقها إلى السباحة، أو يسمح لها بمرافقته للسير على الشاطىء ليلاً عندما يخرج ليتزه بالي. أو يبقى في المنزل في المساء ليتحدث إليها.

مع الوقت اكتشفت سِيد أنه يعلم عن تاريخ بليكان كاي أكثر من أي شخص آخر في هذه الجزيرة. سألت العديد من الأسئلة لمعظم سكان الجزيرة، ووجدت أن لا أحد يعرف أكثر من هيوغ.

في البداية كان يتوقف عن الكلام ما إن يبدأ بالتحدث عن الأيام السابقة بقوله: «الأمر غير مهم، ولن تجديه مشوقاً».

لكن إن أصرّت وأخذت تطرح الأسئلة، كان دائماً يجيبها، فيخبرها عن ماضي الجزيرة، عن قراصنتها، عن رجال السياسة فيها، عن الأزمات التي مرّت بها وعن حياة التشرُّد، وعن المتفاخرين المتهورين والربابنة الذين اعتبروا بليكان كاي موطنهم الأصلي. ويمكنها القول، إن الجزيرة وقصصها تجري في دمه.

ومع مرور الأيام، أصبحت الجزيرة وقصصها، وهيوغ ماكغيلفراي جزءً من دمها أيضاً. شعرت برباط يشدها إليه لم تشعر به أبداً تجاه أي شخص آخر. لا شك أن هناك انجذاب قوي بينهما، لكن هناك أيضاً أكثر من ذلك بكثير. فهو توأم روحها وصديقها، مع أنه يحاول إنكار هذا الأمر.

يمكنه أن يكون شريكاً مثالياً لها. لم تفارق هذه الفكرة ذهنها. فكل الأشياء التي تطلبها في الرجل، والتي ظنّت أنها لن تجدها أبداً، وجدتها الآن في هيوغ ماكغيلفراي. لكن ماكغيلفراي ظلّ مصراً على إبعادها عنه. لماذا؟

لأنه لا يثق بها. هذا ما فهمته منذ البداية. لقد عرف من تكون، ومن أين أتت، وهو لا يثق أنها ستبقى هنا. لا يثق أن قضاء الصباح في العمل كمحاسبة لمتجر صغير سيرضيها ويقنعها. ومن المحتمل أنه على حق، على المدى الطويل. حسناً! عملها هذا مجرد خطوة مؤقتة. وسيلة تمكنها من الاستمرار، والتأكد أنها مكتفية هنا وليست بحاجة لأحد ما. لكن بإمكانها القيام بأكثر من ذلك بكثير. وهنا تماماً، في هذه الجزيرة، تستطيع القيام بالكثير. إنها واثقة من ذلك!

عرفت الكثير عن تاريخ الجزيرة من هيوغ. كما عرفت الكثير من سكان الجزيرة

عن موجوداتها. وتعلمت من عملها السابق كيف يمكنها أن تصنع الأفضل مما هو متوفر لديها. لقد رمت ببعض الأفكار والاقتراحات للاشلان في أول أمسية أمضتها هنا. وتلك الأفكار كانت بوادر ما فكرت به بشأن الجزيرة، أما الآن فلديها المزيد والمزيد.

التقطت الهاتف واتصلت به: «لاشلان، سيدني تحدّثك. لدي أشياء أود التحدث معك بشأنها. أتساءل إن كان لديك وقت لرؤيتي صباح الغد».

قال مقترحاً: «ما رأيك بتناول الغداء معاً على الشاطىء؟ أتى دايف غرانتاهان لزيارتي بعد ظهر هذا اليوم، وقال إنه تحدث معك مرة على الهاتف وهو يرغب في لقائك ثانية».

- هذا رائع! سألقاك في الغد.

أنهت الاتصال وهي تشعر بالسعادة. خطوة جديدة نحو مستقبلها قد تحققت، وغداً ستخطو الخطوة الثانية. لكن عليها أولاً أن تتخلّص نهائياً من ماضيها.

قالت سِيد متحدثة على الهاتف: «مرحباً، أبي. أنا سِيد. أردت فقط أن أُبلغك أنني أستقيل».

بدا صوتها ثابتاً ومليئاً بالعزم، وكانت سعيدة بذلك. إنها المرة الأولى التي تقول فيها لوالدها شيئاً لا يريد سماعه. بدا صوت سيمون سانت جون للحظة متردداً، ثم قال: «سيدني؟ آه! مارغريت».

صحح لنفسه قبل أن يتابع بفرح: «أنا سعيد لسماع صوتك، وبالطبع أنت مستقيلة. سبق أن قلت لرولاند إنك لن ترغبي بمتابعة العمل بعد الزواج».

إذن كان والدها يعلم! لطالما تمنت في قرارة نفسها أن تكون فكرة الزواج بمبادرة من رولاند بمفرده، أما الآن فشعرت بألم خفيف في معدتها. لكنه لم يكن قاسياً كما كانت ستشعر به منذ اسبوع مضى. ببساطة جعلها ذاك الألم تتمسّك أكثر بموقفها.

قالت بهدوء: «أنا لست متزوجة، أبي».

- ماذا؟ لست متزوجة؟ ماذا تعنين؟ قال رولاند إنكما ستتزوجان مباشرة بعد الاندماج. وسيكون ذلك، كالقيام بصفقتين معاً.

تحوّل صوت سيمون من صوت مليء بالفرح إلى صوت متوتر وهو يحاول فهم ما

تقوله سِيد، لا سيما نفيها لمسألة زواجها من رولاند.

- ما الذي حدث؟ لِمَ لا؟ لا تقولي لي إنك مترددة؟ لم تكوني مطلقاً من النوع المتردد، مارغريت.

- أنا لست من النوع المتردد الآن، أبي. لم أتزوج رولاند لأنني لا أريد الزواج به.

- لكنه قال إنك ستفعلين.

- كان مخطئاً.

قال سيمون بلهجة آمرة: «دعيني أكلمه. أريد التحدث إليه فورا.. والآن».

- إني آسفة، فهو ليس هنا.

- ماذا تعنين بقولك إنه ليس هناك؟ أين أنت، مارغريت؟

- أنا في جُزُر الباهامس. ولا أعلم أين هو رولاند. لكنني اتصلت فقط لأقول لك إنني باقية هنا. لا أتوقع أن تتفهم ذلك، لكن هذا ما أريد القيام به.

- البقاء؟ إلى متى؟ حباً بالله، مارغريت، هل فقدت عقلك؟

- لا، أعتقد أنني وجدته أخيراً.

ومع تلفظها بتلك الكلمات علمت أنها قالت الحقيقة كاملة.

- هل تعرضت لحادث ما؟ هل وقعت وضربت رأسك؟

- لا، أبي. لم أقع أبداً. إني بخير، وفي الواقع، لم أكن يوماً في حال أفضل.

بدا رديء الطبع الآن وهو يقول: «إذن، أنا لا أفهم. لماذا رولاند ليس معك؟ ما الذي يجري؟ اعتقدت أنكما في شهر العسل!».

- لست في شهر العسل، ورولاند ليس هنا. علي أن أُنهي الاتصال، أبي. أردت فقط أن تعرف أنني بخير. وقل لرولاند «شكراً لك» عندما يتصل. وسأتصل بك لاحقاً أبي.

رفع صوته الآن وهو يقول: «قل لرولاند «شكراً لك؟» على ماذا؟ والآن، اصغي إلى ما أقوله، مارغريت».

لكن سِيد أصغت إليه كثيراً، ولمدة طويلة جداً...

قالت: «وداعاً، أبي، أحبك كثيراً».

وأنهت الاتصال.

- أنت ماذا؟

حدّق هيوغ بسيد عندما التقى بها أمام باب المطبخ. كانت تُعد الطاولة وكأن هناك احتفالاً ما. هزّ رأسه كأنه لم يسمعها جيداً. كرّرت ما قالته: «إنني المنسقة الجديدة لشركة تطوير بليكان كاي».

بدت سعيدة جداً وهي تلوّح بإبريق العصير الذي تحمله بيده.

- المنسقة لشركة تطوير بليكان كاي؟ ما هذا الاسم بحق السماء؟

كان يعد الأيام حتى يتمكن من إبلاغها بأن قصتهما قد انتهت، وأن بإمكانها أن تحزم حقائبها لترحل، ظناً منه أنها ستكون سعيدة بالابتعاد عنه وعن الجزيرة وعن عملها الممل في المحاسبة هنا. والآن ماذا؟

اعترفت سيد قائلة: «إنه مركز جيد، مجرّد صيغة لغوية، ومجرد اعتماد مالي في الواقع.. لكنه حقيقي».

- ومن قال ذلك؟

- أخوك، أولاً. ثم اللورد غرانتاهان. تناولنا الغداء معاً اليوم.

كان عليه أن يعرف! تباً لأخيه المتطفّل الذي يتدخّل في ما لا يعنيه.

- الشركة حقيقية. يجب أن تصدق ذلك.

قال هيوغ وهو ينتقدها بقسوة: «إنهم يقيمون مزادات علنية للخبز، ويبيعون غلافات للكتب المستعملة».

قالت سيد بضيق: «حسناً! إنهم الآن يفعلون أكثر من ذلك، لن نجني الكثير من المال الآن، لكن لا بأس بذلك. يمكنني الاستمرار على مدخراتي لفترة قصيرة، بعدئذٍ سأحصل على راتب أساسي وكاف لأتمكن من العيش بارتياح».

تابعت وهي تنظر إلى عينيه: «وعندما تسير الأمور بصورة جيدة سيصبح كل شيء رائعاً».

تباً لذلك! اندفع من أمامها، ودخل إلى المطبخ. كانت سيد قد أنارت الشموع على الطاولة ووضعت عليها غطاء، فالاحتفال جدّي.

تبعته إلى المطبخ وهي تقول: «نحاول أن نضع بليكان كاي على خريطة العالم،

سنعمل على تطوير السياحة، ونضع أهدافاً مناسبة للسوق الأوروبي والأميركي. سنُدخل كل سكان الجزيرة بهذا العمل، فنعمل على إحياء الجزيرة بدون إغراقها بالحضارة المزيفة».

حدّق هيوغ بها وقال: «سنعمل؟ أو أنك ستعملين بمفردك؟».

قالت بحزم وهي تنظر إلى عينيه الغاضبتين: «سنعمل كلنا».

مررت لسانها على شفتيها، فأبعد هيوغ نظره عنها، ثم تابعت: «سأكون منسقة العمل. وهذا يعني أنني سأسهل الطرق وأبحث عن الوسائل التي يجب اعتمادها لتطوير الجزيرة».

شرحت له ما تقصده وكأنه ولد في الصفوف الابتدائية. قال هيوغ من بين أسنانه: «أعلم ماذا تعنين، لكنك قلت إنك ستغادرين».

صححت له قائلة: «قلت سنعلم كلانا متى يجب أن أرحل».

- هذا صحيح.

كان يعيش في جنة مزيفة طيلة الأسبوع الماضي، فيقضي الوقت برفقتها، يذهبان معاً للسباحة عند الصباح، يسيران معاً أثناء الليل، يتحدثان لساعات طويلة، متظاهرين بأنهما صديقان حميمان. وكاد ذلك يقتله!

صرّ على أسنانه وقال: «قلت إنك سترحلين عندما نتفق على الانفصال. لقد وافقت على ذلك».

- لم ننفصل بعد.

- هذا ما سيحصل بدون أي شك.

سألته سيد: «لماذا؟ يمكننا أن نجعل الأمر جدياً ما دمنا نفكر في المستقبل. وما دمنا نحسب كل الاحتمالات والعوامل المتوفرة».

قال هيوغ بقسوة: «آه! حقاً؟ ما رأيك هذا الاحتمال؟ هل فكرت به؟».

تقدم بثلاث خطوات واسعة عبر المطبخ، فأخذ الملعقة من يدها ورماها على الطاولة، ثم ضمّها إليه بقوة وعانقها.

جاء عناقه مليئاً بالغضب والاحباط، محمّلاً بالشوق والرغبة اللذين طالما أدخرهما للمرأة التي سيشاركها آماله، أفراحه.. كل حياته. عناق حمل كل

www.elromancia.com

العواطف واليأس التي شعر بها طيلة أيام هذا الأسبوع. أيام...؟ تباً! بدت له شهوراً بل سنوات...

لو أنها...

بادلته سيدني عناقه بحرارة. راحت يداها تعبثان بشعره، فيما التفت ذراعاه بقوة حولها معلنة لها شوقه الذي حرص على إنكاره طيلة الأيام الماضية. أنزلت سيد يديها إلى صدره، لا لتدفعه بعيداً عنها بل لتنعم بدفء عناقه. في تلك اللحظة، أجفل هيوغ، وابتعد عنها بسرعة. من الأفضل له أن يبتعد عنها ما دام يحتفظ بذرة من المنطق في عقله.

يا للجحيم! لقد بادلته العناق بشغف يضاهي ما لديه من شغف.

٧ - ... وانتظرت العاصفة

رمى هيوغ قمصاناً وسراويل، ثياباً داخلية وجوارب، وكل ما قد يحتاجه ليبتعد مدة يومين أو أكثر، في حقيبته الكبيرة. لكن هذا لا يعني أن الابتعاد ليومين سوف يحل المشكلة.

لن تنتهي مشكلته إلاّ إذا رحلت سيدني سانت جون، ولم تعد ثانية. لكنها لن تفعل ذلك. إنها تدور حول المنزل، وتعمل، وكأنهما لم يوشكا أن يتصرفا بجنون ليلة البارحة.

فتح درجاً آخر، وأفرغ نصف محتوياته في حقيبته. والله وحده يعلم إن كان سيحتاج أياً منها. فكل ما يحتاجه هو أن يهرب مبتعداً. شعر بالامتنان لطوم ويلسون الذي أوقفه وهو في طريقه إلى مقهى غروبر ليلة البارحة. قال له طوم إن لديه عملاً في ميامي صباح الغد وطلب من هيوغ نقله إلى هناك.

قال لطوم إنه سيلقاه على رصيف الميناء عند التاسعة صباحاً. بعد ذلك تابع سيره نحو المقهى مصمماً على البقاء هناك إلى أن يتخلّص من ضيقه. أدرك أن خبر ذهابه إلى هناك سينتشر في الجزيرة بأكملها، إذ سيقول كل ما يعرفه: «هيوغ في الغروبر، بمفرده».

بدأ الهمس تقريباً ما إن دخل من الباب. تجاهل هيوغ ذلك، وهل يهمه إذا ما تكهنوا أن هناك مشاكل بينه وبين سيد؟ يا إلهي! هناك حقاً مشاكل بينهما. إذا كان الاعجاب بتلك المرأة التي تبدو غير مناسبة له على الإطلاق ليس مشكلة، فهو لا يعلم ما هي المشاكل. أمّا ترحيبها بعناقه فكان مصيبة أكبر.

بِمَ كانت تفكر بحق الجحيم؟

حسناً! من الواضح أنها لم تكن تفكر أبداً. لذلك سيعمل هو على التفكير عنهما

www.liromancia.com

معاً. ومن أجل ذلك أتى إلى هنا. جلس، وأدار ظهره إلى الحائط، بعد أن طلب فنجان قهوة. راح ينظر بعيني متقدتين بالغضب إلى كل شخص يظهر أية نيّة في التقرُّب منه.

شخص واحد فقط تجرأ على الاقتراب منه: ليزا ميليغان. كانت مع صديقتيها في المقهى، ورأته يجلس وحيداً، فأشرق وجهها. تباً لها!

قالت وهي تبتسم له وتقف قرب طاولته: «هيوغ، لم نعد نراك مؤخراً، هل رحلت صديقتك؟».

- لا!

ووضع فنجانه على الطاولة محدثاً ضجّة متعمدة.

- أنا، آه.. فهمت!

شك بذلك كثيراً. مع ذلك، لم تغادر. وبدلاً من أن تفعل، مالت برأسها قليلاً وسألته بتعاطف واضح: «هل هناك مشكلة ما؟».

قال بغضب: «ما رأيك؟».

سئم من لعب دور السَيِّد اللطيف الطيب، والذي يعتني بمشاعر كل شخص آخر. إلى أين قادته تلك المشاعر النبيلة؟ وماذا عن مشاعره هو؟ هذا ما فكّر فيه بغضب واضح.

تحرّكت ليزا قليلاً، ثم سألته بعد لحظة: «هل ترغب في الانضمام إلينا؟».

تنفَّس بعمق وتنهَّد قليلاً: «لا، شكراً».

رشف القليل من القهوة، ثم نظر إليها وتابع: «أنت فتاة لطيفة، ليزا، لكنني لا أريد أية صُحْبَة الليلة».

الليلة ودائماً. هذا ما كان يجب أن يقوله لها، ومنذ وقت طويل. ابتسمت ليزا بضعف، ثم هزّت رأسها وقالت: «بالطبع».

تراجعت قليلاً وعلى وجهها ابتسامة متوترة، وتابعت: «ربما في وقت آخر، إذن؟».

حدّق هيوغ إلى فنجانه وقال: «نعم، ليزا. ربما في مناسبة أخرى».

بعد ذلك، لم ينتبه إلى مرور الوقت حتى سمع صوتاً يقول: «حان وقت الإقفال،

عزيزي».

رفع نظره فرأى ميشال صاحب المقهى واقفاً بجانب طاولته، وقد ارتدى سترته، وحمل المفاتيح بيده استعداداً لإقفال المقهى.

سأله ميشال: «هل أنت بخير؟».

قال هيوغ: «بل رائع، ولم أكن يوماً بحال أفضل».

نظر ميشال إلى النجوم، وقال: «العاصفة تتجمع، وستهب خلال يومين أو أكثر».

لقد كانت العاصفة هنا في رأس هيوغ. رفع كتفيه وقال: «التهُب ساعة تشاء طالما تتركني أرحل. سأسافر عند الصباح متجهاً إلى ميامي».

- برفقة فتاتك؟

- لا!

إجابة هيوغ العنيفة أدهشته هو أيضاً. فرك وجهه بيديه، وكرر بهدوء أكثر: «لا».

ربّت ميشال على كتفه وقال: «هكذا إذن؟».

قال هيوغ غاضباً: «ماذا تعني؟».

لمعت أسنان ميشال في الظلام، وقال: «لا نستطيع العيش معهنّ، كما لا نستطيع العيش من دونهنّ».

أليست تلك هي الحقيقة؟ هذا ما فكر به هيوغ وهو يسير عائداً إلى منزله. وها هو الآن، عند الصباح، يستعيد كل ما حدث معه. كان رأسه يضج من الألم وتمنى لو أن سِيد تتوقف عن طرق الأوعية ببعضها وهي تغني في المطبخ. كم من الفوضى والضجة تستطيع امرأة واحدة أن تحدث؟

لفَّ بزّته العسكرية، ورماها في الحقيبة، ثم رمى حذاءه فوقها. ربما سيخرج الليلة، ليتمتع قليلاً بوقته. ليقابل امرأة فاتنة تُنسيه المرأة الفاتنة التي تعيش في منزله، والتي تقوده إلى الجنون.

أقفل الحقيبة، وسار نحو المطبخ. كانت سِيد تعمل وهي تغنّي وقد أدارت ظهرها له، كأنها تعمّدت أن تتركه يواجه ألمه بنفسه. قال بخشونة: «إنني ذاهب إلى

www.elromancia.com

ميامي».

استدارت على الفور، ونقلت نظرها بين وجهه وبين حقيبته الكبيرة التي يحملها بيده، لكنها لم تقل شيئاً. فقط، استمرت بالنظر إليه. قال عارضاً عليها الرحيل: «يمكنني أن أُقِلّكِ، وأعيدك إلى حياتك الحقيقية».

هزّت رأسها ببطء، وقالت بعناد واضح: «هذه هي حياتي الحقيقية. لقد استقلت من عملي».

هذا آخر ما يرغب في سماعه. رفع هيوغ كتفيه وقال: «افعلي ما يحلو لك. وجدي لنفسك مكاناً لتعيشي فيه أثناء غيابي».

لمح ومضة من الألم في عينيها. لكنها ضغطت على شفتيها وقالت بخشونة: «سأفعل ذلك».

قال لها بلهجة جافة وباردة: «سأبقى هناك، ولا أعلم كم سأغيب، غير أنني لا أستطيع أن آخذ بالي معي. هل تريدينها هنا معك؟ إذا كنت لا تريدينها سآخذها إلى مولي».

- سأحتفظ بها معي.

حدّقا ببعضهما لثوانٍ عديدة. قبل أن يقول هيوغ: «يمكنك المغادرة في أي وقت تشائين، وإن بدلت رأيك ورغبت بالرحيل، اتركي بالي عند مولي».

- قلت لك إنني باقية، وإنني لا أرغب في المغادرة.

التقت عيونهما، وأول من أشاح بنظره كان هيوغ، إذ وجد أنه يحدّق بها ويرغب في معانقتها مرة ثانية.

تمتم: «آه! تباً. علي الذهاب».

حدّقت سِيد باللوائح الموجودة أمامها على الطاولة. لوائح بأسماء الفنانين، والصانعين الماهرين، وأصحاب المهن اليدوية. لوائح بأسماء الأشياء التي تثير اهتمام سكّان الجزيرة، وكل ما يؤمن أسباب الراحة والتسلية، من المطاعم وأمكنة تأجير الدراجات الآلية وكذلك من مدربي الصيد والغطس مع تأمين كل المعدّات اللازمة.

قالت للاشلان ودايفيد البارحة، وهي تلوح بهذه اللوائح لهما: «لدي هنا

لوائح بكل نحتاجه. فأنا دائماً أفكر بكافة الاحتمالات».

لكن، لم تكن تلك الحقيقة. لا سيّما عندما يصل الأمر إلى المهم... إليها شخصياً.

كما حصل معها بعد إعلان رولاند لزواجهما الوشيك، قصرت سِيد عن فهم شيء حيوي ومهم. لكن ليس بعد الآن! هذا ما قررته. كالجميلة النائمة التي أيقظتها قبلة الأمير من سباتها العميق، أيقظها عناق هيوغ على حقيقة جديدة، على كل أنواع الاحتمالات التي لم تجرؤ أبداً على التفكير بها. لكنها الآن تغيرت. بالأمس تجاوبت مع عناقه بشوق كبير. فهي تريد هيوغ ماكغيلفراي كما لم ترد أي شخص في حياتها.

هل هذا هو الحب؟

الحب؟ قالت تلك الكلمة بصوت عالٍ، وكأنها تتذوق طعمها على لسانها، وتتفحصها.

جلست هادئة، تحدّق في الفراغ. وبعدئذ، ولأنها سيدني سانت جون التي اعتادت أن تضع الخطط وتكتب الوقائع؛ كتبت كلمة «حب» على قطعة من الورق وأخذت تحدّق بها.

قالت بصوت يكاد يكون همساً هذه المرة: «الحب.. أنا أحبه!».

جاء إقرارها بذلك عميقاً، صعب الفهم، وأساسياً جداً حتى إنها شعرت بالذهول والدهشة. لم يكن الأمر كخطة عمل أو اندماج ما أو أي شيء آخر بمكن للمرء أن يُفكر به مسبقاً ويدرس كافة الاحتمالات الممكنة. إنه يحدث معك فجأة وببساطة متناهية...

قالت ثانية: «أحبه».

وكأنها تتذوّق تلك الكلمة ثانية... إنه غير مناسب لها. فهو قاسٍ جداً، وقذر أيضاً، كما أنه عنيد جداً ومتشبث برأيه. ومع ذلك...

تحرّك ذيل بالي وضرب بالأرض، كذلك فعل قلب سِيد. أخذت نفساً مرتعشاً سريعاً، فأدركت أنها كانت تمسك القلم بقوة، وعلى الفور تركت أصابعها ترتاح، وخففت من ضغط قبضتها. لكنها رأت يدها ترتجف.

مرّت في رأسها صور متلاحقة لماكغيلفراي في أوضاع مختلفة: يلاعب بالي،

يركض على الشاطىء، يعلمها كيف تسبح تحت الماء، يخبرها قصصاً عن تقاليد الجزيرة، مستلقياً بتكاسل على الأريكة، وأخيراً . . . وهو يعانقها.

آه، يا إله السماوات! آه، يا إلهي ساعدني!

السؤال المهم الآن هو: ما الذي ستفعله حيال ذلك الحب؟

أدركت أن عاطفتها لا تقوم على الإعجاب فقط بل على مشاعر أكثر عمقاً، إلاّ أنها وفي الوقت نفسه، اعترفت لنفسها أنه بالتأكيد ليس مغرماً بها.

ظنت أنها بحصولها على العمل الذي قدمه لها لاشلان ودايفيد ستبرهن لهيوغ أنها ترغب بالبقاء، وذلك سيجعله يقبل بها. وبعد ذلك، قد يرغب في اكتشاف احتمالات بقائهما معاً. أما الآن، فهي تريد أكثر من مجرد احتمالات. . . تريد حبه.

لكنه يحب كارين كامبل. كارين هي المرأة التي رغب في قضاء حياته كلها معها، وهو لم ينكر ذلك مطلقاً. ومع أنه الآن لا يستطيع الحصول عليها، وتقبّل الأمر الواقع، لكن هذا لا يعني أنه سيرضى بفتاة أخرى.

توقف الوقت بالنسبة إلى سِيد. . حدّقت بكلمة «حب» على الورقة أمامها. أدركت أنها الحقيقة بالنسبة إليها، لكنها ليست كذلك بالنسبة لهيوغ. فهو ليس مغرماً بها. . حتى الآن.

أخذت سِيد نفساً بطيئاً ومتوتراً. أمن المحتمل أن تتغير مشاعر هيوغ ماكغيلفراي نحوها؟ هل يتطور الانجذاب بينهما إلى شيء آخر؟ شيء أكثر عمقاً، يدوم إلى الأبد؟

إدراكها لتلك الحقيقة جعلها تشعر بالصدمة. فشعرت بدقات قلبها تتزايد، وغدا النفس التالي التي أخذته شهقة. لقد تغيرت مشاعرها تماماً منذ أن التقت به للمرة الأولى. فهل يمكن لمشاعره أن تتغير؟

تنفست وهي تقول: «هذا ممكن».

ظهرت ابتسامة على وجهها، ما لبثت أن تحولت إلى ضحكة صغيرة. همست لنفسها: «فكري بالأمر كتحدٍ».

فالله يعلم أنه كذلك. تحد كبير جداً وأكبر من تنظيم لوائح وجداول أو تحديد

فرص للسياحة في بليكان كاي!

مع أن سِيد تستمتع بالتحدّي، وهي ناجحة بذلك. لكنها لا تعرف كيف تغير فكر رجل ما، ولا تعرف كيف تبدّل عواطفه. كل ما تعرفه أن عليها المحاولة.

- أنت لن تتعلمي إلاّ إذا حاولت.

هذا ما كان يقوله والدها دائماً.

حقق سيمون سانت جون ثروته وهو يحاول معالجة الأشياء التي لم يفكر بها أحد من الناس، ولطالما نجح بذلك. مع أن لديه إخفاقات هائلة، كما ذكرت سِيد نفسها، فهو لم يكن والداً جيداً، في الواقع. لكنه بذل جهداً، وقدّم أفضل ما لديه من خلال إمكانياته المحدودة، وذلك كان أفضل من عدم المحاولة، كما اعترفت لنفسها. لتساعدها السماء! من الواضح أنها ابنة سيمون سانت جون في النهاية.

مرَّ يوم الثلاثاء ولم يرجع هيوغ.

أمضت سِيد معظم النهار وهي تتجول على الشاطىء، ظاهرياً، كانت تحاول إيجاد مكان ملائم في بليكان كاي يثير اهتمام الزائرين، لكنها كانت طيلة الوقت تترقّب أي أثر لمروحيته المائية، التي لم تظهر أبداً.

لم يرجع نهار الأربعاء، أيضاً. عملت لدى إريكا عند الصباح، بعدئذ أمضت الوقت في الأعمال المنزلية، فراحت تغسل الستائر، تنظف النوافذ، وتمسح الأرض. ثم ذهبت إلى المكتب لتعيد ترتيب الملفات، وهكذا ستكون هناك إن رغب بالاتصال. لكنه لم يفعل. . .

نهار الخميس قامت بإجراء لقاءات طويلة، في مونستون مع كل فناني الجزيرة والصناعيين المهرة والمبدعين. قدم لها لاشلان الشرفة الأمامية لاستقبال ضيوفها، كما قدّم لها طاهيته المميزة مادي. رأت سِيد أن الفرصة متاحة لمشاركة الجميع والقيام بالمزيد من الاتصالات. لكن هيوغ لم يظهر.

- اتصل هذا الصباح. يفاجئني أنه لم يتصل بك.

قالت مولي ذلك عندما توقفت سِيد مع بالي في طريقها إلى الاجتماع في مونستون.

- لا بد أنه اتصل ليتحدث عن الأعمال.

قالت ذلك وهي تبتسم، وقد بذلت جهدها كي تبدو غير مهتمة.

- لم يتحدّث عن الأعمال، قال إنه سيعود هذا المساء. لكنه لم يكن يعلم شيئاً بشأن العاصفة.

- أية عاصفة؟

نظرت إلى السماء الزرقاء الصافية. بدا الطقس أشد حرارة ورطوبة من الأمس، إنه أحد أيام شهر آب في جزر الباهامس، حيث الحرارة والرطوبة أمران متوقعان.

كررت مولي بنفاد صبر وهي تشدد على كلمة العاصفة: «العاصفة! من الواضح أنك لم تصغي إلى ما قالته ترينا. إذا كنت تريدين أن تصبحي فعلاً من سكان الجزيرة، سيد، عليك أن تبدي اهتماماً خاصاً بترينا».

ترينا هي الفتاة التي تتحدّث عن الطقس في الإذاعة المحلية، وهي أسطورة الجزيرة. لأنها كما قيل لسيد، تتنبأ بحالة الطقس أفضل مما تفعل الأرصاد الجوية العالمية في الولايات المتحدة وفي الباهامس أيضاً.

رفعت سيد كتفيها وقالت: «كنت.. منشغلة».

فالطقس هو آخر اهتماماتها في الأيام القليلة الماضية. لكن، بما أن مولي تتوقع منها أن تسأل، قالت: «وما الذي قالته ترينا؟».

- العاصفة قادمة من الشرق. ستضرب الجزيرة هذا المساء، ثم تتحول إلى فلوريدا أثناء الليل.

كررت مولي الكلمات وكأنها حفظتها عن ظهر قلب.

- يبدو لي كمعظم الأيام السابقة.

صحيح أنها لم تمكث في الجزيرة لوقت طويل، لكنها عاشت في فلوريدا لمدة ثلاث سنوات. ولتلك المنطقة نصيبها من الأمطار الاستوائية والتي تطال كل شخص هناك. فتثير غضب البعض أو تهدىء البعض الآخر، ثم تتوقف في وقت لا يتعدى الساعة الواحدة.

لم يكن الأمر يستحق الاهتمام بنظرها، مع الاعتذار من ترينا. هذا ما قالته لمولي.

أجابت مولي: «ليس هذه المرة. تقول ترينا إنها قوية جداً، حتى إنهم قد يُطلقون عليها اسماً ما».

بدت سيد مشككة بما تسمعه، وقالت: «كما يحدث في الأعاصير؟».

- تلك الأعاصير خطيرة للغاية، أما هذه العاصفة فليست كبيرة جداً، لكن ترينا تقول إنها ستُصبح كذلك. فهي في حالة التجمع الآن، وستصل إلى هنا الليلة. لذلك عندما تنتهي من عملك في مونستون، من المستحسن أن تبتاعي بعض الشمع والماء والبطاريات وأشياء كهذه. فأنا لا أعلم إن كان هيوغ يحتفظ بما يكفي من هذه الأشياء.

- هل أنت جادة بكلامك؟ إن كنت كذلك، أليس من المفترض أن ألغي الاجتماع.

- آه، لا! سيخيب أمل الجميع إن فعلت ذلك. فهم لا يتلقون دعوات لتناول الشاي في مونستون كل يوم. بالمناسبة، فكرتك رائعة، وطلبك منهم أن يتحدثوا جميعاً، يجعل الأمر أكثر أهمية، فهكذا يشعر الجميع أنهم معنيون بالأمر.

- وهو كذلك!

- أعلم ذلك. وسيكون الجميع هناك. لا تقلقي، لاشلان سوف يتتبع أخبار الطقس، وسيعلمك إن كنت بحاجة إلى إلغاء الاجتماع.

هزّت سيد رأسها وقالت: «إذا كان هذا هو رأيك».

قالت مولي: «هذا رأيي. فاستمتعي بوقتك...».

وعادت إلى المحرّك الذي تعمل عليه وهي تتابع: «... واشربي فنجان شاي عني».

همّت سيد بالمغادرة، إلاّ أنها توقفت عند الباب لتقول: «وماذا عن هيوغ؟ قلت إنه عائد إلى المنزل الليلة. لكنه لن يحاول السفر إذا علم بالعاصفة، أليس كذلك؟».

قالت مولي بمرح: «ليس إن كان لديه دماغ في رأسه».

ومع سماع سيد لذلك شعرت أنه لن يخاطر بالقدوم، فشعرت بالارتياح. لاحظت وهي تمشي باتجاه مونستون أن القلق يبدو على كل شخص في الجزيرة، ولم تدرك السبب.

www.elromancia.com

آه، نعم! الطقس حار. لكن كان هناك هدوء عجيب، وفكرت أن هذا أفضل من وجود الرياح، أليس كذلك؟

بعد أن وصلت إلى الفندق، فكّرت أن توقعات تريتا قد لا تكون دقيقة تماماً. بعد قليل بدأ لاشلان يعرفها على الناس، فانخرطت بما يحدث أمامها، ونسيت كل شيء عن العاصفة. كانت مولي محقة تماماً، فالدعوة لتناول الشاي في مونستون كانت ضربة حظ كبيرة. فهناك التقت سِيد بناتاهان وولف وزوجته كارين... ما إن دخلت حتى رحبا بها كثيراً وكان متشوقين للتحدث معها، لا سيّما كارين التي قالت لها: «إنني سعيدة جداً بوجودك. سعيدة جداً لك ولهيوغ. إنه رجل رائع».

قالت سِيد بصدق: «نعم أعتقد أنه كذلك، أيضاً».

... وكل ما أتمناه هو أن ينتهي من قصة حبه لك. بالطبع لم تقل ذلك. فهي لم ترغب بأن تشعر كارين بالتوتر. تحدثا إليها وعرفاها على ابنتهما المراهقة لاسيا، وابنهما الرضيع، جوش. كما عرّفاها على بعض سكان الجزيرة الذين لم تقابلهم بعد، بمن فيهم أشخاص أقسم لاشلان أنهم لن يأتوا أبداً إلى الاجتماع.

من هؤلاء طورك سوير، الذي يصنع لاقطات للورق من صخور الجزيرة ومن المرجان والنظارات القديمة، أعجبت سِيد بها كثيراً في متجر مونستون للهدايا. وكان لاشلان قد أخبرها أن هذا الرجل لم يغادر مطلقاً شرفته الأمامية قرب رصيف الميناء. لكنه أتى اليوم...

- لاقطات الورق التي أصنعها موجودة هنا، لكنني لم آت يوماً إلى مونستون من قبل.

قال ذلك لسِيد، دون أن ينظر نحوها نظرة واحدة. كان منشغلاً بالتطلع إلى كل شيء حوله، ثم تابع: «أعتقد أنني أستطيع التجوّل في المكان».

- نحن أيضاً. فالمكان رائع جداً.

قال ذلك الأخوة كاش، إيراسموس وأكيليد، وهما اللذان يصنعان السفن الخشبية وألعاب الأطفال التي أعجبت بها سِيد عندما ذهبت مع مولي إلى كوخ كارين.

قالت سِيد: «يسعدني حضوركم».

وقامت بدورها كمنسّقة لتطوير الجزيرة. فهذا هو مستقبلها، وهي مصممة على البدء به. ليس هناك ما تستطيع القيام به بشأن هيوغ الآن، لذلك يمكنها القيام بشيء ما بشأن عملها.

دعتهم إلى الجلوس على أكثر المقاعد راحة، حيث جلسوا بنشاط، بينما قدمت لهم الشاي.

جعلتهم سِيد يتحدثون عن أعمالهم، وأدركت أن هناك الكثير من الكلام الذي يرغبون في قوله، ولكن في الظروف المناسبة. لكن المشكلة هي أنهم بحاجة ليشعروا بالراحة، وبالاهتمام.

سألت وهي تبتسم وتنظر بشك إلى النافذة، حيث السماء ما زالت زرقاء صافية: «إذن ما هو رأيكم بالعاصفة؟»

قال إكيليد: «ستكون عاصفة كبيرة».

وافقه إيراسموس وهو يهز برأسه: «نعم، ويمكنك التأكد من ذلك من كيفية ارتفاع أوراق الشجر».

أضاف طورك: «ومن مكان الطيور، فكلها قد اختبأت في أمكنة منخفضة».

قالت سِيد: «العصافير؟ والأوراق؟».

جلست وأمسكت بفنجان قهوتها، ثم انحنت نحوهم: «أنتم تعرفون ذلك؟ هل أنتم متأكدون؟».

هزّ الرجال الثلاثة رؤوسهم على مهل، وقالوا معاً: «وتريتا تقول ذلك».

ومع حلول بعد الظهر، كانت سِيد قد سمعت معلومات تقليدية كثيرة عن عواصف الجزيرة؛ سمعت كيف يمكن التنبؤ بقدوم العاصفة لأن الأسماك تسبح في أماكن أكثر انخفاضاً، أو لأن الحيد البحري يتبدل لونه إلى الأسود الداكن، أو لأن لون ذيول السحليات يصبح أرجوانياً...

ومع ذلك كانت السماء لا تزال صافية مشرقة...

سألت لاشلان بعد مغادرة الجميع ليشتروا الشموع أو البطاريات أو الطعام: «هل تصدق ذلك؟ هذا القلق كله والعمل من أجل العاصفة؟».

كادت تتساءل إن كانوا يحاولون التأثير عليها، محاولين أن يثيروا قلقها من أجل

لا شيء، أو يحاولون تقييمها. لكن لاشلان هزّ برأسه، وقال: «تعالي معي».

أمسك بذراعها وقادها نحو النافذة، ثم أشار إلى الأفق وتابع: «انظري إلى هناك».

رأت سِيد خطاً من الضباب الأرجواني اللون، تعلوه بعض الغيوم الرمادية. لم يبدُ لها المنظر مخيفاً، فسألت بشك: «تلك؟».

لم تكن تعلم ما الذي عليها أن تتوقعه. رياح قليلة؟ أم بعض البرق والرعد؟

- لا تبدو خطيرة حقاً.

قال لاشلان واعداً: «ستصبح كذلك. أما الآن، فقد حان وقت تثبيت الأبواب بعوارض خشبية».

الآن، سمعت سِيد جملة لم تستعملها يوماً، فسألته: «وماذا يعني هذا؟».

- يجب إدخال كل مفروشات الشاطىء إلى الفندق، كذلك المظلات، وأوعية النباتات. وتغليف كل شيء لا نستطيع حمله وتثبيته بالمسامير ووضع ألواح ومصاريع فوق النوافذ.

المصاريع الوحيدة التي رأتها سِيد في حياتها كانت فقط للزينة.

- أنت لا تمزح، أليس كذلك؟

- لا، لا أمزح. دعيني أنهي أعمالي هنا وسأذهب لمساعدتك بمنزل هيوغ.

نظرت سِيد مرة ثانية إلى الأفق، هل أصبح الضباب أكثر سواداً؟ وهل أصبحت الغيوم قريبة هكذا بهذه السرعة؟ ماذا لو حاول هيوغ العودة إلى المنزل اليوم؟

فجأة قالت بسرعة: «سأذهب الآن وأبدأ بالعمل».

مع أن شرفة هيوغ كانت أنيقة ونظيفة، لكنها ما تزال مليئة بالأشياء التي يجب نقلها إلى الداخل. جمعت سِيد تلك الأغراض التي عملت جاهدة لترتيبها. أدخلت الدراجة، ونزعت أضواء راقصات الهولا والفلامنغو وشريط أشجار البلح. وضعت لوح الغطس في غرفة هيوغ، وسرير بالي في المطبخ، وأدوات الغطس وزعانف السباحة في غرفتها. وضعت ما تبقى من أدوات ميكانيكية في صفوف في غرفة الجلوس. وفي كل مرة تخرج فيها إلى الشرفة لتحمل الأغراض، كانت تنظر إلى الأفق بتمعن، لترى الضباب الأرجواني يقترب من الشاطىء.

وصل لاشلان في الوقت الذي بدأت فيه الرياح تعصف قليلاً. أدخل معها أرجوحة الشرفة والأرجوحة الشبكية، بعدها عمل على تثبيت مصاريع النوافذ. وقامت سِيد بما تستطيعه للمساعدة. تبعت لاشلان وهو يتأكد من صلاحية مصافي المياه.

- هل سمعت شيئاً من هيوغ؟ قال لمولي إنه قد يعود الليلة.

- لا تصدقي ذلك، فهو ليس غبياً. ومن المحتمل أنه يقيم في أحد فنادق ميامي الهادئة، منتظراً انتهاء العاصفة.

ابتسمت سِيد ابتسامة ضيقة وقالت: «هذا ما أتوقعه».

وضع لاشلان المصراع الأخير وقال: «والآن، أصبح كل شيء في مكانه. سيتمكن المنزل من الصمود في العاصفة بشكل جيد. هيا، تعالي. احضري صحن بالي وطعامها، ولنذهب».

هزّت سِيد رأسها مرتبكة: «نذهب؟ إلى أين؟».

- إلى بيتنا. فأنت لن تبقي هنا...

قال لاشلان ذلك وقد أدرك رغبتها بالبقاء حتى قبل أن تتكلم. لذا تابع يقول: «بمفردك؟ لا تكوني سخيفة!».

- قد يأتي هيوغ. وإن لم تكن بالي هنا..

- سيعلم أين يبحث عنها، وعنكما معاً. هيا، لنمضي. فيونا بانتظارك، وهي تتوقع قدومك. هناك، المكان أكثر أماناً بجانب ملجأ الجزيرة. هذا المنزل مشرف جداً على البحر، وأعترف أن مونستون هي كذلك، لكن الملجأ هو المكان الوحيد الذي يجب أن تكوني فيه في العاصفة.

هزّت سِيد رأسها وقالت: «أريد البقاء هنا».

وعندما فتح لاشلان فمه ليجادلها، تابعت بحزم: «قلت إن المنزل أصبح آمناً جداً، أنت قلت ذلك».

- أعلم، لكن...

- لاشلان. حقاً، أنا أريد البقاء. وسأكون بخير.

لم يكن بإمكانها أن تشرح له أكثر من ذلك. فمن الناحية المنطقية، لاشلان على

صواب بالطبع. لكن لا علاقة للمنطق بما يحدث. إنه مجرد حدس، لا أكثر ولا أقل. فآخر ما قالته لهيوغ، أنا لن أغادر. لذلك لن تفعل.

قال لاشلان: «لن يأتي هيوغ الليلة».

لكن سِيد لم تتزحزح عن موقفها، وقالت: «إني باقية هنا».

وما إن انتهت من كلامها حتى وضعت يدها على رأس بالي، فرفعت بالي فمها ولمست أصابعها. انتفخ فم لاشلان، وقال: «ستقتلني فيونا».

- لا، لن تفعل ذلك. ستتفهم أن هذه هي إرادتي..

- نعم، صحيح. سأخبرها بذلك.

تمتم بذلك وهو ينظر من خلال الباب المفتوح، ثم أضاف: «بدأ انهمار المطر».

- إذن، من الأفضل أن تذهب.

ذهبت سِيد إلى الباب ووقفت قربه. فلاحظت أن الأشجار بدأت تتمايل بقوة. قالت: «أرجوك لاشلان، سأكون بخير. قلت إنني سأبقى هنا».

فتح فمه، وبدا عليه كأنه سيجادلها ثانية، إلاّ أنه عاد وأقفل فمه، ثم هزّ رأسه ببطء وهو يقول: «يا إلهي! أنت عنيدة مثله تماماً. أنتما تستحقان بعضكما البعض».

بعد ذلك، ضمها إليه وقال: «إذا قتلتني زوجتي، فأنت السبب».

هزّت رأسها بوقار، وقالت تعده: «سأقول ذلك لهيئة المحكمة».

ابتسم لاشلان وقال: «اقفلي المصاريع عندما أغادر، وثبتيها جيداً. إذا وصلت المياه إلى مستوى شجيرات المنغروف، من الأفضل لك أن تجلسي في مكان مرتفع».

قالت سِيد واعدة: «سأفعل».

راقبته وهو يغادر، بعدئذٍ ثبتت المصاريع جيداً. شعرت كأنها تجلس في علبة صغيرة هي وبالي. في تلك الأثناء، اشتد هطول المطر، وبدأت الرياح تعصف بشدة.

لن يأتي هيوغ.. أدركت أنه لن يأتي. حتى إنها تمنت ألاّ يفعل لأنه سيكون كمن يقدم على الانتحار لو حاول السفر في هذا الجو العاصف. إلاّ أنها، وبكل

الأحوال، بحاجة لأن تكون هنا. لقد قطعت على نفسها وعداً والتزاماً.

هزّت الرياح المنزل بأكمله، واستمر المطر بالانهمار. رفعت بالي أذنيها ونبحت، فقالت سِيد لها: «إنها العاصفة، تماماً مثلما قالت ترينا».

نبحت بالي ثانية وقفزت نحو الباب. قالت سِيد، وهي تشعر بالرعب: «آه، عزيزتي. لا تقولي إنك تريدين الخروج».

من المؤكد أن بالي ليست بحاجة إلى الخروج الآن في هذا الجو العاصف. فالمطر كان يتساقط كالأنهار، والرياح تدق المصاريع بشدة. لكن بالي ذهبت إلى الباب وأخذت تنبح. ثم ضربت المصاريع بقوة. فصرخت سِيد، مرتعبة: «آه، ساعدوني».

سمعت صوتاً مكتوماً يصرخ من الخارج: «حباً بالله! سِيد، افتحي هذا الباب اللعين».

٧ - أريدك، لي

- ماذا تفعلين هنا، بحق السماء؟

سألها ماكغيلفراي بغضب، وقد ظهر التعب على وجهه، كانت المياه ترشح منه على الأرض، بينما قفزت بالي حوله، وأخذت تنبح بفرح.

حدّقت سيد به قائلة: «أنا؟».

سيطر عليها إحساسها بالراحة لأنه بأمان في المنزل، وإن كان مبتلاً بالماء، فدهشت من هجومه المفاجيء.

- ما الذي أفعله هنا؟ أنت هو الأحمق الذي طار أثناء العاصفة. كان الأحرى بك أن تبقى في ميامي.

- قلت لمولي إنني سأعود الليلة.

- وقالت مولي إنها أخبرتك من العاصفة.

رفع كتفيه وقال: «غادرت في الوقت المناسب، ولم تكن هناك أي مشاكل. فلا تثيري جلبة من أجل لا شيء».

سحب قميصه المليئة بالماء من فوق رأسه، أضاف: «أردت التأكد أن المنزل بأمان».

وجدت سيد نفسها تحدّق بصدره المليء بالعضلات، وشعرت فجأة بجفاف في فمها، فابتلعت ريقها بصعوبة، وقالت ببرودة: «كما ترى، كل شيء بخير».

ما قالته لم يكن سوى الحقيقة.. إلى حد ما. إذ كان السقف يرشح، حيث تتساقط بضع قطرات من الماء هنا وهناك. لكن تلك ليست غلطتها. أخذ هيوغ يتجول في المنزل، من غرفة إلى أخرى، متفحصاً، ليرى إن كان كل شيء مرتباً ومنظماً. أخيراً أعلن موافقته ورضاه بخشونة: «نعم، كل شيء مرتب. لكن..».

استدار لمواجهتها، وتابع: «كنت أظن أن لديك تفكيراً سليماً يدفعك للذهاب إلى منزل لاشلان!».

رفعت ذقنها وقالت: «قلت لك إنني باقية هنا».

- هذا ليس مكاناً مناسباً لتبقى فيه امرأة أثناء العاصفة.

- وبما أنك رجل، فهل تظن أن من المناسب أن تضع حياتك بين يديك وتسافر عائداً إلى هنا أثناء العاصفة؟ وبعد ذلك تقود سيارتك متجولاً عبر الجزيرة حيث لا داعي للقيام بكل ذلك؟

بدا صوتها عالياً وحاداً، لكنها لم تهتم لذلك، بل عادت تقول: «حماقتي التي تقول عنها ليست شيئاً بالمقارنة مع حماقتك! كيف تجرؤ على القيام بمثل هذا العمل الأحمق؟ أنت غبي!».

قال هيوغ بسخرية لاذعة: «من هو الغبي هنا؟ كنت في الخارج أتجول كما تقولين، لأنني قابلت لاشلان أثناء عودته إلى منزله وقال لي إنك رفضت الذهاب معه إلى المنزل».

- عندها كان يجب أن تعلم أنني بأمان، وكان بإمكانك الذهاب معه إلى منزله، والبقاء هناك إلى أن يتوقف المطر.

بإمكان سيد أن تكون قاسية جداً أيضاً... التقت عيونهما الغاضبة، وكأنهما يتبارزان في معركة ما.

بعدئذٍ، أبعد هيوغ نظره وهو لا يزال متجهم الوجه. وعلى الفور، انحنى ليحف أذني بالي ويتحدث إليها بنعومة، وكأنه سعيد برؤيتها! ومن دون شك كان كذلك.

راحت سيد تراقبه، وشعرت بغضبها يتلاشى، ولم يعد هناك سوى الإحساس بالفرح لرؤيته هنا سالماً، ولمعرفتها أنه بخير على رغم العاصفة القوية التي تلفهما.

مرّت أوقات، فكرت خلالها أن حبها له هو مجرد وهم من الأوهام، أو مجرد إحساس عابر، متعلق بالصدفة وباللحظة الآنية، لكنها اكتشفت الآن أن تلك ليست الحقيقة مطلقاً. فحبها له حقيقي.

وقف ثانية وهو يعبث بفرو بالي، ثم سار حول كومة المجلات وقطع السيارة وأدوات الغطس، ليصل إلى حيث تقف سيد. تساءلت للحظة إذا كان قد قرأ ما

يجول بفكرها، إلاّ أنه قال بفظاظة: «أحتاج للاستحمام».

ومرَّ متعمداً أمامها بدون أن يلمسها ولو لمسة خفيفة.

حدّقت سِيد به وهو يبتعد. أهذا هو الرجل الذي عانقها؟ ماذا حدث له في ميامي؟ مجرد التفكير بالأمر أثار غضبها ثانية.

أتراه قد التقى بامرأة هناك شغلت أفكاره، وجعلته لا يطيق وجودها بقربه؟ لا ليس الأمر كذلك. هذا ما تشعر به حقاً! إنه يتجنب الاقتراب منها، وكأن لمسة واحدة قد تُحرك هدوءه المصطنع، وتجعله يفقد السيطرة على نفسه.

أن يقترب منها... يا إلهي! هذا ما ينقصه. انشغل هيوغ بتلك الأفكار وهو يشعر بالمياه الدافئة تنهمر عليه، فيما هو يحاول السيطرة على نفسه. إن مشاعره القوية نحو سِيد ستجعله ينهار أمامها إن اقترب منها. فهي تحت جلده وداخل رأسه، وقد باتت مسيطرة على أفكاره، محتلة كل أحلامه.

قضى الأيام الثلاثة الماضية وهو يحاول أن يبعدها عن أفكاره. فهي تريد أشياء لا يستطيع تقديمها. هذا ما كان يقوله لنفسه مراراً وتكراراً. وإن كانت تريده الآن، فهي لن ترضى بالبقاء معه إلى الأبد. ومن المؤكد أنها لن ترضى بقضاء حياتها كلها في بليكان كاي.

هو يعلم ذلك. ومن الحماقة المطلقة أنه لم يتمكن من إبعادها عن تفكيره خلال الأيام الثلاثة الماضية. إذ أن سبب عودته الرئيسي هو بالي. تباً... وليس سيدني سانت جون! لكن ما ذنبه إذا كانت الكلمات الأولى التي تلفظ بها عندما ركض على رصيف الميناء ورأى لاشلان يقفز من الجِيب قرب منزله: «أين هي؟».

قال لاشلان بصوت عالٍ ليسمع عبر الرياح العاصفة وقد بدا غاضباً: «لم ترغب في ترك منزلك اللعين، وقالت إنها وعدتك بالبقاء هناك».

أدرك هيوغ أن لاشلان لا يتحدث عن بالي، ولم يستطع إنكار الابتهاج الذي شعر به من كلام أخيه. في الوقت نفسه، كان مرتعباً ويائساً حتى يصل إليها.

صرخ خلال المطر المنهمر بغزارة: «إنها مجنونة حقاً! دعني آخذ سيارتك».

رمى لاشلان المفاتيح إليه وصرخ: «انطلق، حتى تصل إلى المنزل في الوقت المناسب».

على الأقل لم يجادل هيوغ أين يجب أن يكون في تلك الأثناء.

- لم ترضَ بالقدوم معي، لأنها تعتقد أنك ستعود إلى المنزل.

أدرك هيوغ ما الذي تشعر به سِيد... لو أنه بقي في فلوريدا، لانهارت أعصابه من شدة القلق، ومن تخيّل الأسوأ. خلال رحلة الطيران شعر أنه يحمل قلبه في حلقه، ليس لأنه يعرض حياته للخطر، بل لأنه كان قلقاً بشأنها، مقتنعاً أنها ستكون خائفة، وأنها... إذا كانت لا تزال هناك، فهي لن تعلم ما الذي ستفعله بمفردها.

لكنها لم تكن خائفة. بدت مخبر ومسيطرة على الأوضاع بكفاءة، وقد أحسنت التعامل مع كل شيء. تماماً كما يقال عنها دوماً.

فكّر وهو يشعر باليأس والغضب وقد تجهم وجهه، أنه الآن ليس أفضل حالاً مما كان عليه عندما غادر قبل ثلاثة أيام. بل هو أسوأ حالاً. فهو ما زال يفكر فيها.

صرّ على أسنانه، وبتعمد أوقف المياه الساخنة هو يُطلق شتيمة، ثم فتح المياه الباردة لتنصب على جسده الحار. كان ذلك أفضل له من التفكير أو الاقتراب من سيدني سانت جون.

بينما كان يستحم، أعدت سِيد العشاء وهو عبارة عن حساء المحار مع رغيف من الخبز الرقيق والمقطع قطعاً صغيراً.

وعندما انتهى قالت له: «اجلس، وتناول الطعام».

وهذا ما فعله، لأنه سيبدو غبياً إن لم يفعل. كما أنه جائع جداً. فيما هما يتناولان الطعام، سألته سِيد عن رحلته إلى فلوريدا، فأجابها بأجوبة غامضة ومختصرة. وإن كانت قد شعرت بالاستياء من عدم مبالاته، فهي لم تظهر أي إشارة أو تلميح لذلك. ببساطة، بدلت المواضيع، وبدأت بالتحدث عن اجتماعها مع الفنانين والصانعين في الجزيرة.

قالت له: «قابلت كارين وناتاهن، إنهما شخصان لطيفان جداً. وهي جميلة جداً».

رفع هيوغ نظره إليها وحدّق بها. شعر بالرضى عندما رأى الاضطراب يعلو وجهها. قال بتهذيب: «يسعدني رأيك».

- أعتقد أن الجميع كانوا رائعين أيضاً.

أخبرته كل شيء عن محادثتها مع الأخوة كاش وطورك سويار.

قال هيوغ قبل أن يتمكن من منع نفسه عن التعليق: «لم أكن أعلم أنهم يتحدثون مع الناس».

فالحديث الوحيد الذي كان يتبادله مع طورك أو مع الأخوة كاش، خلال العشرين سنة الماضية، مبني على ملاحظته لهم وإجاباتهم المختصرة عن سؤاله بقولهم، نعم، لا، أو لا نعرف.

لكن من الواضح أن الحديث مع سِيد قد أثمر عن معين لا ينضب. لقد أخبروها بكل ما يعرفونه، بما في ذلك أن العاصفة قادمة بدون شك، وعمّا يتوقعون رؤيته على الشاطىء بعد العاصفة، وكيف يمكن استعمال هذه الأشياء في أعمالهم، وكيف بدأوا بأعمالهم منذ البداية...

- هم أخبروك بكل هذا؟ تباً. لا بد أنهم أزعجوك جداً.

- كنت مهتمة جداً لأحاديثهم وكانوا يعلمون ذلك. إنهم لا يرغبون في بحث أعمالهم أمام جماعة كبيرة من الناس.

وأضافت بعد قليل قائلة: «لكن مع إعطاء التسهيلات اللازمة، أعتقد أنه يمكن إقناعهم بالتحدث إلى بعض الأشخاص المهتمين بعملهم».

تمتم هيوغ: «لا بد أنك تستطيعين إقناع الخنازير كي تطير، أيضاً».

ضحكت ببساطة وقالت: «شكراً لك».

لم يقصد أن يقدم لها أي إطراء أو مديح، فليس هذا ما يريده بالتحديد. مع ذلك بدا متأثراً، ولو على مضض من قدرتها الواضحة بالتعامل مع أي شخص. وهذا يعني، بالنسبة إليه، أنها ستبدأ قريباً بالبحث عن مجالات أوسع للتحدي. تحديات لا وجود لها في بليكان كاي.

- عندئذ يمكنك مغادرة الجزيرة في وقت قريب.

تراجعت سِيد إلى الوراء وكأنه صفعها.

تباً لكل ذلك! أبعد كرسيه عن الطاولة وحمل الصحون إلى المغسلة. قالت سِيد: «دعها، سأغسلها بنفسي».

لم يتطوع حتى ليجففها، بل قال فقط: «يمكنك القيام بما تشائين».

وابتعد ليجلس في آخر الغرفة.

بقي مكانه حتى بعد مرور ساعتين، مع أن سِيد قد انتهت منذ وقت طويل من غسل الصحون، وأخذت تتجول في المنزل. راحت تُعيد ترتيب الأشياء وتنظيفها، محركة الأوعية والقدور وما يشبه ذلك. فتمر دائماً من أمامه، مشتتة أفكاره، ما جعله يعيد قراءة الجملة ذاتها عشر مرات أو خمسة عشرة مرة، مع ذلك ظلت أفكاره منشغلة بها وهو يُبدي اهتماماً أكبر بمراقبتها.

قالت سِيد متذمرة: «نحن لا نملك ما يكفي من الأوعية والقدور والمقالي».

شخر هيوغ، وحاول التركيز ثانية على المقالة التي تتحدث عن النظم الضرائبية الجديدة.

أفرغت سِيد المقلاة التي امتلأت من رشح المياه بقرب الباب، ثم أعادتها إلى مكانها وهي تصدر الضجة. بعد لحظة، قالت بنبرة تعمدت اللطف فيها: «بما أنك تُعطي الكثير من الاهتمام لأغراضك الشخصية، فكّرت أن بإمكانك إظهار الاهتمام نفسه بالمنزل».

أجبرته، على الأقل، على النظر إلى الأعلى. رآها هيوغ وهي تنظر إليه وقد مالت برأسها. إلاّ أن الشرر الذي ظهر في عينيها جعله يبعد نظره على الفور. بطريقة ما، لم يستطع أن يسيطر على نفسه. وافقها بلا مبالاة: «يمكنك أن تفكري بذلك».

صمم على عدم التورط ثانية بأي حديث معها، ما قد يشعره بذلك الشرر بينهما، كأن هناك تياراً كهربائياً في الهواء.

أعاد هيوغ نظره إلى المجلة بين يديه، وتابع القراءة.

كانت سِيد متأكدة أنه شعر بذلك التجاذب القوي بينهما... لقد رأته في عينيه. كلما التقت عيناه بعينيها، ولو لفترة قصيرة، اشتعل ذلك الشرر الذي هو أقوى من أية عاصفة بينهما. ومع ذلك ما زال هيوغ يقاومه. ألأنه لا يريد أن يشعر به؟ أم لأنه لا يريد الاعتراف كم هما مناسبان لبعضهما؟

كان المطر لا يزال ينهمر بشدة على السطح ويرشح عبره، وما زالت الرياح تحرك النوافذ وتضرب المصاريع بقوة، كما اهتز الضوء قليلاً. قالت مقترحة: «ما رأيك لو نلعب الورق؟».

رفع هيوغ نظره ببطء عن المجلة التي لم يقلب فيها صفحة منذ عشرين دقيقة، وقال: «أي نوع من لعب الورق؟».

رفعت حاجبها وقالت: «أي نوع تريده».

قال من بين أسنانه: «لا أريد أن ألعب بالورق، سيدني».

وأعاد نظره بقوة إلى الصفحة نفسها.

- حسناً.

نهضت سِيد وسارت إلى حيث وضعت كومة المجلات أمام مقعده. انحنت لتلتقط واحدة منها وهي تقول: «إذا كنت تريد القراءة، سأفعل ذلك، أيضاً».

أخذت وقتها لتنتقي مجلة. وأخيراً اختارت واحدة كيفما اتفق، وتراجعت لتجلس على كرسي تبعد عنه عدة أقدام. أخذت تُقلب في صفحاتها، ومن زاوية عينها رأت هيوغ يمد أصابعه، ويطقطقها. ثم يتنفس بعمق لمرتين متتاليتين.

خفت الأنوار قليلاً، وأخذ أحد المصاريع يضرب بعنف. نهضت بالي عن سجادتها، وقدمت لتضع رأسها على ركبة سِيد. خففت سِيد عنها، ومررت أصابعها عبر فروها الكثيف. لامستها وتمتمت كلمات مشجعة لها، ثم انحنت وقبلت رأسها.

في الخارج كانت العاصفة تشتد وتقوى، وفي الداخل كان هيوغ يتقلب ويتململ على كرسيه، ويقلب الصفحة كل عشر دقائق. لربما أمضى الليل كله وهو يقرأ لو لم تنطفىء الأنوار. قالت سِيد بفرح: «حسناً! انتهينا من القراءة اليوم».

أنارت بعض الشموع التي أحضرتها معها من عند لاشلان، وتابعت: «ما رأيك بلعبة شطرنج؟».

كانت قد رأت علبة للشطرنج مكسوّة بالغبار على أحد الرفوف العالية، في غرفة الجلوس عندما نظفت المنزل، لكنها لم تر هيوغ قد لمسها مرة واحدة. مع ذلك لا بد أنه يعرف قواعد اللعبة.

- أمْ أنها هنا لإضافة الركام إلى المنزل؟

ضاقت عينا هيوغ تحت ضوء الشموع، وقال ببطء: «لا».

تردد للحظة قبل أن يتابع: «أنا ألعب الشطرنج».

- فلنلعب الشطرنج إذن!

تردّد ثانية، وكأنه يفكر بالأمر بجدية.

رفعت سِيد حاجباً وابتسمت بخفة وقالت: «أم أنك تخاف من الخسارة؟».

تمكنت من إثارة حماسه، كما يحدث للسمكة مع الطعم، فقال: «حسناً، سنلعب».

- لنضع رهاناً. ما رأيك؟

- مثل ماذا؟

ابتسمت ثانية وقالت: «عندما يكون هناك رهان، يصبح اللعب أكثر تشويقاً».

رماها هيوغ بنظرة حادة لا تخلو من الشك، لكنه ذهب لإحضار اللوح والقطع، وحملها إلى طاولة المطبخ. وضعت سِيد شمعتين ليتمكنا من الرؤية بصورة أفضل.

سألها وهو يرتب قطع الشطرنج: «أكثر تشويقاً، مثل ماذا؟».

رفعت كتفيها بخفة وقالت: «الأمر يعود لك، إن ربحت، عليك أن تختار ما الذي تريده؟».

- ماذا تعنين، ما الذي أريده؟

- إنه سؤال واضح جداً. إن هزمتني، ستحصل على ما تريده. وإن هزمتك، سأحصل على ما أريد.

- أي شيء أريده؟

قالت بحزم: «أي شيء».

لم يكن الأمر مهماً لها في هذه اللعبة، فهو لن يربح. لم تكن سِيد بطلة الشطرنج الدائمة إلاّ أنها ماهرة جداً. تابعت: «أي شيء تريده، طالما هو قانوني».

قال ببطء: «حسناً، إن ربحت، ستعيدين أغراضي إلى ما كانت عليه في السابق».

- تريد أن تُعيد المنزل إلى حالته السابقة المأساوية؟

- أريد أن أستعيد حياتي السابقة.

تنهدت سيد تنهيدة طويلة وقالت: «حسناً، سأفعل».

هزّ هيوغ رأيه راضياً، وجلس خلف الطاولة منتظراً، وجلست سِيد قبالته.

قال، وقد لمعت ابتسامة عند زاوية فمه: «وإذا ربحتِ أنتِ، آنسة سانت جون، وهذا احتمال ضعيف، ما هي الأمنية التي تحلمين بتحقيقها؟».

- يمكنك أن تعانقني.

٨ - نعم، إنه الحب

حدّق بها وقال: «أمر مضحك!».

- أقصد تماماً ما قلته، إن ربحت...

- سمعت ما قلته، سِيد، فلا تكوني ساخرة.

- حسناً، انسَ ذلك!

وافقت بمرح وهي تقول: «لن يحدث ذلك إذا هزمتني».

حدّق هيوغ بها بقوة، وأخذت أصابعه تنقر على غطاء الطاولة. رفعت سِيد كتفيها، فهي تعلم أن بإمكانها أن تكون رحبة الصدر. قالت: «يمكنك أن تبدأ».

رفع حاجبه وسأل بلهجة مخادعة: «لا، النساء أولاً!».

قالت له سِيد: «لا أرغب في البدء باللعب لأنني امرأة».

- لا يفاجئني قولك.

ابتسمت له وهي تقول: «يمكنك أن تقدم التنازلات الآن. فاستغل الوقت».

صرّ على أسنانه، ورأت عضلات وجهه تتقلص، ثم قال: «حسناً! أنا من سيبدأ».

أمسك الفارس ووضعه أمام صف البيادق.

حدّقت سِيد برقعة الشطرنج، ثم حدّقت به، وقالت: «هل أنت واثق أنك لعبت الشطرنج من قبل؟».

التقت عيناه بعينيها. بدت عيناه لامعتين في ضوء الشموع، وقال: «قلت لك إنني لعبت الشطرنج من قبل».

- نعم، لكن..

- هل بدلت رأيك؟ أصبحت قلقة الآن؟ أم أنك خائفة؟

www.elromancia.com

ولمعت أسنانه بابتسامة واضحة.

قالت سِيد بنبرة متعالية: «بالطبع لا. لكنني لا أريد أن أُسيطر عليك».

ردّ هيوغ بابتسامة، واتكأ إلى الوراء على كرسيه، ثم رفع كتفيه قليلاً وقال: «إنه دورك، سانت جون».

في الخارج استمرت الرياح بالعويل، واستمرت المصاريع بالاهتزاز مصدرة الأصوات الدائمة، كما استمر المطر في الانهمار والسقف في الرشح. تأملت سِيد رقعة الشطرنج، والفارس الذي حركه. ضاقت نظرتها واستمرت في التفكير لفترة. وأخيراً، حرّكت قطعة.

لعبت سيدني سانت جون الشطرنج تماماً كما تصور هيوغ أنها ستفعل؛ بحذر ومهارة. فراحت تقيّم حركتها، تضع استراتيجية وتوقّع، تفكر في الخطوات اللاحقة وتخطط لما ستفعله في ما بعد.

تماماً كما يفعل لاشلان.

سِيد أيضاً تبحث عن أهداف لتحققها، تماماً كأخيه. وهي تدافع عن اهتماماتها. تتحرك بخطوات مدروسة. أمّا هيوغ، ففي كرة القدم وفي لعبة الشطرنج كما في الحياة، يبدو دائماً مقاتلاً. يتحرك بجرأة، باحثاً عن منافذ جديدة، إلاّ أنه ليس بعيداً عن الإبداع عندما يتطلب الأمر قليلاً منه. إنه يلعب بسرعة، فيبدو ظاهرياً كأنه يلعب بدون تفكير، معتمداً على حدسه فقط.

تقدمت اللعبة بين ترقُّب وهجوم. كل خطوة يتخذها هيوغ بدت سريعة، وتقريباً فورية. لكنها خطوة جيدة أيضاً، بينما كانت سِيد تأخذ الوقت الكافي لكليهما معاً.

فكلما أتى دورها، تتأمل مطوّلاً وتتجهم وجهها، ثم تبدأ في المحاولة، فترفع يدها.. لتعيدها بعدئذٍ إلى حضنها..

- ألم تصبحي مستعدة بعد؟

- إنني أفكر.

- حتى الآن.

- صه!

وينتهد هيوغ.. وتفكر سِيد ملياً. ثم يتأفف هيوغ، فتنظر إليه غاضبة.

تمدد وفتح زجاجة عصير فاكهة، وسألها: «أتريدين واحدة؟».

عبست في وجهه بامتعاض، فتنهد ثانية وراح ينقر بأصابعه على ركبته.

عضّت سِيد على شفتها... وأخيراً تحركت. الحمد لله!

انحنى هيوغ إلى الأمام. نظر قليلاً إلى ما فعلته، ثم هزّ برأسه وحرك قطعة هو أيضاً. سألته: «فقط بهذه السهولة؟».

- أتفضلين أن أمضي ساعة وأنا أحدّق في اللعبة؟

- أحب أن أفكر أنك تهتم لما تقوم به.

قال معلقاً: «لست أنا من يضيع الوقت».

عبست مرة ثانية. ثم ابتدأت في اللعب من جديد، لتتمهل كما فعلت في الخطوة السابقة...

مرّت ساعة، ثم ساعة أخرى. نهض هيوغ وأخذ يتجول في المنزل، راح يتأكد من قوة دفاع المصاريع، أفرغ الأوعية، طقطق أصابعه، بينما ظلّت سِيد جالسة قرب الطاولة تتأمل رقعة الشطرنج وتفكر بحركتها التالية. أخيراً، ذهب واستلقى على الأريكة.

- أيقظيني عندما تحركين قطعة ما.

- اخرس!

راحت تنظر بتجهم إلى الرقعة أمامها. رفعت يدها، ولوحت بها فوق القطع بتردُّد، ثم وضعتها في حضنها ثانية.

بدأ هيوغ يصفر، فصرخت به: «توقف عن ذلك».

أغمض عينيه وقال: «كما تريدين، سِيد».

خيل إليه أنه يسمع الصرير من بين أسنانها وهي تعيد النظر إلى رقعة الشطرنج أمامها. فرك أذني بالي وابتسم.

أخيراً، عندما قامت بحركة ما، عاد إلى الطاولة. وقف ينظر إلى الرقعة...

نعم، تحركت تماماً كما توقع. وبدون أن يجلس، مدّ يده وحرك القلعة.

لم تستطع سِيد أن تمنع الابتسامة من الظهور على شفتيها. التقط هيوغ مجلة

وجلس على المقعد يقلب أوراقها، منتظراً. لكن هذه المرة أمضت دقائق قلية في تقييم الأشياء، قبل أن تأخذ نفساً هادئاً وعميقاً ثم تزفره على مهل وهي تمد يدها لتحرك الفيل ليعترض سبيل قلعته.

تراجعت إلى الوراء وابتسمت مبتهجة إليه وقالت: «الشاه عندك في خطر».

وضع هيوغ جانباً المجلة وسار بتمهل لينظر إلى الرقعة، ثم إليها، نظرت إليه وهي تبتسم.

جلس، ومدَّ يده ليرفع الملكة فوق ثلاث مسافات، بعدئذٍ أبعد يده ورفع نظره إليها ليرى ابتسامتها تختفي وهي تدرك ما حدث. قال: «مات الشاه».

هنأ هيوغ نفسه باشمئزاز: لقد ربحت أيها الأحمق!

ماذا ربحت؟ تباً! فكر بقسوة.. لقد استعاد حياته السابقة...

هذا ما ربحه. الحرية في أن يرمي ما يريد في أي مكان يريده؛ والترف بألا يغسل صحونه إذا لم يرغب بالقيام بذلك، وأن يرى ثيابه المتسخة على الأرض وثيابه النظيفة على الكرسي؛ والمتعة بأن يكون غير مسؤول أمام أحد، وألا يكون لديه أحد يهتم به إن عاد أو بقي بعيداً، إن تعرض لعاصفة رعدية أو طار تحت المطر، إن عاش أو مات.. إنها الأشياء التي كان يملكها قبل سيدني سانت جون...

المشكلة الوحيدة هي أنه لم يعد يريد تلك الأشياء. وكم يزعجه هذا الأمر؟ لا يريد لحياته السابقة أن تعود إليه.

بدأ يدرك أنه بالغ قليلاً بعدم الاهتمام بشقته، وملأها بالركام كردة فعل على التزمت الذي لقيه عندما كان في سلاح البحرية. لكنه بدأ يتطلع إلى العودة في آخر النهار، ليجد أن هناك شخصاً ما بانتظاره. بل ليجد سيد بانتظاره.

وجود شخص ما يهتم بك يثير فيك مشاعر من نوع آخر، مشاعر تتعلق بكونك شخصاً مميزاً بالنسبة لإنسان آخر.

لم يفكر هيوغ بذلك مطلقاً إلى أن رأى كيف تنظر كارين لناتاهن.. كأن الحياة ليست كاملة، أو أن جزءً حيوياً منها مفقود، إلا إذا كان ناتاهن قربها.

يمكنه قول ذلك أيضاً بالنسبة للاشلان وفيونا. لم يحسد هيوغ أخاه مطلقاً بشأن أي شيء. كانا دائماً صديقين، لكنهما مختلفان جداً ليتنافسا. إلا أن لاشلان مهم

جداً لفيونا. لا يحتاج المرء إلا لنظرة واحدة كي يدرك ذلك. فحيثما تكون فيونا، تريده أن يكون.

في بعض الأوقات، كان هيوغ يجرؤ على التفكير، أن سيد تنظر إليه بالطريقة نفسها. أحياناً، عندما يصل قرب المنعطف المؤدي إلى المنزل بعد يوم من العمل، كان يراها تجلس على الشرفة تتأرجح، وفي اللحظة التي تراه فيها قادماً، تلمع عيناها وتشرقان ببساطة. كانت تبتسم وتهب للقائه. ثم تخبره أي شيء عن التنظيم الذي تعمل عليه، لتزعجه وتعقد عليه حياته.

«إذن أنت بألف خير بدونها». هذا ما قاله لنفسه مراراً وتكراراً، وهو مستلق على سريره يحدّق في السقف ويصغي إلى صوت الرياح العاصفة، والأمطار المنهمرة.

تباً! ففي النهاية، هي سيدني سانت جون. إنها دائمة الحركة والتنقل. مديرة ماهرة، وامرأة متعددة المواهب. لا يهم ما تقوله وما تحققه في بليكان كاي، فهي لن تبقى هنا.

ومهما ابتسمت له الآن، فهي لن تستمر في الابتسام إلى الأبد. إنها هنا لسبب معين: لتتعلم كيف تحقق نفسها بنفسها، ولا تكون ابنة أبيها أو زوجة رولاند كاروتيرز. بقيت في الجزيرة لتبرهن أنها تستطيع القيام بكل أعباء الحياة بنفسها. وها هي تفعل ذلك.

لكن الشيء الوحيد الذي يعرفه هو أنه يريدها.

* * *

يبدو أن السقف يرشح فوق سريرها، ولهذا السبب شعرت سيد بوجهها مبللاً...

لم يستطع الاستلقاء في السرير أن يخفف من إحساسها بالمهانة لأنها قدمت قلبها لهيوغ ماكغيلفراي وخسرت أمامه في اللعب. من الواضح أنه شعر بالانزعاج مما طلبته ولهذا عمد إلى الربح بالشطرنج، بطريقة ما.

حتى الآن، لم تستطع أن تفهم كيف تمكّن من ذلك. فليس هناك تفسير لما حدث. بدت طريقته في اللعب عشوائية، حتى إنها لا تزال تشعر بالارتباك. فكيف

بإمكانها المقاومة ضد هجوم عشوائي؟ لم تكن لديه أية خطة، وهي متأكدة من ذلك. إلاّ أنه يتمتع بحظ أعمى، وهي التي تعرضّت للإهانة.

لكنها تحمّلت الأمر بطريقة جيدة. صحيح أنها لم تستطع الكلام لدقيقة كاملة، لكن عندما فعلت، جاء صوتها هادئاً وعادياً، قالت له: «تهانينا».

حتى إنها تمكنت من الابتسام بتهذيب، بعد ذلك نهضت وسارت نحو غرفته.

- إلى أين أنت ذاهبة؟

- لإحضار الثياب النظيفة. سأضعها كلها على الكرسي. وبعد ذلك سأ...

- آه، حباً بالله! دعيها مكانها. ستُصبح كلها على الكرسي بعد فترة قصيرة جداً. لست بحاجة لإحضارها الآن.

- لكن...

- قلت لك دعيها.

وهكذا تركت الثياب مكانها، وبدأت بالتقاط قطع الشطرنج لتضع الرقعة على الرف. لكنها توقفت عن ذلك أيضاً.

لا يريد هيوغ أن يضعها في مكان بعيد. يريدها أن تكون بقربه لتزيد من تراكم الأشياء حوله. حسناً! ليكن ما يريد، فهذا سيسهل الأمور عليها.

من الأفضل لها أن تغادر المكان كله. ربتت على رأس بالي، وقالت لهيوغ بنبرة ودّية: «عمت مساءً».

إلاّ أنها لم تستطع أن تنظر إلى عينيه. ثم التجأت إلى غرفتها.

مسحت عينيها بقسوة، واستدارت لتنام على جنبها، مصممة أن تجبر نفسها على النوم. لكن، تباً! ما زال السطح يرشح عليها. سمعت صرير باب غرفتها وهو ينفتح، فاستدارت قائلة: «بالي؟».

سمعت صوت هيوغ الذي أدهشها وهو يقول: «لا! لست بالي. أنت ربحت».

حدّقت إليه غير مصدقة، وقالت: «ما الذي تفعله هنا؟».

ما فعله هو أنه اجتاز الغرفة دون التفوه بأية كلمة، وما إن وصل إلى حيث كانت مستلقية على السرير، راح ينظر إلى السقف فوقها ثم قال: «تذكرت أن السقف يرشح فوق السرير بالذات. لا يمكنك أن تنامي هنا الليلة».

جلست سِيد وأسندت ظهرها إلى الخلف، ثم مسحت وجهها المبلل بظاهر يدها، وسألته: «حسناً، ماذا تقترح؟».

- يمكنك أن تنامي في غرفتي.

لا! لا يمكنها ذلك. ليس إن قرر هو أيضاً البقاء في الغرفة نفسها، كما فعل تلك الليلة. لا تحتمل سِيد رؤيته نائماً على بُعد خطوات منها وهي لا تستطيع أن تلمسه. إنها تحبه بحق السماء! قالت بنبرة واهنة: «لا بأس، سأتدبر أمري هنا. سأغير وضعية نومي».

- حسناً، أنت ربحت!

لم تفهم سِيد للحظة ما الذي يحصل. بلمح البصر حملها هيوغ بين ذراعيه ورفعها عن السرير، ثم ضمها إلى صدره في عناق طالما تاقت إليه. شعرت بقوة عضلاته وبدفء أنفاسه، وبدلاً من مقاومته، تعلّقت يداها بعنقه واندسّت به كأنها تبحث عن ملجأ آمن في صدره الصلب. وما هي إلاّ لحظات حتى سار بخطوات واسعة باتجاه غرفته. وضعها في سريره برفق ثم جلس على حافة السرير، وراح يتأملها. وما لبث أن قال: «أردت أن أعانقك منذ البداية.. منذ أيام».

فاجأها اعترافه وجعلها تشعر بالفضول، فقالت: «ولِمَ لم تفعل؟».

ماذا يقول لها؟ وكيف يقول لها ذلك؟ راح يرسم بإصبعه حدود ذقنها، فسرت ارتعاشة في جسمها بأكمله. ثم أحنى رأسه وعانقها من جديد. يا لروعة عناقه!

لم تعد سِيد واعية لضجيج الرياح والمطر في الخارج، لم تعد تسمع سوى طرقات قلبها، وصوت العاصفة التي هبّت في حواسها.

لم تعرف كم من الوقت مرّ وهما متعانقان. شعرت بهيوغ يبتعد عنها وهو يُطلق تنهيدة ارتياح. نظر إليها مليّاً قبل أن يقف على قدميه ويستدير مبتعداً وهو يقول: «حسناً، سوف أنام على الأريكة».

وهذا ما حصل!

مرّت ساعة، وربما أكثر.. كانت سِيد قد استسلمت للنوم والسعادة بادية على وجهها، أما هيوغ فلم يستطع النوم. لم يعرف ما الذي سيقوم به بعد اليوم. لقد عانقها عناقاً حميماً. اللعنة! هذا ما أرادته هي أيضاً. لكنه يعرف أنه أخطأ في ذلك.

فهو يُدرك أنه يحبها، لكن يجدر به ألاّ يتعلق بها. لقد تغلغل حبها في مسام جلده كما لم يفعل حب امرأة من قبل، حتى كارين. لم يعد في قلبه مكان لامرأة أخرى سواها. فهو لم يلتقِ في حياته بامرأة تمكّنت من التأثير فيه بهذه الطريقة. امرأة أسرته، قلباً وروحاً، وجعلته ينسى ما مر في حياته قبلها. إن حبه لسيد جعله ينسى أن كارين كامبل موجودة حتى.

أدرك كم كان شعوره مختلفاً عمّا يشعر به الآن نحو سيد. لقد أحبها وما زال يحبها. أحبّ سيد، ولم يُحب أحداً سواها.

إنه يعرف نفسه جيداً، يعرف نقاط قوته ونقاط ضعفه، يعرف أحلامه ومدى إمكانية تحقيقها وحدودها. لذلك لا يستطيع أن يكون الزوج المتعاون، بينما زوجته تُدير مؤسسة سانت جون للالكترونيات. حتى لو استطاع أن يفعل ذلك فالأمر غير مهم، لأن سيد لن ترضى بالزواج به.

لقد رضيت بالبقاء معه لتتجنب الزواج من رولاند. أما هو فاستغلّ وجودها ليُبعد ليزا عنه كي لا تُفسد حياته. لكن ما تشعر به نحوه هو مجرد انجذاب فقط. لم تقل له قط إنها تحبه، لأنها، ببساطة، لا تشعر نحوه بالحب.

راحت سيد تلتفت بين الفينة والأخرى إلى حيث ينام على الأريكة. لم تره يوماً هادئاً كما هو الآن. لا شك أنه يشعر بالاضطراب، فرحلته من ميامي في هذا الطقس العاصف ليست دون معنى؛ لا شك أنه يحبها حتى لو كان يدّعي عكس ذلك. صحيح أنها نامت قريرة العين في سريره لكنها كانت تصحو بين الحين والآخر لترى أنه ما زال مستيقظاً. كان يحدق إلى السقف حيناً وأحياناً إلى النافذة، إلاّ أنه لم ينظر إلى ناحيتها البتة.

صحيح أنه أظهر اهتماماً بها بإحضارها إلى غرفته، كما أن عناقه جاء جارفاً ومليئاً بالمشاعر الحارة، لقد ضمتها ذراعاه بقوة إلى صدره الصلب إلاّ أنه لم يتفوه بأي كلمة.. تلك الكلمة التي تنتظر سماعها منه.

وعندما استيقظت هذا الصباح، لم تجد أثراً له على الأريكة. شعرت بالذعر للحظة؛ هل الأحداث التي سجلها ذهنها ليلة أمس هي مجرد أوهام وهيوغ لم يعد بعد من رحلته؟

سمعت صوته في الخارج يتحدّث إلى شخص ما، بدا صوته عادياً وهادئاً، فعلمت أنها لم تكن واهمة. فاستلقت على سريرها تحلم وتفكر.

بدت الشمس مشرقة والهواء منعشاً. وكان هناك بعض النسمات الناعمة اللطيفة القادمة من البحر. ارتدت سيد ثيابها وخرجت إلى الشرفة لترى أن هيوغ أعاد كل شيء إلى مكانه: الأرجوحة الشبكية، وأرجوحة الشرفة، الرفوف التي وضع عليها أدوات الغطس، حتى كومة المجلاّت.. تماماً كما كانت قد رتبتها.

ماذا عن استعادة حياته السابقة؟ والقيام بالأشياء كما يشاء ويرغب؟

ابتسمت، وارتفعت معنوياتها قليلاً وقد عاودها الأمل بأن تحظى بحبه. لم يكن قد رآها بعد. كان يجرف الرمال بقوة عن الممر الحجري لينظفه، وقد تصبب العرق من ظهره، وبدا الغضب على ملامحه.

قالت: «صباح سعيد».

استدار قليلاً، ثم عاد إلى عمله، كانت عيناه محجوبتين وتعابير وجهه غير واضحة. قال: «صباح الخير».

كادت أن تقول شيئاً عن طريقة إعادته للأغراض على الشرفة، لكنها قررت أن من الأفضل ألاّ تفعل، لذا بادرته بالقول: «يا لهذا الطقس الجميل اليوم! إنه بارد وهادىء. لا أحد يصدّق أننا ليلة البارحة كدنا نطير من شدة العاصفة».

هزّ هيوغ رأسه ببساطة وقال: «نعم».

بعدئذٍ، استدار ونظر إلى ناحية الشاطىء والبحر، الذي تضرب أمواجه الرمال والصخور.

- مرَّ طورك منذ قليل وأراد أن يعرف إن كنت ترغبين في الذهاب معه والتوأم كاش لتنظيف الشاطىء.

- لتنظيف الشاطىء؟

- لجمع ما خلفّته العاصفة. إنهم يحصلوا على أغراض كثيرة بهذه الطريقة، قال إنه أخبرك بذلك. سيذهبون هذا الصباح، وإن كنت ترغبين بالذهاب، يمكنك موافاتهم إلى الشاطىء هناك.

أشار برأسه نحو المكان، ومن خلال النباتات، استطاعت سيد أن ترى ثلاثة

أشخاص يتحركون ببطء عبر الشاطىء، أحدهم يدفع عربة يد ذات عجلة واحدة.

- يقول طورك إنهم يرحبون بك، وهم سيشعرون بالسعادة لوجودك معهم.

بدا هيوغ متفاجئاً من نفسه لتقله تلك الدعوة إليها. أما سِيد فبدت سعيدة وراضية لتلقيها الدعوة. فهذا يعني أنها استطاعت التواصل مع طورك والأخوة كاش، وأنها لم تخسر مهارتها. ليس مع كل الناس، بكل الأحوال، فهي ليست متأكدة بشأن هيوغ بعد. تمنت لو أنه يبتسم لها.. لو أنه يلقي رفشه بجانب الجدار ويقترب منها ويضمها بين ذراعيه...

لكنها تقرّبت منه كثيراً. والآن أتى دوره.

ربما إن ذهبت مع طورك والأخوة كاش، سيمضي الوقت الكافي ليفكر بما حدث بينهما. أو ربما سيطلب منها أن تبقى وتمضي الصباح برفقته.

اتخذت قرارها بسرعة فقالت: «أعتقد أنني سأذهب».

أضافت بعد قليل: «إلاّ، إذا كنت تفضل أن أبقى لمساعدتك».

بدا حديثها كسؤال مبطّن، لأنها لم ترغب بالافصاح عمّا تفكر فيه بصراحة.

رفع هيوغ كتفيه، ثم تابع عمله بجرف الرمال وهو يقول: «استمتعي بوقتك».

العمل الشاق هو خير علاج لكل ما يُزعجك!

هذا ما كان يقوله له والده على الدوام، وكذلك العمة أيسم. ولا شك أن المسؤولين في سلاح البحرية يؤمنون بذلك. وهيوغ نفسه يؤمن بذلك أيضاً.

لكن العمل الشاق لم يساعده هذه المرة. لم يساعده أبداً. لقد أمضى الصباح وهو يجرف، يكنس، ينظف، يزيل المصاريع، ويقوم بكل ما من شأنه أن يصلح ما هو بحاجة للإصلاح. بدا المنزل رائعاً، وأفضل من السابق بكثير.

بعد ذلك بدأ بالعمل على السطح. اشترى ألواحاً خشبية السنة الماضية، لكنه لم يزعج نفسه بوضعها لأن المطر لم يكن غزيراً. والآن بدا له أن الوقت مناسب للقيام بذلك. ومن السطح يمكنه أن يبقي نظره على سِيد وعلى الرجال الكهلة وهم يسيرون على مهل على امتداد الشاطىء.

عند الصباح، فاجأه أن يرى طورك وقد تطوع في القدوم ليدعوها. طورك والأخوة كاش ليسوا نساكاً حقيقيين، لكنهم تقريباً كذلك. ومع ذلك تمكّنت سِيد

من إثارة حماسهم، تحدثت معهم عن أعمالهم، وشجعتهم بالتحدث إليها. بدا من الواضح جداً أن الرجال الثلاثة العجائز متأثرون بها حقاً.

قال طورك: «لديها مزايا خاصة بها، هذا كل شيء».

نعم، إنها كذلك. كان على هيوغ أن يعترف بذلك. فلقد أثرت به هو أيضاً. وسيطرت عليه بقوة، تماماً كما سيطرت على العجائز الثلاثة، وعلى من تبقى من سكان الجزيرة.

والأكثر من ذلك، إنه يحبها بشدة، ويريدها. فهو لا يستطيع التوقف عن التفكير بها، حتى لو حاول ذلك. لم يستطع هيوغ التوقف عن مراقبتها وهي تتجول برفقة العجائز الثلاثة ببطء على الشاطىء.

بإمكانه الانتهاء من العمل على السطح خلال ساعتين فقط، لو أنه يكف عن التوقف بين الحين والآخر ليحدّق بالشاطىء، ويراقبها وهي تلتقط شيئاً أو تتعجب من شيء التقطه أحد الرجال الثلاثة. لكنه استمر في التحرك ببطء، مستمتعاً بالمنظر أمامه.

بدت سِيد سعيدة جداً. فتارة يراها تقفز داخل الموجات المتدافعة، ثم تستدير ضاحكة، وتارة أخرى يراها ممسكة بيد أحد التوأمين لتدور معه داخل الموج. وفي إحدى المرّات نظرت نحوه ولوّحت له.

شعر هيوغ كأنها ضبطته بالجرم المشهود.. كأنها تجسست عليه وهو يفعل شيئاً ما كان عليه القيام به. تظاهر أنه لم يلاحظ، لكنها استمرت في التلويح. وأخيراً رفع يده ولوّح لها وهو يشعر بالاضطراب.

ابتسمت سِيد له، وقفزت على قدم واحدة، وهي تلوّح له بفرح. ثم أمسكت بيد طورك من جهة وبيد أحد التوأمين كاش من جهة أخرى، ورقصت وإياهما وهي تدخل وتخرج بين زبد الأمواج.

تساءل هيوغ وهو يراقبها، إن كان ما يراه حقيقياً. هل يُعقل أن تكون سعيدة هنا؟ هل تستطيع أن تجد ما يكفي من التحديات لتستمر في العيش هنا، معه؟ هل من المحتمل حدوث ذلك؟ إن كانت تستمتع بشيء بسيط كقضاء الصباح على الشاطىء، وهي تجمع ما جرفته العاصفة مع ثلاثة رجال عجائز، ربما.. ربما تستطيع البقاء

www.elromancia.com

هنا . .

- هل هذا منزل ماكغيلفراي؟

الصوت الذي سمعه من الأسفل فاجأه وأدهشه .

نظر هيوغ إلى الأسفل ليرى رجلاً غريباً يقف هناك . بدا الرجل في منتصف العمر ، طويلاً ، نحيل الجسم ، يرتدي بنطلوناً أبيض أنيقاً ، وقميصاً زرقاء مفتوحة عند العنق . ومع أن الريح قد عبثت بشعره الأشقر ، لكنه مع ذلك بدا مصففاً بعناية .

إنه زبون ثري أجبر على البقاء في الجزيرة بسبب العاصفة ، وقد تعرضت حياته للخطر لمدة ثمانية عشرة ساعة ، وهو بحاجة للمغادرة في هذه اللحظة . هذا ما قرره هيوغ .

ابتسم للرجل وقال : «هذا صحيح ، أنا هيوغ ماكغيلفراي . بماذا أستطيع أن أخدمك؟» .

- بأن تقول لي أين أستطيع إيجاد مارغريت سانت جون . أنا رولاند كاروتيرز .

٩ - قولي نعم!

في لحظة واحدة ، انقلب عالم هيوغ رأساً على عقب .

لا بد أن الذهول بدا بوضوح على وجهه ، لأن رولاند كاروتيرز ضرب الأرض بقدمه بنفاد صبر ، ثم رفع كتفيه وقال : «لا تهتم ! من الواضح أنني أعطيت معلومات خاطئة . يوم سعيد» .

استدار الرجل ، وبدأ بالسير نحو الطريق الفرعية الثانية ، لكن هيوغ ناداه قائلاً : «انتظر» .

استدار كاروتيرز ، ثم وضع يده مغطياً عينيه وهو يرفع نظره إليه ، وقال : «ما الأمر؟ هل تعلم أين هي؟» .

بإمكان هيوغ أن يراها على الشاطىء ولو على بُعد ميل ، لكنه لن يخبر كاروتيرز بذلك . وقف ومسح يديه القذرتين ببنطلونه القصير ، فيما راح قلبه يضرب بشدة ، وقال : «قد أعرف أين هي . ماذا تريد منها؟» .

تردّد كاروتيرز قليلاً ، ثم قال : «أريد التحدث إليها ، على حدة ، بشأن قضية شخصية . لذا إذا أخبرتني أين تعيش . . .» .

- إنها تعيش هنا .

- هنا؟

لو استطاع كاروتيرز النظر من فوق أنفه وهو يرفع نظره إلى الأعلى ، لما تردد في القيام بذلك بدون شك .

- نعم ، وبدون أي شك .

حسناً ! بإمكان هيوغ أن ينظر إليه من فوق أنفه بطريقة فعّالة أكثر . . وهذا ما فعله . وضع يديه على خاصرتيه وراح ينظر إليه بغضب .

www.elromancia.com

التقت نظرات عيونهما بحدة واضحة كأنهما يتبارزان. قال هيوغ: «ألديك مشكلة بذلك؟».

تراجع كاروتيرز خطوة إلى الوراء، بعدها ضغط على شفتيه بقوة حتى أصبحتا كخيط رفيع، وقال: «لا. إني متأكد أنها ممتنة جداً لضيافتك. سآخذ أغراضها، إذن».

رمى هيوغ المطرقة من يده، ثم انحنى قليلاً، أمام تعجب كاروتيرز الواضح، وقفز عن السطح إلى الأرض الرملية ليقف مباشرة أمامه. وقال: «نجوم السماء أقرب إليك من ذلك».

تراجع كاروتيرز خطوة أخرى إلى الوراء، وتنحنح قليلاً، ثم أمسك بياقة قميصه المفتوحة، وكأنه يشعر أنها ضيقة على رقبته. قال، وهو يرمق هيوغ بنظرة مليئة بالقلق والتوتر: «حسناً! إن كنت لا تريد أن آخذ أغراضها على الفور. سوف أنتظر عودتها».

وضع هيوغ إبهاميه داخل حزام بنطلونه، ونظر إلى كاروتيرز بعينين ضيقتين. إذا كان قد اعتقد من قبل أن سيد بالغت بوصف غطرسة هذا الرجل، فهو لن يفعل ذلك ثانية. من الواضح أن كاروتيرز شخص أحمق لا يحتمل ويرغب بالسيطرة على الآخرين.

قال: «بإمكانك الانتظار قدر ما تشاء، لكنني لا أعتقد أنها ستكون سعيدة برؤيتك».

- إنني متأكد أنك مخطىء. أتوقع أن تكون بمنتهى السعادة لرؤيتي، فأنا خطيبها.

قال هيوغ: «لا، أنت لست خطيبها».

أجاب كاروتيرز، وهو يحاول التظاهر بكل ما لديه من قدرة على التكبر والمواجهة: «عفواً، لا أستطيع التصور كيف بإمكانك معرفة أمر كهذا، سيد ماكغيلفراي».

قال هيوغ ببساطة: «أعرف ذلك، لأنها زوجتي».

* * *

حدّقت سيد بهيوغ وبالكاد استطاعت تصديق ما سمعته أذناها.

- نحن... متزوجان؟

فوجئت تماماً عندما رأته يسير على الشاطىء متجهاً نحوها منذ لحظات مضت. أما الخبر الذي نقله إليها، وهو أن كاروتيرز بانتظارها في المنزل، فبدا مزعجاً بما فيه الكفاية.

لكن آخر ما توقعت سماعه من هيوغ ماكغيلفراي هو أن يقول لها: «قلت له إننا متزوجان».

- هل قلت... إننا متزوجان؟

أجاب هيوغ بتهذيب: «قلت له ذلك، ومن الواضح أننا لسنا كذلك».

قالت: «من الواضح. أننا.. لا... أنا لا أفهم تماماً ما تقوله».

شعرت سيد بالدوار، فهزّت رأسها قليلاً وهي تحاول أن تفهم ما قاله... أتى ليصطحبها عن الشاطىء، وأخبر طورك والأخوة كاش أن لديها عملاً طارئاً في المنزل. ثم راح يجرها باتجاه المنزل وهو يخبرها بما قاله لكاروتيرز.

عادت تسأله مرة ثانية: «لكن لماذا..؟».

- لأنه يعتقد أنك سترمين بنفسك عليه من شدة الفرح. ولأنه لم يفهم ما حدث حتى الآن. ولأنه مجرد شخص متزمت متفاخر لا يحتمل.

كان هيوغ يسير بخطوات واسعة، وقد بدا غاضباً جداً وهو يصعد التلة بعيداً عن الشاطىء نحو منزله. واضطرت سيد لأن تركض لتتمكن من السير بمحاذاته.

قالت موافقة: «لا يحتمل، أحمق، متزمت ومتفاخر؟ نعم، هذا هو رولاند. لكن، حتى لو كان كذلك...».

- كيف يمكنك أن تعملي معه، بحق السماء؟

رفعت كتفيها وقالت: «لست أنا من استخدمه، والذي قام بذلك. وهو ماهر في العمل».

رماها هيوغ بنظرة قاسية وقال: «وهل هذا عذر كاف؟».

- بالطبع لا! لكنها الحقيقة. رولاند يقوم بكل ما يطلب منه، وهو رجل أعمال جيد.

توقفت عن الكلام، لتوضح بعد قليل: «لكن هذا لا يعني أنني اردت الزواج منه».

ثم سألته وهي تشعر بالفضول: «هل صدّق كلامك؟».

- لا، لم يفعل.

بدا هيوغ منزعجاً وهو يتابع: «قال إنه لا يستطيع تخيّل ذلك. إذ كيف يمكن لامرأة عاقلة ومنطقية مثلك أن تنسجم مع شخص رديء مثلي».

لم تجد سِيد صعوبة في استيعاب الأمر. فكاروتيرز كان يقدم معادلة صحيحة ودقيقة. قالت: «أحياناً تعوزه اللياقة. وهذه ليست من صفاته الجيدة».

هزّ هيوغ كتفيه وقال بخشونة: «لا يهم. أجبته أن بإمكانه أن يسألك إن كان لا يصدقني. في الواقع، دعوته ليبقى معنا ما دام يقيم في الجزيرة».

فتحت فمها غير مصدّقة: «ماذا؟».

لمعت عينا هيوغ من الغضب وقال: «البرهان أفضل من ألف كلمة. أليس هذا ما يقوله الجميع؟ تصورت أن بقاءه لبعض الوقت معنا في منزلنا هي أفضل وسيلة لإقناعه».

تمتم بعض الكلمات التي بدت كالأنشودة في أذني سِيد، بعد ذلك رفع نظره وحدّق بها بقوة وهو يتابع: «إلاّ إذا كنت تريدين الذهاب معه، بالطبع».

- بالطبع لا أريد ذلك!

رفع كتفيه وقال: «حسناً، لأنه يبدو من النوع الذي لا يستطيع المرء التحدُّث معه. وأعتقد أنك لمست ذلك بنفسك».

- نعم. كم من الوقت سيبقى هنا؟

- قال إنه سيطير غداً إلى ميامي.

- فهمت. وفي الوقت الحالي سنتظاهر بأننا متزوجان؟

رفع هيوغ كتفيه وقال: «اليوم واحد فقط. فليس للأمر أهمية».

يوم واحد.. لا أهمية للأمر..!

غير أن سِيد تريد حياة كاملة. تريده أن يتقدم للزواج منها فعلاً، وأن يحتفلا بزواجهما... تريد زواجاً حقيقياً... تريد هيوغ ماكغيلفراي في قلبها وحياتها

لستين سنة ونيف على الأقل...

وما الذي يريده هو؟

سمعت هيوغ يقول: «الأمر متعلّق بك. إن كنت لا تريدين القيام بذلك، فهذا يناسبني. فكّرت فقط في إعادة الخدمة التي قدّمتها لي مع ليزا».

هل هذا كل ما في الأمر؟

لم تكن سِيد واثقة من ذلك، فدوافع ماكغيلفراي ليست واضحة تماماً. مجرد يوم واحد! إنه ليس بالشيء الكثير.. مجرد تظاهر لعدة ساعات. لكن لا بأس، عليها أن تبدأ من مكان ما. توقفت سِيد ما إن وصلا إلى أعلى الممر حيث يبدو المنزل بوضوح من هناك. كان رولاند على الشرفة، ينظر إليهما. لاحظت سِيد ذلك، ولم تهتم مطلقاً.

مدّت ذراعيها وطوّقت بهما عنق هيوغ، ثم شدّته إليها وعانقته. ما جعله يشعر بالدهشة على الفور. إلاّ أنها ابتسمت وقالت: «ربما كان رولاند يراقبنا».

كان رولاند يراقبهما فعلاً.

شعر بالشك والحيرة، لم يصدّق إدّعاء هيوغ بأنهما متزوجان. لكن من الصعب عليه أن يقول لمضيفه إنه كاذب. كما أنه شعر بارتياح كبير لأن سِيد ما زالت على قيد الحياة.

راح يتبعها ككلب الصيد وهي تعمل في المطبخ، محاولة أن تتجنبه وهي تحضّر الغداء. قال يعاتبها: «كان بإمكانك الاتصال بي في وقت سابق، فلقد أصبت بالرعب، مارغريت. فقدتُ عقلي من شدة القلق عليك».

قالت بنبرة لا تحمل ذرّة من الأسف: «آسفة. فكّرت في أن أحضر المعكرونة. هل يناسبك ذلك؟ أم تفضل أن أتصل بهيوغ عبر هاتفه النقّال لأطلب منه إحضار السمك وهو في طريق عودته، بعد أن يحضر حقيبتك من ميربالا؟».

ميربالا هو المكان الذي ذهب إليه رولاند عندما وصل إلى بليكان كاي. تتبع اتصالها الهاتفي مع والدها، والذي أوصله إلى الجزيرة، عندئذٍ طلب من سائق سيارة الأجرة أن يأخذه إلى أفضل مكان في الجزيرة ظنّاً منه أنه سيجدها هناك.

ومن قام بإرشاده هي ليزا ميليفان، التي تعمل في مكتب الاستقبال في ميربالا.

أصغت إليه وهو يصف خطيبته المفقودة ثم أرسلته ليرى المرأة التي تعيش عند هيوغ ماكغيلفراي.

قال لسِيد: «ليزا لا تعتقد أنكما متزوجان».

هزّت سِيد كتفيها وقالت بلا اهتمام: «إنها تقول ما تعرفه فقط».

وتابعت تحضير الغداء.

راقب رولاند تحركاتها، وراح يهزّ رأسه. بدا كأنه ضائع بين الحيرة والانبهار، وقال: «لم أرك أبداً تحضرين الطعام، مارغريت».

قالت سِيد: «هذا سيء جداً، فأنا طبّاخة ماهرة. وأستطيع القيام بكثير من الأشياء التي لا تعرفها أبداً».

قال بغموض: «إني متأكد من قدرتك، وأعتقد أنك موهوبة جداً. لكن دعينا نعود إلى الموضوع الأساسي. لنتس كل ما حصل. هل يمكننا ذلك؟ لن نأتي على ذكر ما حدث في اليخت مرة ثانية. والآن، عندما تعودين...».

بدأت سِيد تُضيف البهارات إلى صلصة البندورة. لكنها توقفت لتنظر إلى عينيه مباشرة، وتقول: «لن أعود، رولاند. لقد استقلت من وظيفتي، ومن المؤكد أن والدي أخبرك بذلك».

- قال إنك لم تعرفي عمّا كنت تتحدثين.

- أعلم تماماً عمّا أتحدث، كما أنني سأبقى هنا.

لكنه لم يكن يصغي إليها الآن، تماماً كما يفعل دائماً. قال: «أنت غاضبة».

- أنا لست غاضبة. كنت غاضبة، لكنني لم أعد كذلك. لدي حياتي الخاصة الآن، رولاند. وأنت ووالدي عليكما تقبُّل ذلك.

- لكنك تحبين العمل، وأنت تعلمين ذلك. فشركة سانت جون في دمك. وفقط لأنك مفتونة بشخص قذر وردي...

النظرة التي رمته بها جعلته يتوقف عن إكمال تعليقه اللاذع. وضعت سِيد القدر فوق الموقد بقوة، وبدأت بتحريك الصلصة.

دار رولاند حول الطاولة ليقف بجانبها، وقال: «اسمعي، من الواضح أنه وسيم جداً. وأتخيل أنه لطيف أيضاً، عندما لا يبدو وكأنه يرغب في قطع رأسي.

لكن من يكون؟ إنه مجرد متسكع!».

- هو ليس متسكعاً. إنه ربّان طائرة، ويملك عملاً خاصاً به.

- وهو عمل لطيف وجيد أيضاً، أنا متأكد من ذلك. لكنه ليس شركة سانت جون. أعلم أنك غاضبة مني، ولديك الحق بذلك.

ثم أضاف معترفاً: «ربما كنت مستبداً بطريقة تنظيم زواجنا. لكنني أعرفك جيداً، مارغريت. أنت أذكى من أن ترمي بنفسك هكذا. أنت لم تتزوجي به فعلياً، أليس كذلك؟».

الطريقة التي تحدّث بها، لم تكن تحمل سؤالاً. كان يبتسم، وكأن الأمر ليس أكثر من نكتة.

قالت سِيد بحزم: «أنا زوجته، وهو الرجل الذي أحبه».

علمت أن كلماتها هي الحقيقة المطلقة. قد لا تكون زوجة هيوغ ماكغيلفراي من الناحية القانونية، لكنها زوجة هيوغ ماكغيلفراي في قلبها وروحها.. بل في كيانه كله.

استغرق رولاند ثلاث دقائق ليتمكّن من استجماع قوته ثانية، ثم قال: «يا إلهي! يبدو كأنه قام بغسل دماغك. إن كنت فعلاً قد تزوجته، يمكنك إبطال الزواج. إن تزوجت به تحت الاحتجاز أو الإكراه..».

- أنت من سبّب ذلك الإكراه، رولاند، أمّا هو فلم يفعل ذلك.

نظرت إليه بتحدٍ وتابعت: «تعبت من التحدث معك بشأن ذلك. هذا يكفي! اقرأ شفتي، رولاند: لن.. أعود.. أبداً.. إلى.. شركة.. سانت.. جون».

حدّق بها، وبعد ذلك هزّ رأسه وقال: «أيتها المسكينة المضلّلة».

حاول التأثير عليها بالتحدث عن مستقبل سانت جون المشرق الرائع. أخبرها أنها تضيع ثقافتها وتُبدد مواهبها، وأنها لن تكون أبداً سعيدة هنا. ظل يتحدّث طوال الوقت، فيما هي تُعِد السَلَطة وتحضّر الطاولة. أخيراً، قال بإصرار: «ستفتقدين التحدي الذي تحبينه وتحتاجين إليه».

ليس بقدر ما تحتاج إلى هيوغ! وليس بقدر ما تحتاج إلى الشعور بالانتماء، ولأن تكون جزءً من عائلة، حيث يأخذ الناس الوقت الكافي ليحبوا بعضهم، وليفهموا

www.elromancia.com

بعضهم البعض جيداً . . .

سألته : «هل تريد خبزاً فرنسياً مع المعكرونة ، رولاند؟» .

قال بغضب : «آه ، حباً بالله ! لا جدوى من التحدث معك . حسناً ! انتقمي كما تشائين وخذي وقتك . أسبوع ، أسبوعين ، خذي شهراً كاملاً . لكن فكّري بما ستخسرينه» .

أغمضت سِيد عينيها وعدّت للمئة . لا مجال للنقاش مع هذا الرجل ، أو التحدث معه . . لا جدوى من ذلك .

لحسن الحظ أن هيوغ وصل في تلك اللحظة . قال محدثاً رولاند : «أحضرت لك حاجاتك» .

ورفع حقيبة من الجلد الداكن اللون ، وأضاف : «سأضعها في الغرفة الإضافية» .

لكن قبل ذلك ، سار عبر المطبخ ، ثم جذب سِيد إليه وعانقها بشدة . قام بذلك من أجل هدف محدد ، وهي تعلم ذلك . لكنها شعرت أن عناقه حقيقي جداً ورائع جداً . وشعرت بالحرمان عندما ابتعد عنها . نظرت إلى عينيه محاولة أن تُدرك ما هو شعوره الحقيقي ، فغمزها بعينيه . ثم خرج من المطبخ .

فكّر هيوغ أنه يستحق جائزة أوسكار اللعينة . ولو أن هناك جوائز للرجل الذي يوقع نفسه في أكثر الورطات تعقيداً ، لاستحق تلك الجائزة أيضاً بدون أدنى شك ، وذلك كله بسبب غلطته هو .

لو أنه اتبع حدسه الفوري ، لقفز عن السطح وضرب رولاند كاروتيرز ضربة تسببت بتورّم وجهه . لكن ، لا ! أراد أن يكون متحضراً ، متأنقاً . قال لنفسه ، إنه من أجل سِيد ، لن يحول ذلك اللعين إلى غبار . فهي لن ترى فعلته تلك مهذبة ، بل ستجده مخطئاً ، وستقول له إنه غير متمدن وبربري أو أي شيء من هذا القبيل . وذلك يُثبت تماماً ما تعرفه عنه .

بالنسبة إلى هيوغ ، فإن التصرف كبربري غير متمدّن هو أفضل بكثير من الابتسام والتصرُّف بلياقة ملفتة ، ومن التظاهر بأنه متزوج من المرأة التي يعلم أنه يريدها ولا يستطيع الحصول عليها .

وبدلاً من الذهاب للبحث عن الطبيب راسموسين ، أمضى الأمسية جالساً على الأريكة قرب سِيد ، واضعاً ذراعه حول كتفيها النحيلتين . راح يلامس شعرها ، ويتصرف كعاشق ، وهو يتحدث مع رولاند كاروتيرز ، الذي لم يكن يرغب بمواصلة الحديث مثل هيوغ تماماً .

بدا الأمر سيئاً جداً ، أما الأسوأ فهو عندما ذهب رولاند إلى الغرفة الإضافية ، ودخل هو وسِيد إلى غرفته .

وقف هيوغ في الداخل قرب الباب ، يراقب سيدني وهي تُضيء شمعة وتضعها على الطاولة . لم يكن في تصرفاتها ما يدل على أنها تتعمّد إغواءه . لكن هيوغ كان مغرماً بها بشدة . فهي أصبحت في دمّه وإلى الأبد . ولا يستطيع القيام بشيء ليغير ذلك . عليه فقط أن يسألها إن كانت تقبل الزواج به ، فقد تجيبه بنعم .

ربما تتصوّر سِيد أنها مدينة له ، طالما أنه أنقذ حياتها . إنه نوع من التصرُّف الغبي الذي قد تقدم عليه فتاة تلقت تربية جيدة مثل سيدني سانت جون . لكنه لن يسألها . . . لا يستطيع . . .

لا يريد أي زواج قائم على الامتنان والتصرُّفات اللائقة . لا يريد شيئاً آخر غير الحب .

سألت سِيد بنعومة : «هل ستأتي لتنام ، أم أنك ستمضي الليل كلّه ممسكاً بالباب؟» .

تحرّك هيوغ ، ثم مرّر لسانه فوق شفتيه . كانت تجلس على سريره ، تبتسم له وقد تركت شعرها يتدلى على كتفيها . أخذ نفساً عميقاً ، وقال : «سأنام على الأرجوحة الشبكية؟

- ماذا؟ .

- يمكنني النوم على الشرفة .

- سيحب رولاند ذلك .

- لا علاقة لرولاند بالأمر .

- أعرف ذلك . لكن يمكنك أن تنام على الأريكة كما فعلت الليلة الماضية .

- هل أنت واثقة؟

مدّت يدها نحوه وهي تبتسم ابتسامة عريضة وقالت: «في النهاية، نحن زوجان».

علم أن ما قالته هو الحقيقة، فهو ينتمي إليها... وإلى الأبد. وقبل أن يتوجه إلى الأريكة، اقترب منها وعانقها عناقاً حاراً أذاب حواسها.

* * *

أعطاها رولاند فرصة أخيرة.

- يمكنك الحصول على الطلاق، طالما أن إلغاء الزواج غير ممكن.

قال ذلك وهو يقف وراء المنزل قرب الجِنْب، حاملاً حقيبته بيده. بدا وجهه شاحباً وكان ينظر إلى أي مكان إلاّ إليها.

ابتسمت سِيد وتظاهرت كأنها لم تسمعه، مدّت يدها لتصافحه قائلة: «وداعاً، رولاند. وشكراً لك على كل شيء».

بدا متوتراً، وقال: «على ماذا تشكرينني؟».

- لقد فتحت عيني. لو لم تدفعني، لما علمت مطلقاً الذي يفوتني.

نظر إليها مرتعباً: «لا تقولي ذلك أبداً لوالدك».

ضحكت سِيد وقالت: «لا تقلق، لن أفعل. أتمنى لك رحلة موفقة».

ظهر عليه التردد، وربما كان يرغب بإطالة الحديث بينهما، لو لم يسمع هيوغ يقول: «هيا، كاروتيرز، تحرّك».

ابتسم رولاند، ثم هزّ رأسه وقال: «أتمنى فعلاً أن تعرفي حقاً ما الذي تفعلينه، مارغريت».

كاد يوم زواجها أن ينتهي... وقفت سِيد تراقبهما يبتعدان عبر الطريق المليئة بالحفر: الرجل الذي تحبه والرجل الذي تركته. وتمنت أن تعلم حقيقة ماذا تفعل، هي أيضاً.

بعد مرور نصف ساعة عاد هيوغ.

كانت سِيد قد انتهت للتو من غسل الصحون بعد الغداء، عندما سمعت باب الجِنْب يُقفل. قفز قلبها إلى حلقها. طيلة الوقت الذي تغيّب فيه عن المنزل، راحت تتخيّل كيف ستسير الأمور بينهما. تخيّلت أنه سيرجع ليبتسم لها بتلك الابتسامة

الملتوية التي تحبها، ثم سيقطع الغرفة ليحملها بين ذراعيه ويعانقها. سوف تبادله عناقه بالطبع. عندئذ سيحدّقان بعيون بعضهما البعض، وسيقول هيوغ: «لقد نجح الأمر تماماً، أليس كذلك؟ ما رأيك في أن يصبح زواجنا حقيقياً». ابتسمت وأخذ قلبها بعنف لمجرد التفكير بذلك، وهي تسمع وقع قدميه على الشرفة، التقت عيناها بعينيه ما إن دخل من الباب.

ابتسم هيوغ تلك الابتسامة الملتوية، فبدأت سِيد بالابتسام. وقال: «لقد نجحنا بذلك نجاحاً مؤكداً، أليس كذلك؟».

هزّت سِيد رأسها، وانتظرت.

انحنى هيوغ، وراح يعبث بفرو بالي، ثم وقف ثانية وقال: «أعتقد أننا تساوينا الآن. والآن سأذهب للسباحة. لدي رحلة إلى فريبورت بعد الظهر، ومن المحتمل أن أبقى هناك. تعالي، بالي».

أمسك بمنشفة وصفّر لكلبته، ثم غمز سِيد وذهب.

فهم تصرفات الآخرين هو أمر يفوق قدراتها بالتأكيد. من الواضح أنها ليست جيدة بذلك. هذا ما فكّرت به سِيد وهي تسير بخطى واسعة في منزل هيوغ، وهي تحارب في معركة خاسرة للسيطرة على دموعها كي لا تنهمر.

قد تكون ماهرة جداً في حقل الأعمال. وقد تفهم كيف تحرّض الناس وتدفعهم للعمل معاً. لكن عندما يتعلّق الأمر بفهم العلاقات، فمن الواضح أنها فاشلة ومغفّلة.

لقد قدم لها هيوغ المساعدة لأنها ساعدته في التخلُّص من ليزا ومن عائلته، هذا كل ما في الأمر. ومن الواضح أن «زواجهما المزعوم» هو كذلك في عيني هيوغ بالتحديد. يا له من أمر مؤسف!

الشيء الوحيد الحقيقي في علاقتهما هو مشاعرها نحوه. لأنها تحبه حباً حقيقياً، وليساعدها الله في ذلك.

فهمت الآن ما الذي قصده عندما قال إن الجزيرة صغيرة جداً لكليهما. عليها أن تعطيه هذا الحق، لقد تمكن من البقاء والعيش في الجزيرة نفسها مع المرأة التي أحبها. لكن سِيد تعلم أنها لا تستطيع القيام بذلك. فلا يمكنها أبداً أن تبتسم،

www.elromancia.com

وتعيش بسعادة، وتتظاهر أنها صديقة هيوغ يوماً بعد يوم، بينما هي تريد أن تكون أكثر من ذلك بكثير.

* * *

عند الثالثة صباحاً وفي غرفة في فندق فريبورت، لم يعد باستطاعة هيوغ أن ينكر هذه الحقيقة أكثر من ذلك.

«عندما يجد الشاب المرأة المناسبة له، يفعل كل ما يحتاجه ليحصل عليها». تلك كانت كلمات لاشلان.

من الصعب تصور الحكمة تصدر من فم أخيه. لكن هيوغ تذكر الحكمة التي تقول: «في الحب، حتى الحمقى يصبحون حكماء».

بعض الحمقى، لكن ليس هو بالطبع. ليس هيوغ ماكغيلفراي، الذي قام بما عليه القيام به، حتى إنه كذب لأجلها، وتظاهر أنه متزوج منها، لأنه كان يريد ذلك بشدة. ومع ذلك، شعر بالخوف ولم يسألها...

لأنها قد ترفضه، وتؤكد له أسوأ مخاوفه.

في الأفلام التقليدية يواجه الأبطال أسوأ مخاوفهم، ويحصلون على الجوائز جزاء ذلك. فماذا بشأنه؟

- ماذا تعني بقولك إنها رحلت؟ إلى أين رحلت؟

بدا صوت هيوغ أشبه بالصراخ، وهو ينظر إلى أخيه غاضباً. كان لاشلان ممدداً على كرسيه، وقد رفع قدميه على مكتبه. وراح ينظر إليه كأنه جزء من مشهد جانبي في سيرك ما.

رفع لاشلان كتفيه وقال: «لم تقل. كل ما فعلته هو أنها أتت هذا الصباح فأخبرتني أنها مغادرة، وقالت إنها ستستمر في المساعدة في تطوير الجزيرة، رغم رحيلها».

قال ذلك بفرح واضح، وكأن هذا كل ما يهمه.

قال هيوغ غاضباً: «إلى الجحيم بتطور جزيرتك اللعينة! لماذا غادرت؟».

- ربما سئمت منك.

ربما هذا ما حدث!

ارتمى هيوغ على الحائط، وهو يشعر كأن هناك من ضربه على بطنه. لم ينم تلك الليلة. لم يكن بإمكانه التفكير. توقع أن يعود إلى المنزل ليحملها بين ذراعيه ويقول لها إنه كان أحمق. لكن من الواضح أنها تعلم ذلك.

- ألم تترك أي عنوان، أو أي شيء يدل على مكان وجودها؟

إنه يحبها والآن فقدها، حتى قبل أن يقول لها إنه يحبها. بات يشعر أنه ضائع، فارغ، مريض...

- ليس معي. قالت إنها ستبقى على اتصال. هذا كل شيء.

- ربما تركت عنوانها مع مولي؟ أو إريكا؟ أو الأخوة كاش؟ أو طورك؟

- ربما.

وقف هيوغ مستقيماً وأبعد نفسه عن الحائط. استجمع قوته وقال لنفسه أكثر مما رغب في القول لأخيه لاشلان: «عليَّ أن أجدها، عليَّ ذلك.. حتى لو ذهبت إلى آخر الأرض».

لا يمكن أن تنتهي قصة حبهما قبل أن تبدأ حتى...

راقبه لاشلان يذهب، تنهد وهزَّ برأسه، ثم قال: «أعرف ذلك الشعور. أتمنى لك الحظ الجيد، أخي. لأنك ستكون بحاجة إليه».

قال إنه سيذهب إلى آخر الأرض.

لقد قصد ذلك فعلاً، لكنه لم يعتقد حقاً أنه سيحتاج للقيام بذلك.

* * *

ماذا تفعل سيد في مونتانا بحق السماء؟

طقطق هيوغ أصابعه وتحرّك في المقعد القاسي في غرفة الانتظار، بينما راح يقلب صفحات مجلة، ويحاول مراراً أن يتجرأ ويبتسم لموظفة الاستقبال المتجهمة الوجه والتي طبع اسمها أمام مكتبها على قطعة خشبية، واسمها داستي.

سألها: «هل سيطول غياب الآنسة سانت جون؟».

وحصل على رفع كتفي الآنسة كإجابة عن سؤاله.

- شكراً لك.

ابتسم لها أفضل ابتساماته، وتمنى من الله أن ينتهي ذلك الانتظار المرير.

مرة ثانية، فكّر أنه ربما عليه أن يكون مسروراً لانتظاره، حتى لو كان يضغط بقوة على أسنانه، ويطقطق أصابعه منتظراً أن يبحث «احتمالات الاندماج» فهو على الأقل ما زال لديه أمل.

فما إن يُصبح أمامها وجهاً لوجه، من المحتمل أن تقول له: لا!

لن يلومها إن فعلت ذلك. لقد تخلّى عنها... تخلّى عن كليهما، عنها وعن نفسه أيضاً. لم يكن صادقاً عندما كان عليه أن يكون كذلك، والآن...

أمضى شهرين وهو ينتظر متمنياً! بحث عنها في كل مكان، مستخدماً كل وسيلة فكّر بها، لكن لا أحد كان يعرف مكانها. سأل كل شخص يعرفه. حتى إنه انهار واتصل برولاند كاروتيرز.

قال له كاروتيرز: «كنت أعلم ذلك... كنت أعلم أنها لن ترضى الزواج بك».

قال له هيوغ: «إذن هذا يجعلنا اثنين، فكلانا لم نستطع الحصول عليها. لكنني سأعمل على إيجادها».

- هل ستفعل؟

وبدا كاروتيرز مهتماً لذلك الاحتمال وهو يتابع: «أحب أن أرى ذلك. وأتمنى لو أنني أعرف مكانها أنا أيضاً».

تمنى هيوغ ذلك أيضاً. لكن كان عليه أن ينتظر لأسبوعين آخرين، إلى أن قام طورك سويار بذكرها. أطل منذ يومين برأسه إلى داخل المكتب وسأل هيوغ: «أما زلت تبحث عن السيدة صديقتك؟».

قفز هيوغ من مكانه على الفور ليصل إليه قائلاً: «نعم. هل سمعت منها شيئاً، طورك؟ أين هي؟».

رفع طورك كتفيه وقال: «تقول إنها في مونتانا».

لفظ الكلمة وكأنها كلمة جديدة عليه، بعد ذلك هزّ رأسه وتابع: «تقول إنها تدير عملاً هناك. شركة اتصالات أو شيء مثل ذلك. وقد وجدت لي مكاناً لأبيع لاقطات الورق».

مونتانا...؟ اتصالات...؟

لم تكن تلك المعلومات كثيرة، لكنها كافية.

لم يأخذ الكثير من الوقت ليكتشف أن تلك الشركة هي «س. ج. للاتصال بين الجزر». موقع الشركة الالكتروني يتحدث عن أعمالها: «الاتصالات بين الناس لتبادل الإنتاج، ولزيادة الحياة جمالاً، ولجعل العالم مكاناً أفضل».

تلك هي سِيد بالتحديد؛ التواصل مع الناس، و إثراء الحياة، وجعل العالم مكاناً أفضل. آه، صحيح! هي تفعل ذلك أفضل من أي شخص آخر.

ومن دون أن يتوقف ليفكر اتصل بالرقم المدوَّن وطلب التحدُّث إليها، لكنها لم تكن موجودة.

- هل أستطيع أن أطلب موعداً؟

سألته الموظفة بصراحة: «لماذا؟».

- أريد...

حاول أن يجد طريقة لمقابلتها، وتابع: «... أبحث عن احتمالات للاندماج معاً».

ساد الصمت لفترة ثم سمع تقليب بعض الأوراق، بعد ذلك قالت الموظفة: «غداً عند الساعة الحادية عشرة قبل الظهر».

بذل هيوغ جهده ليتمكّن من الوصول على الموعد. وهذا ما حدث! إنها الحادية عشرة تماماً الآن.

* * *

أحبت سِيد مونتانا. فالأدب المحلي يصفها بأنها آخر أفضل مكان في العالم. أعجبها ذلك التعريف. إنها منطقة جميلة. فالجبال والوادي، السماء والطقس، كلها فاتنة وفي تبدل مستمر. وهي بعيدة جداً عن بليكان كاي. أما الشعار المناسب لهذين المكانين فهو: «لا يمكنك الوصول إلى هناك من هنا». وهذا يناسب سِيد تماماً.

فهي لا تريد الذهاب إلى هناك، على الرغم من حبها الكبير لذلك. فهي لا تريد أن تتذكر. تريد بداية جديدة، ومن مكان جديد بالكامل. ومن حظها الجيد أنها وجدت ذلك المكان. أرادت مكاناً لا محيط فيه ولا أشجار نخيل ولا أرجوحات

www.elromancia.com

شبكية ولا نسمات عليلة. وبدت مونتانا مناسبة جداً.

الآن، وبعد مرور شهرين، أصبحت تشعر، ولو قليلاً، أنها قد تستطيع الذهاب إلى هناك في يوم من الأيام. فهي ليست بحاجة للعمل أربع وعشرين ساعة لسبعة أيام في الأسبوع لتبعد أفكارها عن هيوغ. أصبحت تمضي ساعة أو اثنتين من دون أن تتساءل ما الذي يفعله الآن. وأصبحت تستطيع النوم في الليل من دون أن تستيقظ لمرات عديدة لتفكر به.

لكن أحياناً، وعندما تتساقط الأمطار، لا تستطيع أن تبعد الذكريات عنها... ففي كل مرة تمطر السماء، تفكر بالعاصفة، وبتلك الليلة العاصفة في منزله...

من حسن حظها أن هناك بعض الرذاذ فقط على النوافذ هذا الصباح. لكن مع ذلك، وجدت سِيد نفسها تحدّق بقطرات المطر فتتذكر هيوغ وتشتاق إليه. ابتلعت بقوة الغصة التي تشكلت في حلقها.

شعرت بالسعادة عندما رنّ جرس هاتفها الداخلي وقالت داستي: «موعدك عند الساعة الحادية عشرة قد وصل».

لم تكن سيدني تعرف من هو صاحب هذا الموعد. «إنه رجل ما يريد التحدث عن اندماج ما». هذا ما قالته داستي.

قالت لنفسها، ربما السيد صاحب موعد الحادية عشرة سيكون زبوناً ثرياً، قد يؤمن العديد من الاتصالات. لا أحد يعلم. لقد عمدت إلى إقامة اتصال محلي واحد، ففي النهاية هذا سمح لها بإعطاء طورك عمولة ليصنع لاقطات للورق لمعرض للفنون.

وضعت سِيد على وجهها أفضل ابتسامة تعاون لديها، ووقفت ما إن فُتح الباب... للحظة، شعرت كأن أحدهم ضربها على معدتها. كان ذلك هيوغ!

بدا حليق الذقن، في بذلته الأنيقة، بل وقوراً وفاتناً جداً. تماماً كما تخيلت أنه سيبدو.

قفز قلبها من صدرها، وشعرت بالألم في الوقت نفسه. يلزمها الكثير من الوقت لتتمكن من نسيانه. نظرة واحدة إليه وأنبأتها أنها لم تنسه مطلقاً.

سألته: «ما الذي تفعله هنا؟».

ابتسم قليلاً وقال: «أتيت للبحث في اندماج ما».

لم يبدُ كعادته، هادئاً لا يهتم لشيء مما حوله. رأت بعض التوتر يعلو وجهه. وفاجأها ذلك.

سألت، محاولة أن تحافظ على قدرتها المهنية: «أي نوع من الاندماج؟

- الشاب الطائر... المرأة الخارقة.

حدّقت به مرتبكة وقالت: «ماذا؟».

ابتلع هيوغ ريقه، وابتسم. ثم نظر إلى عينيها مباشرة، لكن التوتر لم يفارق وجهه. قال بصوت مرتجف: «أنت.. وأنا».

شعرت سِيد بركبتيها تصطكّان. مدّت يدها إلى الوراء لتمسك بالكرسي، ولتسقط عليها قبل أن تقع على الأرض: «أنت وأنا؟».

شعرت بالدوار. وبتقطّع في أنفاسها. هل يقصد...؟

- هل ستُصابين بالإغماء؟

أصبح صوته أقوى الآن، وبدا أكثر شبها بهيوغ الذي تتذكره.

تقريباً... ابتسمت سِيد. هزّت رأسها بوهن وقالت: «لا. أقصد... نعم نوعاً ما. أنا فقط.. أنت وأنا؟ كما في...».

لم تستطع أن تكمل جملتها لأنها لم تجرؤ على تصديق ذلك. لم تكن متأكدة حتى أنه هنا. تمنت لو أنها فكرت بمصافحته.. لو أنها لمسته، لعلمت إن كان وجوده حقيقياً الآن.

قال: «أريدك زوجة لي».

فتحت فمها، ولم يصدر أي صوت منها. شعرت كأنها سمكة، تفتح فمها وتغلقه.

اقترب هيوغ منها.. اقترب كفاية لتتمكن من لمسه.. استطاعت أن تشعر بأنفاسه الحارة على وجهها وهي تحدّق به.

إنه هنا حقاً!

أطبقت فمها، وهي تشعر بالدوار وبأن رأسها خفيف كالهواء. هزّت رأسها

بقوة. انحنى هيوغ ليجثم على الأرض، ثم قال بسرعة وبنبرة حادة ملؤها الخوف: «لماذا تهزّين رأسك هكذا؟ هل تقولين لا؟».

قالت بضعف: «لا».

ثم ابتسمت: «أنا.. أقول نعم».

عندئذ ابتسم بفرح... تلك الابتسامة الجميلة التي تخص هيوغ ماكغيلفراي وحده.

قال وهو يقف: «حسناً!».

أمسك بيديها وشدّها إليه وهو يقول: «كل شيء بخير الآن».

اتسعت ابتسامته، فبدا أصغر من سنه بعشر سنوات، وأكثر سعادة مما تعهده. اتكأت سِيد على صدره، ورفعت نظرها إلى عينيه، شعرت بالقوة الواضحة للرجل تحت تلك البذلة. مررت يدها فوق الصوف الناعم وقالت: «مؤثر جداً».

تمتم: «أستطيع أن أكون كذلك عندما أرغب».

عانقها فلمست خده وشعرت بنعومة وجهه: «حتى إنك حلقت ذقنك اليوم».

هزّ رأسه وقال لها: «كنت لأفعل أي شيء. كدت أُصاب بالجنون منذ أن عدت ووجدت أنك رحلت. كنت بحاجة إلى التحدث إليك، لأتقدم طالباً الزواج بك...».

ردّدت كلماته بذهول: «عدت؟.. متى؟.. تتقدم إلي؟.. متى؟».

- في اليوم التالي! لكنك كنت قد رحلت! عدت إلى رشدي وأنا أشاهد فيلماً في فريبورت.

بعد يوم واحد؟ لو أنها انتظرت يوماً واحداً!

عانقته وهي تشعر بالفرح من دفء عناقه وقالت: «ما كنت لأرحل لو علمت بشعورك نحوي...».

ابتسم وقال: «لكان ذلك رائعاً! لكن كان من الصعب عليك معرفة ذلك».

- يمكنني العمل على ذلك بدءاً من الآن.

علّق هيوغ: «العمل.. إنه أكثر الأمور التي يبالغ الناس في تقديرها».

- أنت أيضاً تعمل بجد كما يفعل أي شخص آخر.

هي تعلم ذلك الآن، وتعلم أيضاً أنه يعمل على الأشياء المهمة بجد. أضافت: «لكن، أليس مستغرباً أن تعود إلى رشدك وأنت تقوم بعمل بسيط كمشاهدة فيلم؟ ما اسم ذلك الفيلم؟».

- لا أعلم. وهذا أمر غير مهم إطلاقاً. أنت هي المهمة. فقط أنت... يا إلهي، سِيد!

عانقها بحرارة وشوق. لم يكن هنا ضرورة لتعبر عن مشاعرها بالكلمات، فقد عبرت عنها بمبادلته العناق أيضاً. بعد لحظات قال هيوغ: «انتهيت من العمل على السطح، إذا كنت ترغبين في الذهاب لرؤيته. ولنرى إن كان يحظى بموافقتك».

- ألم يعد يرشح عندما تمطر؟

- إن كان كذلك سأعيد إصلاحه. وبعد أن نتزوج سأعلمك كيف تصطادين السمك، وكيف تلعبين الشطرنج.

- لكنني أعرف كيف ألعب الشطرنج.

ضحك وقال: «عليك أن تبرهني ذلك».

قالت تعده وهي تضحك: «مراراً وتكراراً».

فجأة غابت الضحكة عن وجهها عندما التقت نظراتهما. التمعت عينا هيوغ وهو يقول: «كنت بطيئاً قليلاً...».

مرّر يده بشعره، ليجعله عديم الترتيب، وليبدو تماماً كماكغيلفراي الذي اعتادت عليه.

- ... لكنني وصلت في النهاية، وأريد أن أقوم بذلك بطريقة صحيحة. أحبك أكثر من الحياة ذاتها. والعالم يفقد جماله عندما لا تكونين معي. هل تتزوجين بي؟

لمست سِيد خده وهي تشعر بالذهول. مررت يدها على وجهه، ثم عانقته وهي تهمس: «نعم. آه! نعم. أنا أيضاً أحبك. هيوغ ماكغيلفراي».

وأضافت: «وسأحبك إلى الأبد».

بعد مرور شهر تزوجا في بليكان كاي. قام لاشلان وفيونا بتنظيم حفل الزفاف، وحرصا على أن يكون مثل زفافهما تماماً.

شارك سكان الجزيرة كلهم بفرح المناسبة. إريكا أحضرت لسيد أفضل فستان زفاف، ووعدت ترينا، فتاة الغطس، بيوم رائع جميل. كانت مولي وصيفة العروس، والتقطت باقة الزهور منها.

عزفت الفرقة الموسيقية في غروبر في قاعة الاستقبال في مونستون، والتي انضم إليها الأخوان كاش وهما يعزفان على الكمان والأوكورديون، وعند حلول المساء أخذ دايفيد غرانتاهم بالعزف بالملاعق. ورقص سيمون سانت جون عاري القدمين مع الآنسة سافرون. بينما علّم ميشال صاحب المقهى رولاند كاروتيرز كيف يعد أطيب شراب وهما يغنيان أغنية «سلوب جون بي». وكانت بالي تجلس قرب الهرة ساركس، تراقبان المشهد الرائع بدهشة.

بعد أن انتهى الاحتفال غادر هيوغ وسيد بالطائرة إلى مونتانا حيث سيمضيان شهر العسل في كوخ في الجبال.

قالت له سيد واعدة، عندما اقترحت عليه الذهاب إلى هناك: «ليس هناك ما يلهينا عن بعضنا».

لكنها كانت مخطئة. كان السطح يرشح...

ضحك هيوغ وهو يضع الأواني والأوعية تحت قطرات المياه. قالت معتذرة وهي تشعر بالكدر: «إني آسفة».

قال هيوغ وهو يضحك: «أنا لست آسفاً، فنحن نعرف كيف نتعامل مع المطر، أليس كذلك؟».

سألت سيد بوجه جامد: «أتريد أن تلعب الشطرنج؟».

- ما رأيك بذلك؟

اتسعت ضحكة هيوغ، وهو يضمها إليه ويحملها إلى غرفة النوم. ولحسن حظهما لم يكن سقفها يرشح.

تراقصت عيناه على وجهها وهو يقول لها: «أتريدين أن نلعب الشطرنج، سيدة ماكغيلفراي؟».

ابتسمت سيد له وقالت: «حسناً، شرط أن تبدأ أنت أولاً».